دار مصر المحروسة

الأب وليم سيدهم اليسوعى



كلام فى الدين والسياسة

نحو لاهوت تحرير مصرى عربى

تقديم: جمال البنا

اهداءات ٢٠٠٣

رئيس رهبنة الأباء اليوسعيين
القاهرة

الكتاب: كلام فى الدين والسياسة
المؤلف: الأب وليم سيدهم اليسوعى
الناشر: دار مصر المحروسة
الطبعة الأولى: القاهرة ٢٠٠٣
المدير العام: خالد زغلول
مدير النشر والتوزيع: يحيى إسماعيل
المراجعة اللغوية: عبد المنعم فهمى
الغلاف: عاصم شرف
رقم الايداع بدار الكتب: ٢٤٢٣ / ٢٠٠٣
المطبعة: دار الرفاعى للطباعة

حقوق الطبع والنشر محفوظة للناشر دار مصر المحروسة

١٣ شارع قولة امتداد محمد محمود - عابدين - القاهرة

تليفون - فاكس : ٣٩٦٠٥٠٠

الآراء الواردة بهذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن دار مصر المحروسة

يحظر إعادة النشر أو الإقتباس إلا بإذن كتابى من الناشر أو الإشارة إلى المصدر

كلام فى الدين والسياسة

نحو لاهوت تحرير .. مصرى عربى

تقديم : جمال البنا

تأليف : الأب وليم سيدهم اليسوعى

القاهرة ٢٠٠٣

إهـــــداء

إلى روح الأستاذ الدكتور

وليم سليمان قلادة

مقدمـــة

جمال البنا

وجـــدت فى اقــتــراح أخى الكريم الأب وليم سيدهم اليسوعى أن أكتب مقدمة لكتابه القيم (كلام فى الدين والسيـاسـة. نحـو لاهوت مـصـرى عـربى) شـجاعـة نبيلة ودلالة على صـدق ما يدعـو إليه. وقـد قبلت مع الشكر لأنه يتيح لى أن أساهم ولو مساهمة رمزية فى هذا العمل الصالح (بالتعبير القرآنى) ولأنه يقدم لى فرصة أعرف فيها الأخوة الأقباط بوجهة نظر باحث مسلم عن الحقيقة بدأ موضوعيا ومتجردا عن المؤثرات الخاصة وطالبا لها من مظانها المختلفة والمتعددة ثم وجد أن ما انتهى إليه يتفق مع القرآن الكريم فزاده ذلك إيمانا. وما انتهى إليه بحثى عن الحقيقة هو أن الأديان كلها أصل واحد. هو الإيمان بالله..... وقد تطلب ظهور الأديان فى آماد سحيقة وبلاد مختلفة لأن تختلف مظاهرها وطقوسها ومسالكها. ولكن يظل جوهرها واحدا. ويعبر القرآن الكريم عن ذلك.((لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا))."٤٨ المائدة"..... فالشرائع متعددة ولكن الدين واحد.

وعبر الرسول عن وحدة الأديان وتفاوتها مع ذلك. بأن الدين بيت واحد جميل كانت به ثغرة جاء الإسلام ليسدها وأن الأنبياء أخوة "أبناء علات" أى أبوهم واحد

وأمهاتهم شتى....... وهذا التشبيه الذى يألفه المجتمع العربى القديم متعدد الزوجات يوضح ازدواج الوحدة والتعددية - فرغم وحدة الأب - فإن وراثات الأمهات تحمل إلى الأديان طقوسا وتقاليد مختلفة. ويمكن القول إن وراثات الإلهات رمز لوجود الاختلافات التى تعود إلى عوامل اجتماعية خاصة بكل مجتمع على حدة.

وكل واحد يقرأ القرآن الكريم يرى أنه يقر ويعترف بهذه الظاهرة- أعنى وحدة الدين وتعددية الشرائع فى الوقت نفسه.

((إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئين والنصارى والمجوس والذين أشركوا إن الله يفصل بينهم يوم القيامة إن الله على كل شىء شهيد)) "١٧ الحج"..... هذه الآية لم تدع فئة قد يظنها البعض ضالة إلا واعترف بها وأوكل أمر الفصل منها إلى الله يوم القيامة.

((قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) "١٣٦ البقرة"......

((قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون)) "٨٤ آل عمران".....

واستبعد القرآن الكريم المناقشات العقيمة بين أصحاب الأديان. ((وقالت اليهود ليست النصارى على شىء وقالت النصارى ليست اليهود على شىء وهم يتلون الكتاب كذلك قال الذين لا يعلمون مثل قولهم

فالله يحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون)) "١١٣ البقرة" .... وقال إن الأمر ليس بأمانى المسلمين أو اليهود أو المسيحيين لأنه ليس ذاتيا ولكنه موضوعى ووجه المسلمين - بصراحة -

((يا أيها الذين آمنوا عليكم أنفسكم لا يضركم من ضل إذا اهتديتم إلى الله مرجعكم جميعا فينبئكم بما كنتم تعملون)) "١٠٥ المائدة" .....

((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون))

"١٣٤ البقرة" ....

واستغرب القرآن أن يدعوا اليهود الرسول ليحكم بينهم فقال :

❖ ((وكيف يحكمونك وعندهم التوراة فيها حكم الله)) "٤٣ المائدة"

وتحدث عن الإنجيل......

❖ ((.... فيه هدى ونور ومصداقا لما بين يديه من التوراة وهدى وموعظة للمتقين)) "٤٦ المائدة"...

❖ ((... وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون)) "٤٧ المائدة" .....

وكان توجيه القرآن للحكم على الآخرين أو لهم أن يترك ذلك لله. وأنها أمم قد خلت لها ما كسبت" ولا تسألون عما كانوا يفعلون. وأن الله أعلم بمن يضل عن سبيله" ......

لقد آمنت أن "المؤمنين" أى الذين يؤمنون بالله سواء كانوا هودا أو نصارى بتعبير القرآن أو هنودا وصينيين إلخ....... يقفون فى خندق واحد فى مواجهة معسكر "الدنيويين" الذين لا يؤمنون بالله آيا كان. ويرون أن

الطبيعة والتطور هما كل شىء. ((وقالوا ماهى إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون)) "٢٤ الجاثية"...

ومن المؤسف أن العالم المتقدم هو من هذا الفريق المادى الذى تستبد به شهوات الاستهلاك والاستمتاع وفى سبيل ذلك تشتد الحروب وتحدث الفظائع......

إن العصر الحديث لهو أحوج العصور إلى الإيمان لأن قوة العقل والعلم وضعت فى يده قوى مدمرة لم يكن ليحلم بها القدامى وتهدد، ما لم تتدخل الأديان، بأن يرتكب العالم حماقة الانتحار النووى.

ولقد دعوت فى مقابلة تليفزيونية لمناسبة زيارة البابا لمصر كل " عالم المؤمنين" ليتحدوا لأن القضية قضية حياة أو موت للبشرية بأسرها.

وأقول بكل صراحة إننى لم أستعر أى حساسية إزاء صديقى لأنه قبطى ولم يخالجنى شك قط فى أخوته لى بل وجدت من أومن أنهم أقرب إلى الإسلام ممن يدعونه. وقد تطوعت سيدة لبنانية مارونية بوضع "كتالوج" القسم الإنجليزى فى مكتبة "فوزية وجمال البنا" من الألف حتى طبعه على الكمبيوتر رغم مشاغلها العديدة كما كتبت كتابا بفرنسية رفيعة قدمت فيه ترجمة للكتاب وشرحت فيه مضمون الأجزاء الثلاثة من نحو فقه جديد وأمضت قرابة ثلاث سنوات فى ذلك هو LENSEIGNEMENT DE GAMAL AL-BANNA وهذه السيدة المعطاءة الكريمة هى الأستاذة منى عبد الله (عاقورى) وهى حرم طبيب قبطى صعيدى قدم هو الآخر عطاء بلا حدود ودون تفرقه بين مسلم وقبطى ومن الذين اشتركوا مشاركة فعالة فى معركة فلسطين..... وقد أسعدنى أن أهدى إليها كتاب

"نظرية العدل فى الفكر الإسلامى والأوربى " وأن أهدى إليها وزوجها الطبعة الثانية من كتابى " ديمقراطية جديدة " كدليل اعتراف وامتنان.

ومن يراجع تاريخ الأديان فلا تفته نقاط الشبه بينها - على اختلافها - فعندما يقول المسيحيون " أبانا الذى فى السماء " فإنما يرددون ما يرويه الحديث " الناس عيال الله" وعندما يقولون " الدين لله" فإنما يكررون حرفيا ما قاله القرآن الكريم "ليكون الدين لله" وهناك قسمات مشتركة ما بين القديس فرانسيس الأزيسى الذى كان يكلم الطير، النار والسماء والأرض كما لو كن شقيقاته والإمام الأكبر محيى الدين بين عربى وأبياته المشهورة :

لقد كنت قبل اليوم آنكر صاحبى إذا لم يكن دينى إلى دينه دانى

وقد صار قلبى قابلا كل صورة فمرعى لغزلان وبيت لأوثان

ودير لرهبان وكعبة طائف وألواح توراة ومصحف قرآن

آدين بدين الحب أنى توجهت ركائبه فالحب دينى وإيمانى

ومن ذا لا يلحظ وجوه الشبه العديدة فى اجنازيودى ليولا مؤسس " اليسوعيين" والإمام المكافح بن تيمية....

إذا كانت وحدة الأديان أو حتى تقاربها على ما أوضحنا وإذا كانت حاجة العصر الحديث إلى "الدين" ماسة وتتطلب اتحاد المؤمنين. فما الذى يمنع من هذا التجمع " الأممى" الذى يضم العالم جميعا؟ .....

يمنعه ظاهرة من ظواهر التعقيد الاجتماعى وضرورات التنظيم.......

فعندما يراد تهيج وتنظيم دعوة الأديان السمحة المفتوحة يأخذ هذا التنظيم شكلا مؤسساتيا وتظهر المؤسسة الدينية.

وأظهرت تجارب التنظيم الاجتماعى فى كل الدول وبالنسبة لكل المعتقدات والنظريات أنها ما إن تصل إلى مستوى " المؤسسة" حتى يصبح لهذه المؤسسة مصلحة وشخصية خاصة إلى جانب مصلحة العقيدة، وفى النهاية تصبح مصلحة المؤسسة هى الأعلى......

يحدث هذا فى الأديان وبالنسبة للأحزاب السياسية أو النوادى الرياضية الخ....

وهذه هى مأساة الأديان وكل النظريات والعقائد.......

ومن هنا جاءت أهمية لاهوت التحرير الذى يجعل "المسيح قبل الكنيسة".

إن لاهوت التحرير هو فى حقيقته رجوع إلى روح المسيحية الحقه التى "خلصت" الإنسان من إسار القيود : قيود المال، قيود المنصب، قيود القومية الخ........

من هذه الناحية فإنها حركة المؤمنين جميعا لأنه وإن كان الإسلام ليس له كنيسة إلا أن ضرورات التخصص أوجدت فئة ادعت أنها " أهل الذكر" وأنها هى المسئولة عن الدين وأنه لا يجوز لغير أفرادها الحديث عن الدين. فأصبحوا أشبه بكنيسة إسلامية أو مؤسسة تنشأ لها مصالحها الخاصة على حساب مصلحة العقيدة التى قامت من أجلها.....

فهذه الظاهرة هى التى تعوق طريق لاهوت التحرير.

إننا نأمل أن المؤسسة الدينية - كاثوليكية أو بروتستانتية أو إسلامية - ستعيد النظر فى موقفها بما يحقق إرادة شعوبها وجماهيرها وهو فى الوقت نفسه لب وجوهر الأديان.

أخيرا آقول إنى استمتعت بوجه خاص بقراءة الفصل الخاص بجهود البابا لأون الثالث عشر التى تمحورت حول العمل والحركة والنقابات كما استمتعت أيضا بالحديث عن الأب متى المسكين الذى أكن له تقديرا كبيرا.......

وتمنياتى للأخ الكريم الأب وليم سيدهم بالتوفيق فى دعوته النبيلة.

جمال البنا



تمهيـــــد

يرجع الفضل الأول لظهور هذا الكتاب إلى الوجود إلى صديقى العزيز الأستاذ خالد زغلول. فإليه أولا أتوجه بالشكر والامتنان وأطلب له النجاح الدائم فى مسعاه لمد الجسور بين أبناء الوطن الواحد.

وأتوجه بالشكر أيضا إلى الأستاذ الفاضل جمال البنا الذى أكن له كل تقدير وحب على قبوله تقديم هذا العمل المتواضع.

إنى أعتبره فعلا شجاعا من شخص يعى أهمية قبول الآخر فى زمن يسود فيه روح الرفض والنفى للآخر.

وأعود فأقول إنه بعد إلحاح الأصدقاء بتجميع هذه المقالات والمحاضرات التى تمتد من عام ١٩٨٨ حتى ٢٠٠٢ تحول الحلم إلى واقع.

هذه المقالات والمحاضرات تبدو فى ظاهرها موضوعات مستقلة بعضها عن بعض ولكنها فى الواقع تعبر عن تساؤلات وإشكاليات عميقة كانت تعتمل فى قلبى وعقلى. وكأن الذين طلبوا منى هذه المحاضرات أو المقالات كانوا يستشعرون معى مدى أهمية معالجة هذه التساؤلات والإشكاليات لنا جميعا.

ويمكننى أن أصارح القارئ الكريم بأنه بعد ترجمة وثيقة الحرية والتحرير الصادرة من مجمع

العقيدة الإيمانية بروما وبعد كتابة (ترجمة وتأليف الكتب الثلاثة عن لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية وإفريقيا وآسيا) كان لابد أن أدلو بدلوى وأتلمس أثر هذا اللاهوت علينا فى مصر. فالمحاضرات والمقالات الثلاثة عشر التى يتضمنها هذا الكتاب نابعة من محاولتى ربط ما رأيته مفيدا فى لاهوت التحرير بهذه الموضوعات المطروحة فى هذا الكتاب وإن لم يكن دائما هذا الخيط واضحا ليربط الأجزاء الثلاثة بعضها ببعض عند القارئ الكريم إلا أنه واضح فى قلبى وذهنى.

ولأن لاهوت التحرير تيار جديد بالنسبة لنا جميعا إذ يحاول آن يجعل من الإيمان بالله والعلاقة به مصدر قوة محررة للإنسان أينما كان ودافعا للبناء. فعلى هذه العلاقة بين المؤمن وربه تتجسد أفعال الإنسان فى صلب الحياة اليومية (هنا والآن) هذه المقالات، المحاضرات تناولت قضايا الدين والسياسة وعلاقة المسيحيين بقضية تحرير فلسطين ومحاولة فهم وتضامن مع الانتفاضة الأولى والثانية للشعب الفلسطينى وقضية القدس من منظور لاهوتى يغذيه الايمان بمحبة الله للمظلومين والمضطهدين والمستضعفين فى الأرض. فمهما اختلفت الجغرافيا والتاريخ ومهما تميزت الثقافات وتباعدت المسافات يظل الإنسان فى نظر لاهوت التحرير شخصا مقربا وله الحق فى أن يعيش كذلك.

من هنا تجد الإشكاليات التى طرحناها معناها فى التوجهات المنهجية واللاهوتية التى أومن بها والتى حاولت أن أعالج هذه الإشكاليات على ضوئها. فنحن نؤمن بأن الله خلق الإنسان، كل إنسان، على صورته

ومثاله. وأن دور الدين هو تعزيز العلاقة بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان. كما أن الاختلاف فى الدين أو فى الثقافة أو فى الموقع الجغرافى أو فى الدور التاريخى لا يبرر كل ممارسات الجور على الآخرين واغتصاب أرضهم ومحو هويتهم وممارسة أدوات القمع عليهم تحت أى مسمى.

من هنا جاء العنوان الخاص بالجزء الأول من الكتاب : " من الخلاص الفردى إلى الخلاص الجماعى"، فالنظرة التقليدية للدين كثيرا ما تجعلنا ننسى أننا عائلة بشرية واحدة فنتقوقع على مجرد خلاصنا الفردى أو خلاص أهل ديننا فقط، بينما منهج لاهوت التحرير يركز كل اهتمامه على تضامن الله وخلاصه لكل الناس قاطبة وخاصة الفقراء منهم. وأن تحرير الإنسان لا يتم من خلال ممارسة طقوس معينة يقوم بها الفرد ولكن يتم بربط هذه الطقوس وهذه المعتقدات بالواقع الذى يعيش فى عالمنا وذلك بالتضامن مع إخوتنا فى الإنسانية قبل أن نتحدث عن إخوتنا فى الدين وإخوتنا فى الوطن . فالحرية لا تتجزأ والعدالة لا تكتمل إذا حصرناها فى شعب معين أو جنس معين حتى ولو كان " الشعب المختار".....

ورب سائل يقول: كيف نقدم مصلحة الجماعة على الفرد؟ والإجابة بسيطة فلا تصلح الجماعة إلا بصلاح الفرد والبعد الشخصى والفردى بعد أساسى للخلاص ولكنه لا يكتمل إلا بخلاص الآخرين. ولنا أسوة بالأمثلة التى جاءت فى الإنجيل مثل قصة الفريسى والعشار ومثل السامرى الصالح، ففى المثل الأول يحدثنا المسيح عن هذا الفريسى الذى جاء يصلى إلى الله ويزكى نفسه فى الوقت الذى كان ينظر لأخيه العشار نظرة

ازدراء واحتقار ولذلك لم تقبل صلاته. أما مثل السامرى فيبين لنا المسيح أن الذى كان يعتبره اليهود نجسا (السامرى) هو الذى اعتبره المسيح منقذا" للذى وقع بين اللصوص" لأنه صنع الرحمة ولم يتوقف عند كون هذا الجريح يهوديا خصما له فى الوقت الذى ترك اللاوى والكاهن من رجال الدين اليهود هذا الجريح ومضوا فى سبيلهم رغم أنهم يهود مثله. وكثير منا يعتقد أن الخلاص هو مجرد تأدية الفرد لواجباته الدينية نحو الله فقط طمعا فى الثواب وخوفا من العقاب بينما ينظر لاهوت التحرير إلى الخلاص بطريقة أخرى تجعل من هذا الإنسان الفرد عضوا فى الجماعة البشرية وبالتالى تكون علاقته بالله هى علاقة ابن له إخوة وأخوات عليه أن يسعى لمآزرتهم روحيا واجتماعيا وسياسيا وصحيا .... إلخ.

فالمؤمن الذى ينتقد الظروف السياسية الظالمة ويفضحها والذى يمارس حقوقه السياسية والمدنية لا يقل أهمية عن المؤمن الذى يحصر نفسه فى حضور القداس. والدخول فى علاقة مع الآخر المختلف عنى دينيا لا يقل أهمية عن علاقتى بجماعتى الدينية كما أن الدفاع عن حق تقرير المصير وتحرير الأرض الفلسطينية أمر تحتمه المحبة العميقة للآخر. وربط كلمة الله الحية بالأحداث الجارية والتزود بالطاقة الروحية التى تساعد المؤمن على مجابهة التحديات واجب مقدس. فعلى رجال الكنيسة وممثليها قبل أن يتحدثوا إلى الناس ويحثوهم على المحبة والعدالة والسلام أن يمارسوا هم أنفسهم هذه المحبة ويعيشوها حتى لا يفقدوا مصداقيتهم ويقصروا فى رسالتهم.

أما الجزء الثانى للكتاب فيركز على وضع الكنيسة القبطية الكاثوليكية والأعتراف بمحدوديتها والتأصيل لهويتها الوطنية وإزالة اللبس عن إشكالية اعتبارها كنيسة وافدة. كما يبرز اندماجها الواقعى والحى فى جسم الوطن المصرى رغم قلة عددها ويؤكد عدم التناقض بين انتمائها إلى الكنيسة الجامعة وتجذرها فى مصر وما يترتب عليه من متطلبات المواطنة الصحيحة.

والجزء الثالث يركز على التعددية وقبول الآخر ويتناول نموذجين فذين على المستوى الدينى والثقافى آثرا ومازالا يثريان حياتنا العقلية وهما أبو الوليد بن رشد و الأب مت المسكين. أضف إلى ذلك التيارات السياسية والثقافية والدينية التى تموج بها الساحة المصرية. ونحن نرى أنه على أصحاب كل تيار سياسى أو فكرى أو دينى أن يقبل الآخر كما هو لا كما يريده أن يكون، فاحترام الآخر وقبوله كما هو ضرورة مهمة فى عالم اليوم لنعيش معا ونبنى معا عالما جديدا تسوده روح العدالة والسلام وقبول الآخر.

فى الجزء الرابع وضعنا بعض الوثائق التى تمثل أدوات عمل للباحثين ولأنفسنا. هذه الوثائق مرتبطة بما سبقها وقد تساهم فى إلقاء الضوء على خلفيات هذه المحاضرات والمقالات.

وفى النهاية لا يسعنى إلا أن أتقدم بالشكر لكل من ساعدونى حتى يرى هذا الكتاب النور فى صورته الحالية وأخص بالشكر الفاضل الأستاذ الفاضل سليمان شفيق الذى لم يبخل على بالوقت والجهد - رغم ظروفه الصحية - فى تنظيم مادة الكتاب وتنسيقها وإبداء ملاحظاته القيمة عن المخطوطة إلى

أن وصلت إلى الشكل الحالى والأستاذ جورج إسحق والصديق العزيز نبيل مرقص على ملاحظاتهما والوقت اللذين أعطياه لمناقشة بعض القضايا التى تعرض لها الكتاب، كذلك التشجيع المستمر الذى ساعدنى على إتمام هذا العمل. ولا يفوتنى أن أخص بالشكر الجزيل للأستاذ المستشار طارق البشرى الذى قرأ الكتاب بتمعن وأبدى إلىّ بعض الملاحظات الثمينة وهناك كثيرون أطلب العفو إذا نسيت ذكرهم.

وختاما أقدم شكرى للقارئ الكريم وما هذا الكتاب إلا محاولة وإجتهاد قد يصيب وقد يخطىء فأرجو المعذرة على الخطأ وأقدم الشكر لله والأصدقاء على كل ما هو صواب والله ولى التوفيق.

الأب وليم سيدهم

الجزء الأول

لاهوت التحرير..
التحول من الخلاص الفردى إلى الخلاص الجماعى

"فالإيمان الذى يكتفى بحضور قداس الأحد ويقبل الظلم طوال الأسبوع لا يرضى به الرب"

أوسكار روميرو

الفصل الأول

لاهوت التحرير خطاب دينى أم سياسى ؟×

× محاضرة إلقيت فى مؤتمر الجمعية الفلسفية بجامعة القاهرة
٣٠/ ١٢/ ١٩٩٧

مقدمة

نظرة تاريخية سريعة:

منذ القرون الأولى درجت الكتابات التى تناولت موقف المسيحية من السياسة على فصل الدين عن الدولة انطلاقا من المقولة الشهيرة التى جاءت فى رد المسيح على سؤال مغرض من أحد معاصريه، حول دفع الجزية حين قال "أعطوا ما لقيصر لقيصر وما لله لله". وكأن الله يختص بما فى السماء أى بشئون ما بعد الموت وقيصر له أن يتصرف بمطلق الحرية "على الأرض". علما بأن قراءة الإنجيل بكاملة توحى بغير ذلك.

ورغم أن المسيح لم يؤسس حزبا أو دولة فإن أتباعه من الحواريين على غرار معلمهم كانوا ضحايا للسياسة الإمبراطورية التى كانت تدين بغير الدين المسيحى فى أوقات متكررة، ولمدة ثلاثة قرون ميلادية متتالية عومل المسيحيون من السلطة السياسية على أنهم "أعداء للإمبراطور لا بل وأعداء للجنس البشرى" لأنهم كانوا يرفضون السجود للإمبراطور والاحتفال بشعائر وطقوس الإمبراطورية، حيث إنها كانت تعتبر فى ذلك الحين الإمبراطور سليل الآلهة.

وما لبث الدين الجديد وعلى مدى ثلاثة قرون من الاستشهاد والاضطهاد أن أصبح قوة لا يستهان بها مما حدا بقسطنطين أن يعلن أن الدين الرسمى للإمبراطورية "هو الدين المسيحى". وهكذا تغلبت قيم الدين المسيحى على قيم الدين الوثنى وانقلب المسيحيون فجأة إلى قوة سياسية ما لبثت أن ساهمت فى قهر من لا يدينون بالمسيحية لأسباب لا مجال لذكرها هنا. "راجع: جورج كورم "تعدد الأديان ونظم الحكم".

وظلت المسيحية وظل المسيحيون ضحية المد والجذر بين السلطتين الدينية والسياسية أحيانا يتطابقان وأحيانا أخرى يتصارعان كما هو معلوم حتى قامت الثورة الفرنسية ١٧٩٨ ووضعت قاعدة الفصل بين السلطة الدينية والسلطة المدنية التى مازالت تتفاعل أصداؤها حتى الآن.

وكانت السلطة الدينية والسلطة السياسية المتمثلة فى طبقة النبلاء كلاهما ضحية هذه الثورة إيذانا بسيادة مفهوم جديد للسلطة السياسية نابع "من الشعب" ومن خلال مؤسسات نيابية.

فى البدء كان المجمع الفاتيكانى الثانى ١٩٦٣ - ١٩٦٥

وقد ظلت الكنيسة الكاثوليكية منذ الإصلاح البروتستانتى فى القرن السادس عشر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥ تفرض على الكاثوليك فى جميع أنحاء العالم خطابا أحادى البعد فى اللاهوت مبنيا على وجهة النظر الغربية متوافقا مع هيمنتها الاقتصادية والسياسية والثقافية. فكانت

المعاهد والكليات الدينية الكاثوليكية فى أركان المعمورة تتلقى نفس اللاهوت العقائدى والأخلاقى... وما يتضمنه من رؤية تقليدية للعالم والسياسة والإنسان. وكانت أوروبا هى بمثابة القلب للكنيسة الكاثوليكية فى إفريقيا وأمريكا اللاتينية وآسيا..إلخ.

وظهر خطاب جديد للكنيسة الكاثوليكية فى هذا المجمع الذى جمع نحو ثلاثة آلاف أسقف من القارات الخمس يمثلون بلادا خاضعة لنظم سياسية متباينة من دول الاتحاد السوفيتى السابق نظم اشتراكية ورأسمالية ومتخلفة ونامية من آسيا وإفريقيا وأمريكا الشمالية وأمريكا الجنوبية وأستراليا. وكان من الطبيعى أن ينعكس هذا التباين فى الانتماءات على الوثائق الكنسية كما أنها أصبحت أكثر انفتاحا على العالم وعلى الأديان الأخرى وعلى الحداثة وعلى مشاكل العالم الثالث. وكان لحضور أساقفة أمريكا اللاتينية بما يمثلون من ثقل نحو ٥٠٠ مليون كاثوليكى داخل الكنيسة الكاثوليكية من العوامل المؤثرة فى التوجهات الجديدة التى حكمت وما زالت تحكم الخطاب الرسمى للكنيسة الكاثوليكية التى تمثل الآن وحدها نحو أكثر من مليار ونصف مليار من البشر.

وظهرت وثائق "نور العالم"....

- الوحى الإلهى" الليتورجية المقدسة".
- الكنيسة فى عالم اليوم
- العلاقة مع الأديان الأخرى
- رسالة العلمانيين.

أولا : مفهوم السياسة فى خطاب لاهوت التحرير

١ - جوتيريز:

يقول تحت عنوان "محاذير التسييس الإنجيلى(١) ص.٩٣ , " إن لاهوت التحرير هو على وعى للمحاذير المحيطة بإقحام الإنجيل فى السياسة. وهو يرى أنه عندما يقال "سواء من داخل الكنيسة أم من خارجها" إن الكنيسة "تسيس" الناس حين تبشرهم بالإنجيل "فإن لاهوت التحرير يعترف بوجود ذلك البعد فى الإنجيل كله دون أن يحوله إلى مجرد سياسة لا بل يعترف بأن (رسالة الحب الكلى) النابعة من الإنجيل تمتلك بعدا سياسيا حقيقيا وهذا البعد قائم فى الواقع. ذلك أن بشارة الكنيسة تتوجه إلى أناس يعيشون فى مجتمع معين ويخضعون لشبكة من العلاقات الاجتماعية ويرتبطون بظروف سياسية لا إنسانية أحيانا".

ويضيف جوتيريز فى مكان آخر(٢) ص. ٨٩ ناقدا لموقف الكنيسة الرسمية فى أمريكا اللاتينية "أن الحماية التى تتلقاها الكنيسة من الطبقة الاجتماعية المستفيدة من الوضع القائم تتلقاها بصفتها مدافعة عن المجتمع الرأسمالى المسيطر فى أمريكا اللاتينية. وهذا يجعل الكنيسة الرسمية نفسها جزءا من النظام القائم، وبناء على ذلك أصبحت الرسالة المسيحية مجرد عنصر من عناصر الأيديولوجية المسيطرة. كما أن المقولة السائدة التى ترددها الكنيسة عن موقفها أنها "لا دخل لها فى السياسة" ليست إلا شعارا هدفه تغطية الأمور والحفاظ على سياسة الأمر الواقع".

ثم يضيف:"لا يمكن أن نحدد رسالة الكنيسة

بطريقة نظرية مجردة، ففى الواقع نجد أن الكنيسة الرسمية لها شبكة كبيرة من العلاقات الاجتماعية والعديد من الإمكانات التاريخية الفاعلة "هنا والآن"... تتمثل فى روابطها مع مختلف الفئات والطبقات الاجتماعية سواء من الغنية المسيطرة أم من الفقيرة المحرومة وسواء عن طريق مؤسساتها التربوية والكنسية كالجامعات والمدارس والجمعيات الخيرية..الخ، أم عن طريق مؤسسات الدولة التى تربطها بها علاقات تاريخية ودينية ...!!.

٢- ديزموند توتو : "إفريقيا"

فى مقال كتبه فى مجلة الشعلة فى عدد ٤٩عام ١٩٧٦، بعد أن يتحدث عن التحرر السياسى لمعظم دول قارة إفريقيا فى خمسينيات وستينيات هذا القرن يلاحظ أن القارة ما زالت تفتقر إلى الحرية الحقيقية وإلى أصالة الهوية الإفريقية.. يقول توتو": فمع أن الدول الأفريقية قد حصلت على استقلالها السياسى إلا أن الحرية الحقيقية ظلت غائبة.. ويتجسد أهم ملمح غياب هذه الحرية فى القطاع الاقتصادى فيخضع هذا القطاع خضوعا مخزيا للاستغلال الغربى الجشع. ومن هنا كان نضال الأفارقة من أجل التحرير من الاستغلال الاقتصادى ومن القهر السياسى خاصة فى تلك البلاد الخاضعة لأقليات بيضاء فى القارة والمحكومة بواسطتها بجانب البلاد الإفريقية المستقلة سياسيا.

وفى محاضرة ألقاها(٢) فى ١٧ ديسمبر ١٩٧٧ فى جمعية لاهوتى العالم الثالث المسكونية تحت عنوان "لاهوت التحرير فى إفريقيا".... يقول..." إن لاهوت التحرير جزء لا يتجزأ من كفاح السود لينالوا حريتهم

ويجتهد فى مساعدتهم على آن يفخروا بإنسانيتهم فلا يخجلون من النظر إلى الآخرين فى أعينهم بل يتعاملون معهم ندا لند ولا يعتبرون أنفسهم مضطرين إلى الاعتذار بسبب أن لون بشرتهم أسود"..(٤)

ويرد على الاتهامات الآتية من بعض الأوساط اللاهوتية المسيحية المحافظة التى تجزم بأن لاهوت التحرير هو مجرد سياسة. وأن "روح الصلاة تنقص لدى اللاهوتيين". بقوله " إن هذا النقد لا يخلو من الوقاحة لأنه يفترض أن لاهوتيى التحرير لا يصلون فى حين أنهم يلتقون يسوع المسيح فى الصلاة والسكون وفى درس الكتاب المقدس وممارسة الأسرار الكنسية. بل إن هذا اللقاء هو الذى يدفع لاهوتى التحرير إلى الكلام بهذه اللهجة والقيام بهذه الأفعال فإن ما يلهمنا هو الإيمان لا السياسة".(٥)

ويضيف ديزموند توتو " ليس لاهوت التحرير مجرد تمرينات ذهنية أو هذيان فكرى، فالقضايا التى يطرحها قضايا حياة أو موت لمن يتوجه إليهم هذا اللاهوت. فهو يحاول أن يعيد إلى ضحايا القهر معنى إنسانيتهم المفقودة كما يحاول أن يعيد إليهم قيمتهم الشخصية التى منحهم الله إياها..."(٦)

٣- الويزيزس بييريز:

أما الكاتب السيريلانكى اليسوعى Aloysius Pieris S.J الويزيوس بييريز فيقول فى كتابة "لاهوت التحرير فى آسيا" س ٣١ - ٣٢،(٧). فى معرض حديثه عن الثنائية التى تفصل بين مقوله "النظر العقلى" و"التأمل الروحى" من جهة وبين مقولة "العمل" من جهة أخرى. "إن كلمة "عمل Action فى العظات البابوية "يوحنا بولس الثانى" الموجهة للكهنة والرهبان تأخذ معنى

معينا: فهى تعنى "الخدمة داخل الكنيسة وفيما بين الكنائس" ومعنى ذلك أن كلمة "عمل" لا تتضمن العمل السياسى(٨). علما بأن هذه الكلمة كما نستخدمها أحيانا فى حياتنا اليومية يفترض أنها تتضمن "الالتزام الاجتماعى والسياسى" بمعنى أنها تتعدى الخدمة الكنسية.

وينتقد بييريز هذه الثنائية التى تفصل بين الروحانية والعمل فى إطار الكنيسة من ناحية وبين الالتزام المدنى بشقيه الاجتماعى والسياسى من ناحية أخرى بقوله "إن هذه الثنائية تعرض القوة الاجتماعية والسياسية للتعاليم الكتابية حول الصلاة والعبادة للخطر".

وفى مكان آخر ينتقد بييريز التعارض الذى يضعه التيار التقليدى فى الكنيسة الرسمية بين الالتزام المدنى (بشقية الاجتماعى والسياسى) وبين الالتزام الليتورجى (الطقس= العبادات) "بين المعاملات والعبادات" إن الإدراك الحقيقى ليسوع كإنسان تاريخى متواجد فى المكان والزمان هو الذى يقودنا إلى البحث عن العبادة الحقيقية. التى لا يمكن أن تقوم بها إلا كنيسة حقيقية أصيلة".. "وهذا الإدراك هو الذى يقدمه لنا لاهوت التحرير.. إذ يركز على المسيح الذى صار واحدا منا. كما أن هذا اللاهوت يمكنه مساعدة الكنيسة على العبور من "مسيح التأملات المجردة إلى المسيح الذى صار حيا بجسده ودمه"... مسيح واقعى قلبه يدمى مسيح جائع وعطشان وعار ومريض ولا مأوى له وسجين بسلاسل القوانين الاجتماعية الجائرة (متى ٢٥ / ٣١ - ٤٦)(٩).

مسيح ينتمى إلى الطبقة العاملة بصفته نجارا

(متى ١٣ /٥٥). مسيح لا يجد مكانا يولد فيه (لوقا ٢ / ٧) وليس له حجر يضع رأسه عليه (متى ٨ / ٢٠) ولا يجد مكانا يدفن فيه (متى ٢٧ / ٦) مسيح يشكل خطرا على هيرودس لدرجة أن هيرودس تعقبه ليقتله (متى ٢ / ١٣) مسيح مفترى عليه أمام المحكمة (لوقا ٢٣ / ١ - ٨). مسيح معذب من قبل الشرطة (متى ٢٧ / ٢٦) مسيح عومل كمجرم (لوقا ٢ / ٣٩) مسيح وقع ضحية التعصب والنفاق السياسى للكهنة (متى ٢٧ /١١-٢٣) مسيح كقائد غير مرغوب فيه (يوحنا ١٩ /١٤ -١٥). هذا هو المسيح ذو الوجه الإنسانى والقلب الإنسانى الذى يتطابق مع النزعة الإنسانية المسيحية المناسبة لعصرنا.

ويضيف بييريز: "هذا هو المسيح الذى يفتح عقولنا لنفهم الأسباب الحقيقية الظاهرة والخفية التى تعمل على تجريد الإنسان من إنسانيته. وهو الذى يقترح علينا نموذجا مختلفا للمجتمع الإنسانى. مجتمعا يتمحور حول النمو الحقيقى والشامل للإنسان لا حول تراكم الفوائد والممتلكات..." ص٦٥,(١٠)

٤-باولوفريرى :

تعليم المقهورين " الفعل الثقافى" يتحدث عن ثقافة الصمت وضرورة إعطاء الكلمة للشعوب المقهورة لتشارك فى صنع القرار السياسى والاقتصادى.

٥- إذا حللنا هذا الخطاب ومفهومه للممارسة السياسية يمكننا أن نستنتج ما يلى:

١) أن خطاب لاهوتى التحرير لا ينفى وجود بعد سياسى للبشارة المسيحية (جوستاف جوتيريز - توتو - وبييريز) ذلك لأن الأخلاق والعقائد المسيحية الخاصة بالعدالة ومحبة الفقراء والتضامن مع

الإنسان المظلوم...) لابد أن تفرض سلوكا معينا فى مكان وزمان معينين.

٢) هذا الخطاب يمارس النقد الذاتى - فهو ينقد السلطة الكنسية والخطاب الرسمى للكنيسة (جوتيريز..) وتحالفها مع النظام القائم.

٣) يعترف بأن الدافع للمشاركة السياسية هو الإيمان المسيحى وليس البحث عن مناصب سياسية (ديزموند توتو).

٤) هذا الخطاب يبين أن هناك مساحة من الحرية داخل الكنيسة الكاثوليكية وتعددية الآراء .

٥) أن هذه التعددية لا تخلو من الصدام أحيانا من خلال الخطاب الرسمى (وثيقة ١٩٨٦ راتسينجر) (١١)

٦) آن الخطاب اللاهوتى الأمريكى خطاب شرعى إذ يستمد شرعيته من المجمع الفاتيكانى الثانى ومؤتمر مدللين لمجلس أساقفة أمريكا اللاتينية .

٧) يتفق لاهوتيو آسيا وإفريقيا وأمريكا اللاتينية على رفض الخطاب المهيمن الأوروبى وينطلقون فى خطابهم من الواقع المحلى.

٨) أن هذا الخطاب تعدى الحدود الإقليمية لأمريكا اللاتينية وانتقل إلى آسيا وإفريقيا وحتى إلى أمريكا الشمالية.

ثانيا : مفهوم الدين فى خطاب لاهوت التحرير بحسب أحد لاهوتيى التحرير الآسيويين.

يمكن تلخيص مفهوم بييريز للدين تحت عنوان "الأيديولوجيا والدين" فى النقاط التالية:

١) أن كل الأشخاص الملتزمين دينيا والذين يقومون

بأنشطة منظمة لديهم بالضرورة "أيديولوجية ما".

والسؤال الذى يجب طرحه عليهم هو ليس "هل لديهم أيديولوجية أم لا؟" ولكن هل هذه الأيديولوجيا متوافقة مع هذا الدين أم لا؟ وفى حالتنا مع الدين المسيحى الذى يدعو إلى المحبة والسلام بين الله والإنسان وبين الإنسان وأخيه الإنسان.

٢) من الصعب الاستناد إلى تعريف واحد للدين. وفى أوروبا يوجد ما لا يقل عن ١٥٠ تعريفا للدين فى الوقت الحالى - حسب أحد المتخصصين فى علم الأديان.

٣) يعطى بييريز تعريفا واضحا للأيديولوجيا: فهو يرى أنها ظهرت كمصطلح مواكبة للثورة الفرنسية عام ١٧٩٨ نظرا لعجز الدين عن الوفاء بمتطلبات الجماهير. ومنذ تلك اللحظة تعددت الأيديولوجيات السياسية لسد الفراغ الذى خلفه غياب الدين وعدم قدرته على مواجهة التحديات الحديثة.

٤) يعرف بييريز الأيديولوجيا على النحو التالى:

١- هى رؤية محددة للعالم.

٢- هذه الرؤية تتطلب برنامجا للعمل.

٣- هذا البرنامج للعمل يحدد ملامح المستقبل الذى يجب تحقيقه فى هذا العالم. ويفترض معركة مستمرة على المستوى الاجتماعى والسياسى لتحقيقه فى العالم الذى نعيش فيه وليس فى السماء.

٤- هذا البرنامج يتطلب أدوات للتحليل أى منهجا للتمييز بين ما يجب عمله ومالا يجب أن يرتكز هذا المنهج على مقدماته ذاتها أى على مرتكزاته الأيديولوجية.

٥- وفى النهاية فإن الرؤية بطبيعتها الذاتية فى

هذه الحالة عليها أن تتجاوز ذاتها بحكم الحقيقة التى تود أن تعبر عنها.

٦- ولكن ما الفرق بين الدين والأيديولوجيا؟:

- الدين يختلف جذريا عن الأيديولوجيا فى نقطة محددة هى تصوره للمستقبل، وانطلاقا من نقطة الخلاف هذه تتفرع بقية الاختلافات بين الدين والأيديولوجيا. فالدين يشير إلى "مستقبل مطلق" مختلف تماما عن مفهوم "المستقبل" فى الأيديولوجيا. وهذا المستقبل الذى يطرحه الدين يتجذر فى الغائية الميتافيزيقية. وعلى عكس الرؤية المشوهة لهذا المستقبل المطلق فإن الدين يشدد على أن هذا "المستقبل المطلق" يجب أن يبدأ تحقيقه فى هذه الحياة وليس على مستوى الكمالات الروحية الشخصية للأفراد فقط ولكن من خلال الهياكل المنظورة للمجتمع الإنسانى أيضا.

- فالمسيحية تتحدث عن "التوتر الأخروى" بين حياة المسيحى الذى يبدأ مسيرته إلى الملكوت على الأرض وبين ملكوت السماوات التى يتطلع إليها (le deja la et pas encor). فالمسيحيون مدعوون لأن يعيشوا التطويبات التى جاءت فى العظة على الجبل على لسان المسيح هنا والآن على الأرض فيؤسسون جماعة مسيحية تكون بمثابة صورة كنسية مسبقة لصورتهم النهائية فى السماء.

- أما الأيديولوجيا وبسبب رؤيتها المبرمجة للعالم فإنها تعارض وجود مستقبل خارج الأرض فهى منشغلة بشكل خاص بما تعتبره التحسين الجذرى للنظام الاجتماعى السياسى فى الأرض.

هدفـهـا إذن التـقـدم المدنى Civil فى هذا العـالم ويسـتـوى عند أصـحـاب الأيديولوجـيـة أن يتـفق هذا التقدم المدنى أو لا يتفق مع الهدف الدينى - لأى دين - بما يحمله من بعد غيبى أو ميتافيزيقى. علما بأن أى دين حينما يحاول بداية تجسيد "المستقبل المطلق" على هـذه الأرض لا مفـر له من اسـتـخـدام الهـيـاكل والاستراتيجيات والمؤسسات الاجتماعية التى توفرها له الأيديولوجـيـات الدنيـوية فـى أرض الواقع الذى يعيش ويتحرك فيه.

وفى النهـاية يمكننا أن نطرح على أنفسنا السؤال الآتى:

إلى أى مـدى يمكن أن نجـعل من الدينين الإسـلامى والمسـيـحى طاقـة مـحـررة بدلا من اسـتـخـدامـهـمـا كطاقـة مـدمرة..."الإرهـاب - نفى الآخـر.." وأن يصـبح الخطاب الدينى فـى مـصـر وفى عـالمنا العربى يحث على المشاركة السياسـيـة المستنيـرة التى تحض على احتـرام البـعـد الروحى والأخلاقى فى الممارسة السياسـيـة من حيث إعلاء قـيـمـة الحـوار واحـتـرام حـقـوق الآخـر وتبنى الديمقراطية منهجا للحياة والتفكير.

ويمكن تلخيص التـوجـهـات الجـديدة لخطاب لاهوت التحرير كالتالى:

١- القطيـعـة مع اللاهوت الغـربى الأوروبى. والانطلاق من التحديات المحلية الراهنة.

٢- إضـافـة مـفـهوم جـديد لدور رجل الدين فـهـو خادم للجماعة قبل أن يكون حارس للعقيدة.

٣- إضافة مفهوم جديد لقراءة النصوص المقدسة.

وهو الانطلاق من الواقع المعاش واستخدام العلوم الإنسانية الحديثة لفهم النصوص.

٤- إضافة مفهوم جديد لدور العقيدة الدينية. الخدمة الصادقة للإنسان قبل تعليم العقيدة.

٥- ابتكار مفهوم جديد للخطيئة. من الخطيئة الفردية إلى الخطيئة الجماعية.

٦- إضافة مفهوم جديد للعلاقة بين الالتزام الدينى والالتزام المدنى. التكامل بين متطلبات الدين وبين متطلبات الالتزام المدنى.

٧- إضافة مفهوم جديد للكنيسة. المسيح قبل الكنيسة.لأنه لامبرر لوجود الكنيسة إلا حضور المسيح كأساس لهذا الوجود

الفصل الثانى

نحو لاهوت تحرير مسيحى - إسلامى لعالمنا العربى

× نشرت هذه المقالة فى كتاب (لاهوت التحرير الآسيوى)

إنهـا رياضـة فكرية بين ربوع كتـاب لمؤلف سـريلانكى مـوسـوعى المعـرفـة جـمع بين الحـديث عن الأديان والإيديولوجـيات والفـقـر الاخـتـيارى والفـقـر الإجبـارى وتداخل الثـقافات وتعددها كمـا أنه أثار تساؤلاتنا برؤيتـه النقدية الى الطقوس الدينية والتيارات اللاهوتية الغربية آضف إلى ذلك رغبـتـه العـارمـة فى تلاقى دول العـالم الثالث حول لاهوت نابع من واقعها وتطلعاتها وثقافاتها.

وسنحاول فى عجالة آن نستلهم من كتابه بعض ما يسـاعـدنا على طرح تسـاؤلات عن حـالتنا فى العـالم العربى والإسـلامى خـاصة فى مـصـر عسـى أن نتلمس الطريق لتأسيس لاهوت تحرير خاص بنا(١٢).

أولا : الدين والتدين:

يحدثنا الكاتب عن آديان خارج نطاق اعتدناه فى مـصـر وفى الشـرق أى الديانات السـمـاوية الثـلاث اليهودية والمسيحـية والإسـلامـية فنجـد أنفسنا أمـام ديانات آخرى راسـخة الأقـدام وفاعلة على السـاحات العـالمية والمحلية مثل البوذية والهندوسـية والشنتاوية والتـاوية ويعـالج هذه الديانات من منطلق اعـتـقـاده المسيحى الكاثوليكى، معتبرا أن الانتقـال مما أسـمـاه "المسيح ضد الأديان" إلى "مـسيح الأديان" كـان خطوة

مهمة على صعيد انفتاح الكنيسة الكاثوليكية على الديانات الأخرى بخاصة الديانات الآسيوية مثل البوذية والهندوسية. (انظر الملحق حول بيان المجمع الفاتيكانى الثانى ص ٣٥٥ - ٣٦٣).

ونحن فى مصر والعالم العربى ما زلنا نتحدث عن الديانات "السماوية الثلاث". ونحصر أنفسنا فى مجال الاعتراف بالديانات الكتابية فقط. وفى الوقت الذى يكرس أعلى سلطة فى البلاد ممثلة برئيس الجمهورية أكثر من ثلاثة أسابيع لفتح الحوار مع أصحاب هذه الديانات وفتح القنوات الاقتصادية(١٣) لا يعرف المواطن المصرى معنى أن هذه الدول تدين بأديان (غير سماوية) ولكنها أديان مهمة عند سكان هذه البلاد ولها علاقة وطيدة برؤيتهم إلى الأوضاع الاقتصادية والأوضاع الدينية والسياسية والاجتماعية فى العالم (١٤).

والسؤال المطروح هنا هو: كيف تشرح لتلاميذنا فى المدارس ولأبنائنا وبناتنا الديانات الآسيوية؟ وما مكانتها بالنسبة إلى اعتقاداتنا المسيحية والإسلامية؟ هل سنظل نردد عبارات "الوثنية" "اللا دينية"؟ وهل هؤلاء البوذيون والهندوسيون لهم مكان فى الرؤية الخلاصية للدين الإسلامى والدين المسيحى؟(١٥).

هذا السؤال يتلازم مع سؤال حتمى عن "التعددية" فى المنطلقات الدينية. لقد تعايش المسيحيون والمسلمون فى مصر جنبا إلى جنب أكثر من أربعة عشر قرنا لم تخل من الإنجازات المشتركة والمعاناة المشتركة من صنوف المستعمرين والدخلاء والغرباء، فبعد غروب شمس العصر الفرعونى جاء البطالمة اليونان ثم الرومان ثم العرب والمماليك والأتراك العثمانيون مرورا بإنجلترا والفرنسيين إلى أن قامت

الثورة العرابية فى ١٨٨٢ ثم ثورة ١٩١٩ وبلورت الهوية المصرية العبقرية التى توجت بثورة ١٩٥٢ ووصل أول حاكم مصرى هو "محمد نجيب" إلى الحكم منذ مئات السنين ليرأس الدولة.

وإذا رجعنا إلى التعددية الدينية فى مصر نجد أن عصر الكوكبة والعولمة أضاف إلى الديانتين المسيحية والإسلامية فى مصر ديانات وثقافات أخرى بدأت تغزو الأسماع والأبصار المصرية والعربية كذلك الممارسات الدينية والفلسفات البوذية والهندوسية والتاوية..إلخ. فماذا نحن فاعلون لكى نخوض غمار البحث اللاهوتى والاجتهاد فى استنطاق الكتب المقدسة الإسلامية والمسيحية عن الموقف من الأديان الأخرى والأيديولوجيات المختلفة؟ كل هذا يعتمد على الاجتهاد وسعة الأفق واحترام الآخر.

وهل يصح فى بداية القرن العشرين - وقد وقعنا إتفاقية حقوق الإنسان واعترفنا بحرية الفكر والعقيدة لكل إنسان - آن ننعت "البوذية" بـ "الوثنية" وأن نصف ملايين الهندوس بالوثنية والشرك؟ كيف نتعامل معهم دون آن نجرح مشاعرهم ونحط من قدرهم".

لقد درجت العادة عندنا فى مصر عندما يتقابل ويتصادق المسلم مع المسيحى ويكتشف مدى العلاقة الوثيقة التى تربطه بالآخر يعتبره ويتمنى أن يكون من الدين نفسه وهذه الآمنية تعبر عن مدى الحميمية فى علاقة المسلم بالمسيحى فى مصر والعكس أيضا صحيح، ورغم ذلك فإن هذه الحميمية فيها "لغم" خطير، إذا أردنا أن يتم الاندماج بين المسيحيين والمسلمين وأصحاب الديانات الأخرى غير الكتابية، هذا اللغم هو أن "اعترافنا بالآخر" المختلف عنا لا يتم إلا إذا "هضمناه"

وحولناه إلى "ديانتنا" حتى تكتمل الحميمية لأننا لا نقبل "الآخر كما هو" ولكى نقبله - بعد أن أثبت جدارته بقربه منا - نريد هضمه وابتلاعه فى جماعتنا. وكأن الفرضية التى ننطلق منها هى أن "الدين الحق" هو دينى أنا بشكل مطلق. وأن الاندماج والوحدة لن تتم إلا إذا التحق الآخر بدينى أنا. الافتراض الثانى الذى يشرح هذا الموقف هو أن الحقيقة لها وجه واحد هو "الوجه" الذى أمتلكه أنا مسيحيا كنت أم مسلما والفرضية الثالثة للرغبة فى "هضم الآخر" واستيعابه هى غياب "الحرية الحقيقية" فى مجتمعاتنا وبالتالى غياب المشاركة فى تنظيم المجتمع بسبب غياب هذه الحرية. فالجماعة الدينية هنا تمارس نوعا من الديكتاتورية العرفية على كلا الجانبين. وهنا نصل إلى الفرضية الرابعة وهى غياب المجتمع المدنى وتنظيماته الحزبية والنقابية والأهلية وعدم قدرته على الإدلاء بدلوه فى مثل هذه المسائل التى تتعلق بأهم مبادئ حقوق الإنسان ويظل المجتمع السياسى بأحزابه وجمعياته ومنظماته أسيرا لفهم ضيق للدين والإيمان لا بوصفهما اختيارا شخصيا للإنسان المؤمن بل بوصفهما الإيمان أمرا تفرضه الجماعة باسم الدين.

ونحن لا نطالب هنا بأن يغير المسلم أو المسيحى دينه لكى تكتمل الحميمية والصداقة ولكن نطالب فى لاهوت التحرير بأن يلتقى المسلم بكل إيمانه وطاقته الروحية النابعة من هذا الإيمان مع المسيحى وحتى مع الآخرين الذين ربما فى حالة بحث عن معنى لوجودهم وأن يغتنى الواحد بحرية الآخر ليبنيا معا المجتمع الواحد المتعدد الروحانيات والمعتقدات وأن ينطلق بناء هذا المجتمع من احتياجات الفقراء والهامشيين الذين يمثلون غالبية مجتمعنا المصرى

ومجتمعاتنا العربية وما يقابلها من مجتمعات دول العالم الثالث.

وباختصار فإن التدريب على احترام الآخر المختلف عنا دينيا أو سياسيا أو اجتماعيا ضرورة قصوى لنا نحن المصريين والعرب حتى نستطيع أن نعترف بالآخر البعيد عنا: "البوذى" و "الهندوسى" وأصحاب الديانات الطبيعية فى إفريقيا وآسيا...الخ. من دون أن نخشى فقدان هويتنا وإيماننا المسيحى أو الإسلامى. إن التربية على التعددية فى الآراء وفى الأديان وفى المذاهب السياسية ضرورة لمواجهة عالم اليوم بجدارة.

وتبدأ هذه التربية فى الأسرة الصغيرة حيث يتكون الطفل وتنطبع فى ذهنه وخياله أول صورة عن العالم والإنسان والله.. ولذا وجب التركيز على الاهتمام بتوعية الأسر المصرية المسلمة والمسيحية بأن تكون تصوراتنا عن الله وعن الإنسان وعن الطبيعة سوية مستنيرة تحترم الطفل كما تربيه على احترام الآخرين وقبول الاختلاف فى إطار التكامل لا التصارع والتقاتل وتلى الأسرة المدرسة ثم الحى والمدينة..إلخ.

ولكن المعضلة تأتى من كون غالبية الأسر المصرية والعربية ينقصها الوعى(١٦) بالتنشئة على التعددية واحترام الآخر وهنا يقع العبء على الأجهزة الحكومية بخاصة جهاز الإعلام وهيئات المجتمع المدنى من جمعيات أهلية ومنظمات بالإضافة إلى رجال الدين المستنيرين فى الجامع والكنيسة. كل هذه الهيئات يقع عليها عبء تنشئة الأسرة والطفل المصرى على التعددية والانفتاح واكتساب القيم الروحية والاجتماعية التى تحصن الأجيال الشابة عماد

المستقبل على الصمود فى وجه التحديات الثقافية والاستهلاكية والأخطار التى تحملها رياح العولمة وعصر التحولات الكبرى، فالحصانة المعنوية والتربوية والروحية هذه لا تقل أهمية عن الحصانة ضد الفيروسات العضوية والأمراض المزمنة التى يتعرض لها الأطفال(١٧).

ثانيا : الدين والفقر فى مصر والدول العربية:

فإذا تركنا قضية الدين والتعددية والقضايا المتعلقة بها نأتى إلى علاقة الدين بالفقر وإلى أى مدى يشجع الدين على الفقر الاختيارى كما رأينا فى المسيحية والبوذية والهندوسية من زاوية الرغبة فى التحرر من سطوة المادة. ومن الزاوية الأخرى إلى أى مدى يستغل الدين مبررا لفرض الفقر فى منطقتنا العربية ودول العالم الثالث.

لا أحد منا ينكر دور الدين الإيجابى فى مصر فى محاولة توزيع الثروة وإقامة العدالة الاجتماعية ومحاولة الخروج من الفقر الإجبارى ويمكن أن نتذكر فى الستينيات من هذا القرن بعد ثورة ١٩٥٢ كيف قام رجال الدين المسلمون والمسيحيون بالتنظير والتبشير بما سمى فى ذلك الوقت "الاشتراكية العربية" فى الحقبة الناصرية بعد تأميم قناة السويس ١٩٥٦ وحركة تأميم البنوك والمصانع وتحديد الملكية ونذكر بالذات كتابات الأب متى المسكين حول علاقة الاشتراكية العربية بالاشتراكية المسيحية فى كتابه "الدين والدولة". وقد تأثر العالم العربى بالتجربة الناصرية فى الاشتراكية خاصة فى الجزائر واليمن والسودان..إلخ. ورغم الانتقادات التى وجهت إلى هذه

المحاولة وما زالت إلا أننا نضعها فى إطار ما نسميه رد فعل العالم الثالث على (تحديات الاقتصاد العالمى ورفضه الرضوخ للفقر الإجبارى).

وفى بداية الثمانينيات من هذا القرن وبعد حرب أكتوبر ١٩٧٣ ودخول الحقبة النفطية وقوانين الانفتاح الاقتصادى التى بدأت عام ١٩٧٤ فى مصر بدأ التبشير بعمل نظام اقتصادى مناقض تماما للاشتراكية مبنى على الشرعية الإسلامية كرد فعل على الإمبريالية الاقتصادية الغربية تجلى فى نوع من الرفض الدينى للمعاملات الربوية، وكلنا رأينا كيف استخدم الدين هذه المرة أيضا للتبشير بالرأسمالية تحت غطاء إسلامى، فمن التبشير فى الستينيات بالاشتراكية العربية "لتمييزها" عن "الاشتراكية السوفيتية" علت الأصوات فى الثمانينيات وبداية التسعينيات من رجال الدين وغيرهم بالتبشير بما يمكن تسميته "الرأسمالية الإسلامية" مقابل "الرأسمالية الغربية" ودخلنا فى عصر الاقتصاد الإسلامى تحت ما عرف "بشركات توظيف الأموال" قد كانت "دعوة حق أريد بها باطل". إذ إن مروجى هذه الفكرة استغلوا الحاسة الدينية القوية لدى المصريين المسلمين والمسيحيين ووعدوهم بالربح الحلال بعيدا عن البنوك "الربوية". ولكن اكتشف زيف هذه الدعوة حينما تبين أن مبالغ البسطاء من الناس وغيرهم ممن كانوا يطمعون فى الكسب الحلال كانت تودع فى البنوك والمؤسسات "الربوية" نفسها فى أمريكا وأوروبا بدون علم أصحاب هذه الودائع. وهكذا استغل الدين أسوأ استغلال بعض المغامرين وأدعياء الدين بحجة القضاء على الفقر الإجبارى ومحاربة الإمبريالية الغربية (١٨). وما زال أصحاب

هذه الودائع يعانون الخبرة السيئة بعد أن وقفت الدولة أمام زيف هذه الدعوات وإن كان تدخلها متأخرا.

ونحن لا نشك لحظة فى أن من حق المسلمين والمسيحيين وغيرهم أن يرفضوا الأساليب الاقتصادية التى تتناقض وقيمهم الدينية وأن يبتكروا ويبدعوا حلولا تتفق مع ظروفهم وبيئتهم الاجتماعية. إلا أننا نسجل أن الدين قد استغل مثله مثل "الأيديولوجيا" فى تضليل الناس بدلا من تحريرهم من الفقر(١٩). وللأسف مازال يستغل.

ثالثا : مصر والدول العربية واستنزاف مواردها الاقتصادية على مذبح القضية الفلسطينية

منذ عام ١٩٤٨ تاريخ زرع الدولة الإسرائيلية الصهيونية فى قلب الوطن العربى بعد طرد الفلسطينيين من ديارهم من قبل الدوائر الغربية وحتى الآن قامت أربع حروب استنزفت طاقة البلاد العربية ومواردها وهنا استغل الدين من قبل الإمبريالية الغربية كأعظم ما يكون الاستغلال على مر التاريخ الحديث والمعاصر. فالحجة كانت "بناء وطن قومى لليهود" ولكن الهدف الخفى والمعلن هو شل حركة الدول العربية وإعاقتها عن النمو حتى لا تهدد مصالح الغرب الحيوية بخاصة منابع البترول عصب الحضارة الحديثة والسيطرة الاستراتيجية على مقدرات المنطقة جغرافيا والتخلص من "عقدة الذنب" الغربية التى تكونت لديهم بسبب اضطهادهم اليهود بخاصة فى بداية القرن العشرين.

فمن حرب ١٩٤٨ إلى حرب ١٩٥٦ ثم ١٩٦٧ وحرب الاستنزاف ثم حرب ١٩٧٣ فحربي الخليج الأولى والثانية ١٩٨٠ .. ١٩٩٠ ، كل ذلك تسبب فى استنزاف الموارد الاقتصادية والطاقة البشرية فى البلدان العربية وفى مقدمتها مصر علما بأن اليهود قبل إنشاء الدولة الإسرائيلية كانوا منتشرين فى ربوع العالم العربى ويعملون جنبا إلى جنب مع إخوانهم المسلمين والمسيحيين ومازال بعضهم فى المغرب وبعض الدول العربية حتى الآن.

والمعضلة التى ما زالت قائمة هى قضية "الشعب الفلسطينى" فى استرداد أرضه وإقامة دولته التى تقلصت فى ظل سياسة الأمر الواقع بسبب الهيمنة الغربية وزيادة نفوذ الحركة الصهيونية.

فاستنزاف الموارد هذا لا يمكن أن يكفى لتفسير وجود الفقر المتفشى فى البلاد العربية مقارنة بالدولة الإسرائيلية. بل لا بد لنا من نظرة نقدية للذات المصرية والعربية للتخلص من الهوة الاقتصادية والحضارية التى تجعلنا مع دول العالم الثالث فى مؤخرة التقدم الحضارى والاقتصادى.

وللوقوف على الهوة الاقتصادية الحضارية بين الدول العربية وإسرائيل يمكن الاستعانة بمقال الأستاذ فهمى هويدى فى صفحته الشهيرة "بجريدة الأهرام يوم الثلاثاء ٢٨ يوليو (تموز) ١٩٩٨ تحت عنوان "بلاغ لمن يهمه الأمر". ويتناول فيه ملخصا لبعض الدراسات المقارنة بين الوضع الإسرائيلى والوضع العربى ليدلل به على الوضع المتردى فى بلادنا العربية (٢٠).

إن المعطيات الاقتصادية المشفوعة بالأرقام والمقارنات التى تجعلنا بجدارة فى نادى الفقراء، والحديث عن المحاولات الدينية التى ذكرناها وقد نظرت وبررت وما زالت تبرر محاولات الوصول إلى توزيع عادل للثروات، تحثنا على أن ننطلق من التحالف بين أصحاب الديانات المختلفة والفقراء كما يقترح مؤلف الكتاب ونبدأ من "التدين" المعتدل والمستنير بالروحانية والذى يتعامل مع المال والثروة على أنهما وسيلة لا غاية فى حد ذاتهما كما يريد أن يفرض علينا دعاة "اقتصاد السوق" الذين يتحكمون فى مصائر الشعوب بعيدا عن القيم الروحية المسيحية والإسلامية واليهودية والبوذية....إلخ.

رابعا : نحو لاهوت تحرير مسيحى - إسلامى

لقد كتب الدكتور وليم سليمان (٢١) كتابه القيم عن المسيحية والإسلام فى مصر، حيث استعرض فيه القيم المشتركة والمساحة المشتركة بين أصحاب الديانتين، ويسرد بعض المواقف التاريخية التى جمعت بين المصريين برافديهما المسيحى والمسلم كما حاول الدكتور حيدر (٢٢) أن يطرح السؤال عن مدى وجود لاهوت تحرير إسلامى، والدكتور ميلاد حنا(٢٣) كتب أكثر من مرة فى ذلك الموضوع وبالمثل د. حسن حنفى ولكن مازال أمامنا الكثير الذى علينا أن نكتبه معا لنرد على تحديات المستقبل وما يفرضه علينا عصر العولمة وعصر التكنولوجيات المتقدمة من هندسة وراثية إلى ثورة فى البيولوجيا والاتصالات والمعلومات.

كيف نجعل من الديانتين طاقات للنور والإبداع والتحرر من الخرافات ومن العقليات المتحجرة؟ كيف نمارس التفسير المستتير الذى يدفعنا إلى الأمام ويشحذ هممنا فى الإبداع على كل صعيد من الاقتصاد إلى السياسة إلى الفن والثقافة؟

إن الجماعة المسيحية فى مصر من أقدم الكنائس فى العالم وترجع إلى العصر الرسولى أى القرن الأول الميلادى، فهى ليست غريبة عن مصر والبحر المتوسط كما هو الحال فى دول آسيا فكل رموزها ومؤسساتها وثقافتها غير منفصلة عن الرموز المصرية والعربية والإسلامية، والإسلام دخل مصر منذ ظهوره فى القرن السابع الميلادى وأصبح الأزهر الشريف محط أنظار المسلمين فى العالم أجمع.

فهل نستطيع أن نبدع لاهوتا تحريريا إسلاميا مسيحيا بالتعاون مع أصحاب الديانات الأخرى يتخذ من الروحانية التى تحملها أدياننا ترياقا ضد الجمود والازدواجية والتعصب، هل نستطيع أن نجعل من النماذج الرائدة فى الرهبانيات المسيحية بروافدها المختلفة والتصوف الإسلامى بمدارسه المتعددة منطلقا إلى التنمية الاقتصادية والبشرية والحضارية يربط روحانية الديانتين بالفقر الاختيارى للوقوف سدا منيعا فى وجه قانون "اقتصاد السوق" الذى ينذر بالتهام الأخضر واليابس من قيمنا الثقافية والروحية والحضارية وفى وجه الدعوة إلى الاستهلاك السفيه؟

هذا وبالله التوفيق...

الفصل الثالث

نظرة مسيحية على الأحداث الجارية
الانتفاضة الفلسطينية×

× مقالة نشرت فى مجلة (رفاق الكرمة) عدد مايو ١٩٨٨ القاهرة

منذ نحو شهرين ونحن نستمع إلى الإذاعات المحلية والأجنبية ونقرأ فى الصحف عما اصطلح على تسميته بالانتفاضة الفلسطينية أو انتفاضة الحجارة.

فهل حاولنا أن نكتشف حقيقة ما يدور حولنا؟ هل تساءلنا عن مدى أهمية هذا الذى يحدث لجيراننا أم عملنا «ودن من طين وودن من عجين» كما يقول المثل؟ فضلنا الانشغال باهتماماتنا الضيقة الأنانية.. فيلم الأوسكار.. برنامج العالم يغنى.. الانكماش فى عملنا الروتينى.

١ - موقف الكنيسة من الانتفاضة:

إذا علمنا موقف الكنيسة الرسمى من قضية الشعب الفلسطينى فإننا سنقترب من الفهم، فحتى الآن ومنذ قيام دولة إسرائيل فى ١٥ مايو عام ١٩٤٨ لم يعترف الفاتيكان رسميا بهذه الدولة، وإذا علمنا أن البابا يوحنا بولس استقبل ياسر عرفات رمز الثورة الفلسطينية فى ١٥ سبتمبر ١٩٨٢ لتجلى لنا واضحا مقدار الاهتمام الذى تبديه السلطة الروحية بقضية هذا الشعب وتعاطفها معه.

والجدير بالذكر أن بين الفلسطينيين يوجد نحو

٢٨٠ ألف مسيحى نصفهم من الكاثوليك المنتمين إلى طوائف مختلفة والنصف الآخر ينتمى إلى الكنيسة الأرثوذكسية بطوائفها المختلفة. بالإضافة إلى كون المشكلة الفلسطينية مشكلة إنسانية بالدرجة الأولى ومن هذا المنطلق تهتم بها الكنيسة فإن بين الفلسطينيين أيضا مسيحيين يحتاجون إلى رعاية روحية تؤهلهم أيضا لخدمة أوطانهم.

وجاء تعيين البابا يوحنا بولس فى نهاية عام ١٩٨٨ لشخصية فلسطينية عربية بطريركا على كرسى أورشليم للكاثوليك اللاتين بعد أن كان البطريرك يعين دائما من الجنسيات الغربية رمزا لتعاطف الفاتيكان مع القضية الفلسطينية وحظوة فعلية لجعل المسيحيين العرب أكثر تلاحما مع إخوتهم المسلمين فى فلسطين للمساهمة فى إقامة صرح السلام فى هذه المنطقة المضطربة التى كانت مهدا للأديان الثلاثة والتى شهدت مولد المسيح ملك السلام والتى أصبحت اليوم مسرحا للقتل والظلم والدمار.

من هو البطريرك الجديد؟ هو الأب ميشيل صباغ من مواليد الناصرة.. بدأ خدمته الكنسية فى الناصرة وتنقل بعدها فى عدد من الدول العربية مما أكسبه علاقات وخبرات واسعة قبل أن يعين كرئيس عربى لجامعة بيت لحم التى أسسها الفاتيكان عام ١٩٧٤ والتى أصبحت عضوا فى اتحاد الجامعات العربية.

قامت مجلة الحوادث بعمل مقابلة مع البطريرك الجديد، نورد هنا بعض ما جاء على لسان البطريرك فى هذه المقابلة. فردا على سؤال «الحوادث»: هل حملك البابا توجيهات خاصة؟ يقول البطريرك صباح .. البابا كراع أعلى يحمل التوجيهات الخاصة لكل راع

ولى كذلك.. فالتوجيهات أولها هى توجيهات روحية وتوجيهات دينية وتمنيات الصبر وبالقوة والنور.. ثم هى توجيهات للعمل من أجل السلام القائم على العدل ومن أجل الطمأنينة لكل إنسان يعمل ويعيش على الأرض المقدسة "وردا على السؤال كيف إلى تنظر الانتفاضة المستمرة فى الأراضى المحتلة، يقول: أنظر إلى الوضع على أنه يحتاج إلى علاج يحتاج إلى رعاية، يحتاج إلى عدل، يحتاج إلى من يؤمن بالإنسان وإلى من يشعر مع المتألمين حسب ما قال السيد المسيح أن تبكوا مع الباكين وسوف نبكى ولن نكف عن البكاء... فلنعمل جهدنا على أساس تخفيف ألم المتألمين".

وردا على سؤال : ما هو إمكان التنسيق بين زعماء الطوائف الأخرى فى فلسطين المحتلة قال:...." ما أتمناه أن يكون مجال التنسيق فيها ممكنا مع جميع الطوائف وزعمائها لأنه كما ذكرت آنفا كل مؤمن بالله يجب أن يؤمن بالإنسان ويجب أن تكون هناك نقطة لقاء بين جميع المؤمنين".

وردا على سؤال آخر: كيف تنظر إلى إلغاء احتفالات أعياد الميلاد هذا العام فى بيت لحم؟ قال...." ما تم فى الحقيقة هو إلغاء مظاهر هذه الاحتفالات الخارجية كتبادل التهانى والتمنيات وهى ليست المرة الأولى التى تلغى فيها هذه الأمور، فلقد حدث ذلك إثر نكسة الخامس من يونيو (حزيران) ١٩٦٧ فاقتصرت الاحتفالات على إقامة الشعائر الدينية"..

من هذه المقابلة مع البطريرك الجديد يمكننا أن نشعر أكثر بضرورة تضامننا مع إخوتنا الذين يعانون

القهر والإذلال وأن ندافع عن الحق لنسهم فى تحقيق السلام العادل.

ما هى القضية بالضبط؟

يمكن تلخيص قضية الشعب الفلسطينى بأنها قضية شعب أصبح فجأة بلا هوية ولا وطن فى عام ١٩٤٨ ولأسباب سياسية واقتصادية وعرقية اشترك فيها المجتمع الدولى. إن الحجارة التى يستخدمها الشعب الفلسطينى ضد المحتل الإسرائيلى من الأمور المضحكة المبكية فى عصر ابتدع فيه الإنسان أدق أسلحة الدمار وأفتكها.. إنها رمز الصمود والدفاع عن النفس ضد دولة تدعى التحضر والمدنية وتعامل الإنسان معاملة لا ترتضيها البهائم.

عندما يعامل الفلسطينى على أنه نفاية المجتمع ليس من حقه التنقل فى بلده إلا بتصريح، عندما يدمر منزله بحجة أنه متواطئ من منظمة التحرير، حينما يستولى الإسرائيليون على أرضه، حينما تحرق أشجار الزيتون التى تشكل مصدر رزقه حينما يحرم من أبسط حقوقه فى التعبير عن رأيه.. حينما تهمل مرافق الحياة من مياه ومجار.. ومدارس ومستشفيات.. حينما تدمر أحياء كاملة من وطنه للقضاء على معالم بلده بحجة بناء مستوطنات لليهود المهاجرين من الاتحاد السوفيتى وبولندا، ألا يبعث هذا على الاشمئزاز فى نفس الإنسان الذى مازال لديه بقية من الإحساس الآدمى؟

الحقائق بالأرقام:

تتضح المأساة أكثر عندما تترجم إلى أرقام وتواريخ فماذا تقول الأرقام عن وضع الفلسطينيين فى الأراضى المحتلة (الضفة الغربية وقطاع غزة) التى احتلت عقب عدوان ١٩٦٧ ؟ وما هو وضع الفلسطينيين الذين يعيشون تحت أحكام القوانين فى دولة إسرائيل؟

يبلغ عدد الفلسطينيين(٢٤) حسب الإحصائيات المتوافرة عام ١٩٨٢ نحو ٤ ملايين ونصف مليون شخص يشتملون على كل من بقى على قيد الحياة من المليون والأربعمائة ألف عربى فلسطينى الذين كانوا أحياء سنة ١٩٤٨ مع آبائهم وأحفادهم.

يمكن تقسيم الأربعة ملايين ونصف المليون على النحو التالى جغرافيا. فى مطلع يونيو عام ١٩٨٢ عام الاجتياح الإسرائيلى للبنان كان هناك:

١- نحو ١,٨٣٥,٠٠٠ فلسطينى لا يزالون يعيشون داخل حدود فلسطين المحتلة.

أ- ٥٥٠,٠٠٠ شخص يعاملون كمواطنين لإسرائيل.

ب- ٨٣٠,٠٠٠ شخص فى الضفة الغربية + القدس مواطنين أردنيين اسما ومحتلين فعلا.

ج - ٤٥٠,٠٠٠ شخص فى قطاع غزة - هم بلا جنسية لأنهم فلسطينيون - لا جواز سفر معترفا به عالميا.

٢- نحو ٢٦٦٥,٠٠٠ فلسطينى يعيشون خارج حدود فلسطين التاريخية نسبة كبيرة منهم موزعون على البلاد العربية على النحو التالى:

أ- ٢٤٥,٠٠٠ فى سورية.

ب- ٣٧٥,٠٠٠ فى لبنان.
ج- ١,٠٨٠,٠٠٠ فى المملكة الأردنية.
د- البقية دول عربية أخرى فى بقية العالم.

الفلسطينى.. إنسان كبقية الناس... يشعر ويتألم ويعبر عن هذا الألم.. يقول الشاعر الفلسطينى الكبير محمود درويش(٢٥) فى قصيدة عنوانها: يوميات جرح فلسطين متغنيا بالكرمل والجليل... مبينا الرباط الوجودى والكيانى الذى يربطه بهذه الأماكن

السنة	عدد المستعمرات	مساحتها بالدونم	مجموع العاملين فى الزراعة	نسبتهم إلى مجموع السكان
١٨٨٢	٥	٢٥,٠٠٠	٥٠٠	٠٠٠
١٨٩٠	١٤	١٠٧,١٠٠	٢,٧٧٠	٠٠٠
١٩٠٠	٢٢	٢٢٠,٧٠٠	٤,٩٥٠	٪٤
١٩١٤	٤٧	٤٢٠,٦٠٠	١١,٥٨٠	٠٠٠
١٩٢٢	٧١	٥٩٤,٠٠٠	١٤,١٤٠	٪١٦
١٩٧٢	٩٦	٩٠٣,٠٠٠	٢٧,٥٠٠	٪١٨
١٩٣١	١١٠	١,٠٥٨,٥٠٠	٣٧,٢٤٠	٪٢١
١٩٣٦	١٧٢	١,٣٩٢,٦٠٠	٧٨,١١٠	٪٢٢
١٩٣٩	٠٠٠	١,٥٣٣,٤٠٠	١١١,٢٥٠	٠٠٠
١٩٤١	٢٣١	١,٦٠٤,٨٠٠	٠٠٠	٪٢٣
١٩٤٤	٢٥٩	١,٧٣١,٣٠٠	١٣٩,٠٠٠	٪٢٥
١٩٤٦	٢٧٤	١,٨٠٧,٣٠٠	١٦٠,٠٠٠	٪٢٧

الحبيبة لديه.... لا تقولى : ليتنا نركض كالنهر إليها لا تقـــــولى... نحن فى بيت لحم بلادى. هى فينا.........

مأساة الهوية واللا جنسية........ جواز سفر يا سادتى.. يا سادتى الأنبياء لا تسألوا الأشجار عن اسمها. لا تسألوا الوديان عن أمها من جبهتى ينشق سيف الضياء ومن يدى ينبع ماء النهر كل قلوب الناس جنسيتى فلتسقطوا عنى جواز السفر...

مشكلة اللاجئين الفلسطينيين وسياسة الاستيطان الإسرائيلية:

فى عام ١٩٤٠ وقبل قيام الدول الإسرائيلية بـ ٨ آعوام كتب جوزيف ماتيس أحد المسئولين عن الاستيطان اليهودى فى فلسطين يقول : ينبغى أن يكون واضحا فيما بيننا أن هذا البلد (فلسطين) لا يمكن أن يتسع لكلا الشعبين..... إننا لن نحقق هدفنا فى الاستقلال إذا ما بقى العرب فى هذا البلد الصغير، والحل الوحيد يتمثل فى إفراغ فلسطين أو على الأقل فلسطين الغربية (غرب نهر الأردن) من العرب ... وليس ثمة وسيلة أخرى سوى نقل العرب الموجودين هنا إلى البلدان المجاورة - نقلهم جميعا - ينبغى آلا تبقى قرية واحدة أو قبيلة واحدة (٢٦).

هذا التصريح لا يحتاج إلى تعليق، فالهدف من تهجير الفلسطينيين واضح، هذا البلد لا يمكن أن يتسع لكلا الشعبين والوسائل أيضا واضحة.. والحجة التى تقول إن العرب باعوا أرضهم بملء حريتهم واهية؟ فهل نغمض الأعين على مثل هذه التصريحات المعلنة والأهداف المكشوفة والعقول التى خططت

لإفراغ الأرض من أصحابهـا وإن كانت الوسيلة هى الشراء..؟!

لقد كانت مصر واحدة من الدول العربية التى كان الصهاينة يستغلونها للتحضير للانقضاض على الأرض الفلسطينية بالطرق المشروعة فى الظاهر فى غفلة من الزمان كان فيه المصريون خاضعين للاحتلال الإنجليزى ومشغولين بالدفاع عن وطنهم.

فقبل ٥ سنوات من هذا التصريح وبالتحديد يوم ١٩٣٥/١/١١نشرت صحيفة (الشمس) اليهودية التى كانت تصدر فى القاهرة هذا الإعلان فى عددها الـ١٨ تقول:

إخوانى الإسرائيليون: إن فلسطين تناديكم بأعلى صوتها طالبة منكم أنتم أبناؤها الأبرار أن يشترى كل واحد منكم قطعة أرض بالنقد أو بالتقسيط وذلك بواسطة البنك على يد الوكيل الوحيد بالقطر المصرى مع التسهيلات فى الدفع وفى زيارة واحدة لمنزله.. فهيا اذهبوا إلى شارع عبد العزيز رقم ١١ شقة رقم ١٨ بالدور الرابع. عجلوا ولا تتأخروا إذ الأراضى يزيد ثمنها من يوم إلى يوم والمسألة فرصة عظيمة. الوكيل الوحيد : إبراهيم يعقوب سبرييل. المقابلة من الساعة ١,٣٠ إلى الساعة ٣,٣٠ بعد ظهر كل يوم.

إن نظرة شاملة إلى ما تم على أرض فلسطين منذ زمن بعيد وقبل هذا الإعلان البسيط فى القاهرة عام ١٩٣٥ يظهر لنا أن هذا الإعلان لم يكن مجرد دعوة لامتلاك أرض بل كان حلقة من حلقات اغتيال "وطن" وتشريد أهله لمصالح شعب آخر وتنفيذا لاستراتيجية مرسومة. ومن الطبيعى أن يتأثر الشعب الفلسطينى بسبب هذه السياسة التى لجأت إلى كل الوسائل المشروعة وغير المشروعة لانتزاع الأراضى والمساكن الفلسطينية.

لقد بدأت سياسة الاستيطان الإسرائيلى قبل قيام

الحركة الصهيونية رسميا. ففى عام ١٨٧٠ بالتحديد أنشأت مدرسة زراعية قرب مدينة يافا. وفى عام ١٨٧٨ أقاموا أول مستعمرة اسمها ابتاح تكفا إلا أنها فشلت وأعادوا تأسيسها عام ١٨٨٣ مع قدوم الاستيطان. ويمكن من خلال الجدول الآتى ملاحظة كيفية تطبيق سياسة الاستيطان فى فلسطين وتطورها منذ عام ١٨٨٣ حتى ١٩٤٦(٢٧).

من الجدول السابق يلاحظ تزايد عدد المستوطنات المستمر. كما يلاحظ أن أكثر المستوطنات قد بنيت فى عهد الانتداب البريطانى (مابين ١٩١٤ - ١٩٤٨) وقد استمرت هذه السياسة حتى يومنا هذا، وبعد قيام دولة إسرائيل من عام ١٩٤٨ حتى ١٩٥٣ أقيمت فى ٣ سنوات فقط ٣٧٠ مستوطنة زراعية جديدة. كان تصميمها يقوم على مبدأ الاستراتيجية العسكرية التى تهدف إلى إنشاء مستوطنات حدودية ذات أهمية استراتيجية.

خلال الفترة من ١٩٤٨ حتى حرب ١٩٦٧ تحولت أكثر من ٤٠٠ قرية عربية فلسطينية إلى مستوطنات إسرائيلية بعد إزالتها وطرد سكانها منها .(٢٨)

بلغت مساحة الأراضى التى صادرتها إسرائيل فى الضفة الغربية منذ عام ١٩٦٧ حتى عام ١٩٨١ (٢,٨٦٧,٣٣٠ دونم)(٢٩) أى ٣٤٪ من المساحة الكلية للضفة الغربية. كما بلغ مجموع المستوطنات التى أقيمت فى الضفة فى الوقت نفسه ١٦١ مستوطنة.

الفلسطينيون يتحدثون : شهادة حية:

محمد توفيق محمود يقول: كنت نائبا لرئيس بلدية ويحكم مركزى طلبت منى السلطات الإسرائيلية التعاون معها.. حيث دعانى الحاكم العسكرى عدة

مرات ووجه لى أحد ضباط المخابرات تهمة تجريض الناس على رفض شراء البضائع الإسرائيلية.. ورفض حضور اجتماعات البلدية التى كان يحضرها الحاكم العسكرى الإسرائيلى. تم اعتقالى فى سجن جنين... ثم أبعدت إلى جسر الأردن فى ٢٥/١/١٩٦٨ حيث تم تعصيب عينىّ وتكبيل يدىّ بالحديد، ولم يسمحوا لزوجتى بالحضور لزيارتى إلا بعد ٥ سنوات... أولادى ما زالوا يقيمون فى الأرض المحتلة أحدهم سجن ١٠ سنوات والثانى سجن سنة ونصف السنة والثالث سنة.(٣٠)

عبد الحفيظ عيسى: أنا من قضاء الخليل سجنت المرة الأولى عام ١٩٦٧، قضيت ٦ أشهر فى سجن الخليل ثم فى سجن نابلس وبيت لو.... وعندما غلب الإسرائيليون فى أمرى أصدروا قرارا بنسف المنزل الذى أقيم فيه... وكانت التهمة الموجهة إلى هى مساعدة الفدائيين. عمرى ٧٥ سنة وأعيش فى الأردن الآن.(٣١)

موقف الكنيسة المصرية من القضية الفلسطينية:

على الرغم من أن المسيحيين فى مصر هم جزء لا يتجزأ من نسيج المجتمع المصرى ويتعاطفون مع كل القضايا الوطنية التى تثير اهتمام كل مصرى فإنه من المناسب أن نذكر أن موقف السلطة الكنسية متضامن مع الشعب الفلسطينى بشكل خاص. وقد كرر البابا شنودة تأكيداته سواء من خلال الصحف أو اللقاءات الشخصية مع المسئولين أن زيارة القدس بالنسبة

للمسيحيين الأقباط لن تتم إلا مع إخوانهم المسلمين. وفى حديثه عن الانتفاضة يقول: "نحن لا نقر إطلاقا الاعتداء على الأطفال ولا نقر الاعتداء على النساء وعلى المستشفيات والجرحى.. إننا نصلى من أجل الفلسطينيين ومن أجل شهدائهم". (٣٢)

مشكلة دير السلطان:

دير السلطان من الأماكن العربية المقدسة فى مدينة القدس العربية الذى يعتبر سببا للنزاع بين مصر وإسرائيل ويرجع تاريخ بنائه إلى عام ١٠٩٢م. ففى هذا العام استطاع منصور التلبانى أحد الولاة الأقباط الحصول على ترخيص من السلطان العثمانى لبناء هذا الدير فوق كنيسة القيامة. ورغم قرار الحكومة البريطانية عام ١٨٦٨ الذى أقر حق الأقباط المصريين فى ملكية الدير وكنيسته، ورغم معاهدة برلين الدولية ١٨٧٨ التى نصت على تبعية الدير للكنيسة المصرية. (٣٣) فإن الحكومة الإسرائيلية منذ احتلال ١٩٦٧ قامت بمضايقة المطران القبطى المسئول عن الدير.

وفى عام ١٩٧٠ قامت بطرد الأقباط وإعطاء الدير للأحباش إلا أن الأقباط رفعوا الأمر للقضاء الإسرائيلى فى حينه. ولكن الحكومة الإسرائيلية لا تريد تنفيذ حكم المحكمة الإسرائيلية التى حكمت بتسليم الدير للمصريين الأقباط، والمعروف أن الاعتداء على مكان مثله يظهر مدى التعنت الإسرائيلى والتلاعب بأبسط القوانين الدولية وحقوق الإنسان.

ولا شك أن إسرائيل بهذا التدخل السافر

والاستيلاء على المقدسات القبطية المصرية تود الضغط على الكنيسة المصرية لتتخذ مواقف متعاطفة مع إسرائيل ضارية عرض الحائط بالمشاعر الوطنية للأقباط المصريين، ومازال دير السلطان من الموضوعات المتازع عليها بين جمهورية مصر العربية وبين إسرائيل.

الخاتمة

حتى كتابة هذا المقال سقط أكثر من مئات القتلى الفلسطينيين بينهم أطفال ونساء على أيدي الإسرائيليين.. ومازالت الانتفاضة مستمرة فما العمل نحن لا ندعو إلى العنف والدين المسيحي يعلمنا أننا رسل للمصالحة نحن نريد السلام بقي أن نترجم هذه المبادئ إلى أعمال أن فهم أي مشكلة هي البداية الصحيحة إلى حلها أي في حالتنا نحن يمكننا المساهمة في حل المشكلة الفلسطينية إذا بدأنا بعمل مجهود لفهم القضية.

نحن نؤمن بأن البشر كلهم أخوة وأخوات في أسرة واحدة الله هو أبوها وبالتالي بكل أسرة توجد مشكلات فهذه هي حدود البشر من هذا المنطلق يمكننا أن نتحرك كل واحد بحسب إمكانياته ومن الأشياء التي يمكننا جميعا أن نقوم بها هو الاضطلاع والقراءة المتأنية لتاريخ المشكلة الفلسطينية... هذا المجهود لن يكلفنا لا ساعة ولا ثانية واحدة حتى نقضيها في السجن ربما سنضيع هذه الساعة أو حتى الساعات في القراءة والسؤال والمناقشة. أليس هذا أفضل من ترديد المغالطات والإشاعات التي تفاقم من

المشكلة وتجعلنا عناصر غير صالحة للقيام بعمل المصالحة

أن الوصول إلى الحقيقة عملية شاقة ومضنية. ولكنها مسؤولية كل إنسان عاقل وعنده قدر ضئيل من المسؤولية فإذا كنا حقا نرفض العنف ونرفض سفك الدماء فلماذا لا نبذل المجهود الكافي لنحذر الظالمين والقتلة إن الإسرائيليين من حقهم كبشر أن يعيشوا بالأسلوب الذي يريحهم ولكنهم أيضا بصفتهم بشر مثل كل الآخرين ليس من حقهم أن يحرموا الأخرين من حق الحياة (التهجير ونسف المنازل).

التضامن مع المظلومين يأخذ أشكالا متعددة وليس التضامن مع الفلسطينيين معناه ضرورة الالتجاء إلى العنف: هناك تبرعات مادية للفقراء منهم هناك مساندة معنوية - هناك إدانة شفوية أو تحريرية للسياسة الإسرائيلية - هناك زيارة المسجونين التبرع بالدم تعزية العائلات التي فقدت أبناءها ...الخ هناك وسيلة مخاطبة الهيئات الدولية التي تعمل من أجل السلام.....

إن بناء الإنسانية مهمة كل إنسان مزود بالعقل والقلب ولكنها أيضا مهمة مسيحية فلا مبرر للتكاسل والهروب من الميدان فإذا أردنا أن نبني عالما جديدا يجب أن نبدأ من الآن ونكمل الذي بدأه السابقون نحن جزء من المجتمع المصري ونحن نتفاعل مع الأحداث المحيطة بنا. يجب أن نتعلم كيف نعطي حينما تحين ساعة العطاء... ونعطي الجميع بلا استثناء. لدينا مشاكلنا الشخصية ولكن يجب أن نتعلم

كيف نتعاطف أيضا مع مشاكل الآخرين مشاكل الوطن مشاكل الحضارة... البشر.. علينا أن نتحول من النظرة الأنانية البحث عن الخلاص الفردي إلى البحث عن الخلاص الجماعي....

كونوا كاملين مثل أبيكم..........

الفصل الرابع

الكنيسة فى فلسطين المحتلة ×

× مقالة نشرت فى مجلة (رسلة الكنيسة) عام ١٩٩٣ - القاهرة

مقدمة

يأتى عيد الميلاد المجيد من كل عام ومازالت فلسطين، البقعة التى شهدت هذا الميلاد العجيب- موطن السيد المسيح- واستقبلت الأديان الثلاثة والتى انطلقت منها الشرارة الأولى لعمل الله الخلاص، مسرحا للعنف وسفك الدماء.

ولعل عيد الميلاد يكون مناسبة جيدة لكى نلقى بعض الضوء على مأساة هذا الشعب الذى مازال يعيش مأساة إنسانية بكل المقاييس والذى ينتظر انقشاع الظلمة عنه لينعم بنور التمتع بحقوقه الأساسية، كبقية الشعوب، ليهتف مع أشعياء النبى من. جديد "الشعب السالك فى الظلمة أبصر نورا عظيما"....

لقد ارتبط فى أذهان غالبية المسيحيين فى مصر أن القضية الفلسطينية التى خاض الشعب المصرى فى سبيلها أربع حروب (١٩٤٨ - ١٩٥٦ - ١٩٦٧ - ١٩٧٣) هى قضية سياسية فى المقام الأول... وعلى الرغم من سقوط الشهداء من مسيحيين ومسلمين جنبا إلى جنب فى مصر وفى فلسطين فى هذه الحروب فى سبيل تحرير الأرض إلا أنه يحلو للبعض أن يصم آذانه عن صرخات الأطفال والأرامل

والشباب وكأن المسألة لا تستحق الوقوف عندها. وكأن هذه الحروب مجرد نزهة لتحقيق الأمجاد وليست تعبيرا عن شعور عارم بضرورة الدفاع عن حقوق أساسية فقدها أكثر من ٤ ملايين فلسطينى داخل أو خارج فلسطين فقدوا الهوية والحق فى السكنى والتملك وحرية ممارسة حقهم فى التنقل فى بلدهم وممارسة أنشطتهم الثقافية والاجتماعية والروحية والوجدانية. كأى إنسان آخر فى أى مكان فى العالم.

ويجهل الكثيرون من المصريين أن كل فلسطين المحتلة بها ما يزيد على ٣٠٠ ألف (ثلاثمائة ألف مسيحى) يعيشون جنبا إلى جنب مع إخوتهم المسلمين فى ظل ظروف أقل ما توصف به أنها لا إنسانية وغير آدمية. هؤلاء المسيحيون موجودون فى الضفة الغربية وفى قطاع غزة وهم عرب يحتفلون بقداستهم باللغة العربية ويمارسون حقوقهم باللغة العربية ويعتزون بتاريخهم وانتمائهم إلى الحضارة العربية فهم فلسطينيون ولكن فقدوا الوطن أحيانا، يعتبرون مواطنين إسرائيليين ولكن من الدرجة الثانية هؤلاء المسيحيون هم أحفاد بطرس ويعقوب وأندراوس. وأبناء أول كنيسة فى الوجود.. كنيسة آورشليم.. أم كل الكنائس التى سبق وجودها كنيسة روما نفسها.

إن مأساة هذه الكنيسة عظيمة جدا ولكن شجاعتهم تفوق الوصف فمثل جميع الفلسطينيين هم عرضة للقهر الإسرائيلى.. وهم موجودون فى "الناصرة" وفى "بيت لحم" وفى "رام الله" وفى "القدس" وفى "بيت سحور" وفى "بيت جالا".... منهم أرثوذكس وكاثوليك أرمن ويونانيون... ولكن جمعتهم

الأرض التى عاش على ثراها السيد المسيح كما جمعتهم الرغبة فى الدفاع عن أرضهم وتاريخهم ضد الظلم والاستبداد واستعدادهم للتضحية بكل غالٍ ورخيص.

شهادة حياة المسيحيين الفلسطينيين:

ولدت جلوريا داود ناصر فى مدينة بيت لحم المكان الذى ولد فيه المسيح، تعمل مدرسة فى مدارس الأحد وملتزمة مع الشباب فى رعيتها، رفضت رفضا مطلقا أن تترك مدينتها رغم التعنت والاحتلال والتعرض المستمر للخطر خاصة منذ بداية الانتفاضة خاصة أن جيش الاحتلال الإسرائيلى يقطن على مقربة من منزلها. فى حديثها إلى أحد المراسلين الأجانب فى العام الماضى سألها عن كيفية الاحتفال بعيد الميلاد قالت "العساكر موجودون فى كل مكان فى الشوارع ولا يسمح لنا بالخروج من منازلنا" ورغم ذلك تشكر الله لأنها ولدت وتعيش فى هذه الأرض المقدسة وتدعو الرب أن يحل السلام فى وطنها.

جلوريا تتساءل لماذا عقد الرب فى العهد القديم عهدا مع الشعب الإسرائيلى؟ وتجد صعوبة حينما تصلى نشيد العذراء عند اليصابات فهى لا تحب أن تردد جملة «.. إسرائيل فتاة..» الموجودة فى إنجيل لوقا: نظرا لما تلاقيه من صنوف العذاب على يد جنود الاحتلال.

الأب شمالى نائب مدير المعهد الإكليريكى الكاثوليكى فى بيت جالا القريبة من أورشليم يشكر الله أنه فلسطينى يعيش على الأرض التى ولد فيها

المسيح ويعتبر وجوده كمسيحى عربى علامة على استمرار الكنيسة وأمانتها للمسيح وكلمته على هذه الأرض فرغم الشعور بالظلم والإحباط يرى أن التضامن مع الشعب الفلسطينى فى محنته هو محور صلاته وآماله فى غد مشرق لبلاده.

ومنذ بداية الانتفاضة فى بيت لحم أو بيت جالا فإن أغلب الشباب المسيحيين ذاقوا أهوال السجن ولو مرة واحدة. وتلاوة المزامير هى الصلاة المفضلة إلى الجميع لأنها تعبر فعلا عن صراخ المؤمن المتألم..." يا رب إلى متى تنسانى.."، فى بيتِ جالا وحدها سقط أكثر من ستة شهداء من أطفال الحجارة حتى الآن منذ بداية الانتفاضة.

وجوه فلسطينية ملتزمة:

إلى جانب المسيحيين العرب الذين يعيشون بين مواطنيهم يشاركونهم فى السراء والضراء ويرفعون الصلاة ليزيح الرب هذه الغمة عن الوطن هناك بعض الوجوه الفلسطينية التى فضلت أن يكون لها دور رائد فى النضال، فهم أعضاء فى منظمة التحرير الفلسطينية مثل جورج حبش ونايف حواتمة وهم مناضلون متشددون فى محادثات السلام. ومنهم أيضا المطران ميشيل صباح مطران أورشليم الذى يدعو للمصالحة وتحقيق العدالة على أرض السلام.

حنان عشراوى:

تشير بطاقة هويتها إلى أنها من القدس واسمها الأصلى حنان ميخائيل وكان والدها يعمل طبيبا فى

القدس وهى واحدة من أربع شقيقات. أما اسم "عشراوى" فقد اكتسبته من زوجها إميل عشراوى الذى تعرفت إليه فى الولايات المتحدة عندما كانت تدرس للدكتوراة فى جامعة فرجينيا ويعمل زوجها الآن مصورا فى مكتب الأمم المتحدة فى القدس وليس له دور سياسى بارز.

وكانت تعمل حنان عشراوى مدرسة للأدب الإنجليزى فى جامعة بير زيت الفلسطينية وحصلت على درجة عمادة كلية الآداب ولها ابنتان أمل وزينة.

برز دورها السياسى منذ عام ١٩٨٧ وبالتحديد مع بداية الانتفاضة الفلسطينية التى كانت نقطة تحول فى حياتها. وكانت أول مرة استدعاها الحاكم العسكرى فى عام ١٩٧٣ حيث كانت عائدة لتوها من الجامعة الأمريكية فى بيروت بعد أن حصلت منها على درجة الماجستير فى الأدب الإنجليزى ووجهوا إليها تهمة الانضمام إلى اتحاد الطلبة الفلسطينيين فى بيروت وبعد استجواب استمر عدة ساعات أطلقوا سراحها بكفالة ٥٠٠ ليرة. ومنذ ذلك الوقت اعتادت أن تجد رجال الأمن الإسرائيليين فى انتظارها لدى عودتها من أى رحلة من الخارج.

أكبر مشكلة تشغل بال حنان عشراوى الآن هى الاستيطان الإسرائيلى فى الأراضى العربية المحتلة. كانت هذه المشكلة محور تصريحاتها فى مؤتمر السلام فى مدريد.. كما تركز فى أحاديثها على ضرورة الوصول بأسرع وقت إلى اتفاق على إقامة الدولة الفلسطينية لأن طول الانتظار سيؤدى إلى

التهام الأرض الفلسطينية وبالتالى ضياع الحق الفلسطينى. أنها نموذج المرأة الفلسطينية المكافحة.

جورج حبش : أمين عام الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

تربو سنه على الستين عاما. يسميه الفلسطينيون "الحكيم" ويطلق عليه الغرب وأمريكا لقب "الإرهابى الطائر" نظرا لشهرة منظمته فى خطف الطائرات فى السبعينيات. ويعتبر جورج حبش أن الحق الفلسطينى واضح كالنهار وأن الصهيونية العالمية والموالين لها لم يكن لهم أن يستمعوا ويتحركوا إلا باستخدام الوسائل العنيفة لتعريف الغرب والعالم أجمع بأن هناك قضية اسمها "القضية الفلسطينية" وإذا كان العنف ليس من مبادئ المسيحية ولا تقرها فإن الظلم وامتهان الحقوق جعل حبش وغيره من المناضلين يترقبون كل بادرة آمل للوصول إلى حقهم بالطرق السلمية ونبذ اللجوء للعنف.. ومازالت منظمة حبش تعمل من خلال الانتفاضة فى الأرض المحتلة من خلال القيادة المشتركة لكل الفصائل الفلسطينية وبالحجر أمام البندقية الإسرائيلية.

وأصيب جورج حبش بالشلل النصفى نتيجة لعملية جراحية فى المخ نقل على أثرها إلى فرنسا وقد تسبب ذلك فى أزمة سياسية كبيرة فى فرنسا على اعتباره أنه إرهابى وليس مناضلا. ويعيش الآن بعيدا عن وطنه فى دمشق. وعسى أن تسفر مباحثات السلام عن طى صفحة العنف فى المنطقة.

البطريرك ميشيل صباغ:

ولد في الناصرة منذ ٥٩ عاما، عين بطريركا للكنيسة العربية اللاتينية في أورشليم كما تخضع له كنيسة الأردن وقبرص وبغداد هذه الكنيسة نحو سبعين ألفا. حصل البطريرك قبل تعيينه على ليسانس في علوم اللغة العربية كما حصل على درجة الدكتوراة من جامعة السربون في باريس حول "الفيلولوجية العربية" كما يجيد عدة لغات. ولأنه من أصل فلسطيني وعاش المأساة الفلسطينية من منذ نشأته فهو أقرب الناس إلى شعبه.

يعتبر موقفه دقيقا نظرا لحساسية الظروف التي تعيشها البلاد ولكن كالراعي الصالح يضمد الجراح ويشدد المتخاذلين ويرفع صوت المظلومين في المحافل الدولية ويدعو للمصالحة. ومنذ الانتفاضة يساهم في لم شمل الشعب الفلسطيني ويدعو إلى المقاومة اللاعنفية. وهذا لا يعني السلبية ولكن المقاومة الإيجابية التي تستلهم الاقتداء بالمسيح الذي قاوم ظلم اليهود وعدم فهم الأقربين والأبعدين بجهوده وأمانته لأبية ولرسالته حتى قام من الأموات. كما يستلهم مبادئ مارتن لوثر كنج محرر العبيد في آمريكا وغاندي محرر الهند من الاستعمار البريطاني.

هذه بعض النماذج للمسيحي الملتزم بإيمانه ووطنه الذي يخرج من أنانيته ليتسع قلبه وعقله لكل المتألمين والذي يربط خلاصه الشخصي بخلاص شعبه عسى أن يكون عيد الميلاد هذا العام ذا مذاق خاص على إخواتنا الفلسطينيين بكل فصائلهم وعلى مصر وعلى عالمنا الكبير حتى نفرح مع أشعيا قائلا "الشعب الجالس في الظلمة أبصر نورا عظيما".

الفصل الخامس

قيامة المسيح... وتحرير فلسطين×

× مقالة نشرت فى (جريدة المصالحة) عدد مايو ٢٠٠٢

كيف يمكننا أن نتحدث عن قيامة المسيح اليوم ونحن نعيش كابوس الجمعة العظيمة فى مهد المسيح وعلى كل الأراضى الفلسطينية التاريخية؟ منذ ألفى عام حدثت جريمة قتل اقترفها رؤساء الكهنة وأحبار اليهود بالتعاون مع المحتل الرومانى. هذه الجريمة كان ضحيتها يسوع الناصرى اليهودى وعلى أرض فلسطين التاريخية. والحجة كانت فى ذلك الوقت مزدوجة، أولا أعلن نفسه "ابن الله" وثانيا "كسر السبت" وهو اليوم المقدس عند اليهود. إن يسوع المسيح ابن الله الحى "نزل من السماء" كما نقول فى قانون الإيمان المسيحى لكى يبين لنا طريق الخلاص بعد أن عجز الأنبياء ورؤساء الكهنة عن الفهم الحقيقى لدور الشريعة الموسوية وأفرغوها من مضمونها الحقيقى: خلاص الإنسان وجعلوها مجرد شعائر وطقوس جوفاء.

أراد يسوع المسيح أن يصحح المفاهيم بنفسه فكسر يوم السبت الذى كان يطبقه الكهنة والفريسيون بطريقة حرفية وعمياء.. فشفى المرضى وأقام الموتى وفتح عيون العميان وأبرأ البرص فى يوم السبت.

وهكذا أعطى لعطلة السبت التى كانت تفرضها الشريعة مفهوما جديدا يكون فيه "خلاص الإنسان" وحياة الإنسان" فوق كل اعتبار.. وأن راحة السبت لا

تعنى جعل الجرحى ينزفون والعميان يتعثرون بل كان المقصود منها الكف عن اللهث وراء الكسب المشروع وغير المشروع والتذكرة بأن يوم الرب هو يوم للاحتفال بالحياة وزيارة المرضى وإطعام الجوعى..الخ...

إن رسالة يسوع الناصرى الخلاصية جاءت لتحرير المرضى والعرجان والكسحان والبرص وغيرهم من قهر رؤساء الكهنة، فأفرغت خزائنهم ومجامعهم من دافعى الضرائب من الفقراء. والتف الشعب اليهودى البسيط حول هذا الناصرى الذى عاملهم "بالرحمة" فارتجف رجال الدين حزنا على مكاسبهم الشخصية وبدأوا يدبرون المكائد إلى أن وصلوا إلى التهمة "أن يسوع ليس فقط يكسر قوانين السبت ويفرغ خزائن دعاة مراعاة السبت الدجالين بل يدعى أنه "ابن الله". فقد وصل إذن إلى مرحلة "الكفر"!!

وما أشبه اليوم بالبارحة.."فالكفر اليوم وبعد ٢٠٠٠ عام هى التهمة التى توجه لكل شخص يحاول فضح الظلم وتعرية قداسة رجال الدين "نقصد الذين يستغلون الدين لمكاسب شخصية" من كل ملة ودين.. هذه التهمة بالكفر مازالت توجه لكل شخص يهاجم الأصوليات المسيحية واليهودية والإسلامية والبوذية.. وغيرها.

لقد نسى الشعب اليهودى أن العهد القديم كان يعتبر "شعب اليهود نفسه" "ابن الله"... والملك داود "ابن الله" وأن هذه الصفة كانت تطلق على كل من له علاقة خصوصية بالله الخالق والمحب والرحيم.

وهكذا عميت قلوبهم عن اكتشاف أن "يسوع الناصرى" مع كل الخير وكل المعجزات وكل ما كان

يفعله لتحرير الإنسان الفقير والمظلوم.. هو فعلا "ابن الله" لأن الصورة التى كانت ثابتة لديهم أن الله لا يمكن أن يكون إلا جبارا ومتعاليا وقاضيا قاسيا.. وأنه سيأتى ليقيم مملكة داود بالحديد والنار.

إذن تحالف رؤساء الكهنة وأوغروا صدور أبناء الشعب البسيط بوسائلهم الإرهابية واستخدام "النصوص المقدسة" استخداما يتماشى مع مصالحهم.. وتحالفوا مع المحتل الرومانى "بيلاطس البنطى" لقتل يسوع حيث لم يكن من حقهم تنفيذ عقوبة الموت بل من حق الحاكم الرومانى.. واستصدروا أمرا من بيلاطس لصلب يسوع المسيح.. وكانت الجمعة الحزينة على أرض فلسطين.

ولقد غالى اليهود فى التأكد من إسكات هذا الصوت الذى فضحهم أمام أنفسهم وأمام شعبهم فأمعنوا فى الرغبة فى التأكد من موت يسوع بعد تعذيبه وجلده بل طلبوا من الحاكم الرومانى فى ذلك الوقت أن يضع حراسا على القبر وختمه بالشمع الأحمر حتى لا تتحقق نبوءة الكتاب وإعلان المسيح نفسه أنه سيقوم "فى اليوم الثالث".

ولأن المحبة لا تسقط أبدا كما يقول القديس بولس فى رسالته إلى أهل كورنتس ولأن الله محبة ولأن المحبة أقوى من الموت فقد قام المسيح فى اليوم الثالث وقهر الموت بالموت بقبوله أن يبرهن على حبه للإنسان كل إنسان بأنه مستعد للذهاب فى تضامنه معه حتى

الموت حبا وهو متيقن أن مساعى هذا الشعب "غليظ الرقبة" ستفشل لا محالة.. فقد خاب مسعاهم وظهر فشلهم عن إسكات صوت الحق كما قال هو نفسه أمام بيلاطس أثناء محاكمته.."جئت لأشهد للحق".. فى شجاعة منقطعة النظير وغفران إلهى نطق به على الصليب.."اغفر لهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون".

وبعد قيامة المسيح فتح الباب لنا جميعا وأثبت أن القيامة ضرورة إلهية وإنسانية لمعنى خلقية الله المحبوبة ولكل من يعترف أنه خليقة الله ويسعى للاعتراف بفضل الله عليه.

واليوم عام ٢٠٠٢م ومهد المسيح يداس وينتهك من قبل قوات الاحتلال الصهيونى اليهودى. والشعب الفلسطينى الأعزل عرضه للمجازر والذل والتكبيل والتعذيب والسجن الطرد والحرمان من أبسط حقوق الإنسان فنحن مازلنا فى "الجمعة الحزينة" بعد ألفى عام يعود الصهاينة بالتحالف مع "رومان هذا العصر" الولايات المتحدة الأمريكية، ينفذون حكم الإعدام فى شعب أعزل بأكمله بحجة أنه شعب إرهابى فقلبوا الأمور وجعلوا من الضحية جلادا لتنفيذ مآربهم العنصرية والإمبراطورية.

فنحن مازلنا منذ ٥٠ عاما ومنذ سنة ١٩٤٨ مرورا بكل الحروب التى قامت فى "جمعة عظيمة حزينة" لن نخرج منها إلا بالإيمان الراسخ بأن "القيامة" لابد آتية. وأن الفجر لابد سيبزغ وأن الدبابات والصواريخ وكل تكنولوجيا الموت التى طورتها عقول البشر فى

العالم الغربى وعلى رأسها الولايات المتحدة لن تمنع الشعب الفلسطينى والشعوب العربية من الاحتفال المظفر بيوم القيامة.. هذه القيامة التى اكتسبها لنا يسوع المسيح الناصرى المولد اليهودى المنشأ صاحب الخلاص الشامل الذى أكسبه لكل الشعوب وكل الأعراق وكل الأجناس.

إن عنصرية المتطرفين اليهود اليوم وأتباعهم لن تمر.. وإن خلاصهم من شرور أنفسهم لن يتم إلا بالاعتراف "بقيامة" الشعب الفلسطينى وإعلان دولته واستقلاله واحترام حقوقه الأساسية فمهما طالت ظلمة هذه "الجمعة الحزينة" فإن إيمان هذا الشعب وإيماننا جميعا يدعونا للتضامن معه حتى نقوم معه.

أما الذين يقعدون فى أماكن المتفرجين، والمغيبون كتابيا (فهم النصوص المقدسة فهما أنانيا ومصلحيا وعاطفيا"، والمغيبون إعلاميا (لأسباب سياسية أو مكاسب وقتية..) فلن يفيقوا إلا وهم يجرون أذيال عذاب الضمير وخيبة الأمل بعد أن ربطوا مصيرهم بمصير "الأقوياء والجبارين وملاك الترسانات الحربية وقتله الأطفال".

وحينها سيقول لهم القائم من بين الأموات.."لقد كنت مريضا فلم تزورونى وعريانا فلم تكسونى وسجينا فلم تزورونى وغريبا فلم تأوونى... لأن كل مرة لم تفعلوا ذلك بأحد إخوتى الصغار فبى لم تفعلوا.. اذهبوا عنى..".

فهل نفعل..؟ ونتضامن مع المرضى والمسجونين

والمظلومين والعرايا.. ونساهم فى تحرير الأرض واحترام العرض حتى نشعر بفرح عيد القيامة الحقيقى!!.. هذا العام.. والأعوام القادمة؟

نعم.. قام المسيح حقا قام.. وظهر لبطرس وبولس وتلميذى عماوس ومازال يظهر اليوم لكل إنسان يتجرأ ويفضح الظلم والشر ويقف إلى جانب الحق.. سيقوم الشعب الفلسطينى من وسط الأعمال الهمجية الإسرائيلية صامدا وحرا رغم أنف رؤساء كهنة اليوم من أمثال شارون وبوش.

الفصل السادس

تطبيق حقوق الإنسان فى الكنيسة المصرية ×

× محاضرة ألقيت فى مؤتمر العدالة والسلام فى ١٩/ ٣ / ١٩٨٨ - القاهرة

ملاحظة ضرورية:

المسيحيون المنتمون للكنيسة بروافدها وتقاليدها المختلفة (أرثوذكس - كاثوليك - إنجيليين - أسقفيين..) هم مصريون خالصون.

- ولدوا فى مصر وتربوا فى مدارسها وترعرعوا على ضفاف نيلها ودرسوا فى جامعتها وأرسلوا ربما إلى بعثات خارج البلاد مثل آقرانهم المسلمين... وشربوا عاداتها وتقاليدها الاجتماعية ويؤثرون ويتأثرون بغيرهم من المصريين.

لذا حينما نتحدث عنهم فحن نتحدث عن مصر بكل فئاتها الاجتماعية والطبقية والأيديولوجية. حين نتحدث عن الدين فكل المصريين متدينون. وحين نضيف صفة المسيحية فإننا نتحدث عن خصوصية الكنيسة المصرية وعراقتها على مستوى الكنائس فى العالم. ويمكن قول الشىء نفسه عن الدين الإسلامى فى مصر فيما يختص بعراقة الأزهر كمنارة العلم وعراقة المسيحية فى مصر منبع افتخار للمسلم قبل المسيحى.. وفى فترات التاريخ المصرى العريق توحدت العقيدة الدينية المسيحية وتماهت مع الهوية الوطنية خاصة فى

- الفترة من ٤٥١ ميلادية (مجمع خلقيدونية).
واستمرت فى القرن السابع الميلادى بعد دخول الإسلام واستمرت حتى القرن العاشر الميلادى...

أما بعد هذه المقدمة الطويلة.. ماذا عن تطبيق حقوق الإنسان فى الكنيسة المصرية بتقاليدها وروافدها المختلفة.. القبطية الأرثوذكسية والكاثوليكية والإنجيلية والأسقفية.. إلخ؟ وقبل أن نحاول الاقتراب من الرد على هذا السؤال.. ربما نبدأ من البداية.. ماذا عن حقوق الإنسان المصرى عامة.. المسيحى والمسلم وغيرهما؟...

الحقوق الاجتماعية - الاقتصادية - السياسية- حق التعليم - حق الصحة - حق التعبير - حق التنظيم - حق الأمن والأمان - حق الاعتماد- وحق الاختلاق.. إلخ.

فبقدر ما تتسع دائرة ممارسة هذه الحقوق على مستوى الوطن بقدر ما تجد الكنيسة نفسها فى موقع أفضل لممارسة هذه الحقوق.. وبقدر ما تضيق رقعة التمتع بهذه الحقوق بقدر ما تعانى الكنيسة فى تطبيق هذه الحقوق فهى ليست جزيرة معزولة...

والآن سوف أتحدث عن شقين : الأول هو تحليل مدى تأثير المناخ العام فى مصر على تطبيق أو عدم تطبيق حقوق الإنسان.

الشق الأول:

المناخ العام فى مصر وتأثيره على تطبيق حقوق الإنسان عموما :

مثال حق التعبير عن الذات أو عن المصالح أو عن

الاعتقادات أو عن الوضع الاجتماعى أو السياسى (فى الأسرة - فى المدرسة - فى الجامعة - فى النقابة - فى الحزب السياسى....الخ)

الشق الثانى:

كيف تمارس الحقوق والواجبات على المستوى الداخلى عند المسيحيين.. بينهم وبين بعض ومع الآخر فى ثلاثة محاور؟

فى الأسرة لمن حق الكلام للزوج أم للزوجة للابن أم للابنة؟ هنا يبدأ التدريب على ممارسة الحق فى التعبير.. والتدريب على ممارسة القهر على الزوجة والأبناء والبنات.. وأحيانا ممارسة قهر الزوج.. فى حالة استثنائية.. "طاعة الوالدين".. هو الغطاء الدينى لممارسات قهرية.. فالدين يحض على إكرام الوالدين.. ولكن هل إكرام الوالدين هو كبت المشاعر وعدم الإفصاح عن الرأى الشخصى فيما يدور فى الأسرة؟

وفى المدرسة: هناك قهر من نوع آخر. صاحب العلم ومتلقى العلم. ليس من حق الطالب أن يفعل إلا ما يقوله المدرس.. لا حوار لا احترام لشخصية الطفل... بدلا من تربية الطفل على القدرة على التعبير والحوار يتم تربيته على الحفظ والتكرار.

ولا نستغرب حينما نرى رجال السياسة والدين يتفوقون على غيرهم فى القدرة على التكرار واستخراج الجمل المنمقة التى لا تعبر عن مصالح الشعب بقدر ما تعبر عن فصاحة المتحدث. وهكذا فى الجامعة والنقابة والحزب السياسى...

أما الكنيسة: فهى لا تشذ عن هذه القاعدة.. السؤال هو لمن حق التعبير للسلطة الكنسية المكونة من الدرجات الكهنوتية (البطريرك - الأسقف القمص - الكاهن - الإكليريكى.. أم للعلمانيين.) نصطدم دائما بأشكالية التميز بين "حق الله" و"حق الإنسان" من الذى ينطق باسم الله ومن الذى ينطق باسم الإنسان.

والمسيحيون سواء كانوا رجال دين أم مسيحيين عاديين (لا ينتمون إلى الدرجات الكهنوتية) هم نتاج لما حدث لهم فى الأسرة والمدرسة والجامعة...إلخ.

ولا يمكننا أن نتصور أن انخراط المسيحى المصرى فى سلك المؤسسات الكنسية سوف يحوله بصورة آلية إلى رجل مدافع عن حقوق هو نفسه لا يمارسها. وفاقد الشئ لا يعطيه.

الهموم الخاصة بالمسيحيين فى ممارسة حقوقهم الإنسانية:

من خصوصيات الثقافة أو التربية الدينية المسيحية وقيودها بالإضافة للقيود الموجودة لدى المصريين بمسلميهم ومسيحييهم منها:

أ- التلقين العقائدى الذى يتم فى مدارس الأحد للأطفال والتلاميذ المسيحيين.. حيث السمع والطاعة على غرار ما يحدث عند أقرانهم المسلمين.. لا جدال ولا حوار.. الحفظ عن ظهر قلب.

ب- التربية الرهبانية.. المبنية أيضا على السمع والطاعة.. حيث الأساقفة، أساقفة الكنيسة الأرثوذكسية أصلا رهبان عاشوا سنين طويلة فى

الصحراء وتمرسوا على الزهد والفقر وابتعدوا عن حياة العالم وتعقيداتها.. فهم يصبون فى عقلية ونفسية ووجدان المسيحيين المعرضين لكل صنوف التعاملات اليومية ومشاكلها .. الحصول على السكن - الزواج - التعليم - الصحة.. الخ. روحانية لا تتناسب مع بشر لا يسكنون فى الصحراء حيث الجهاد مع النفس ولكن عليهم أن يتمرسوا على كيفية الرد على تحديات الحياة اليومية... التى لا تنحصر فقط فى الروحانيات..وبالتالى هذا التكوين الرهبانى من أعلى يسلب المسيحيين إرادتهم ويغيب عقلهم ويشرخ وجدانهم.. وبالتالى يعمق الازدواجية فى السلوك والازدواجية فى التعبير... والإحساس المستمر بالذنب هذا إن لم يؤد إلى هجر الكنيسة بمتطلباتها المثالية المفارقة للواقع لدى كثير من الشباب...

ج- أمام ضغط بعض التيارات الإسلامية التى وضعت المسيحيين المصريين فى خانة "الذميين" بما يتضمنه من تداعيات اجتماعية ودينية وسياسية تمس حق الاختلاف وحق الاعتقاد وحق المواطنة وحق التعبير...إلخ. لجأ المسيحيون فى العشرين سنة الأخيرة إلى خلق مجتمع مواز للمجتمع العام تمارس فيه الحقوق وتصان فيه الهوية (فتفتح النوادى وتنظم الرحلات.. وتقام الحفلات.. فى إطار الكنيسة تعويضا عن غياب الأمان).

د- رغم ما يوصى به أ+ب+ج (التلقين فى مدارس الأحد - التلقين فى العظات والتجمعات والمناسبات الدينية - واللجوء إلى الكنيسة لممارسة الحقوق الاجتماعية (المستشفيات - النوادى - الرحلات - الاجتماعات..إلخ) إلا أن التناقضات والمشاحنات

داخل الكنيسة المصرية تحمل على الأسى والرثاء فى آن واحد).

بعد أن بينا المناخ العام وخصوصية الشرعية المسيحية فى ممارستها لحقوقها. يمكننا الآن أن نتحدث عن الشق الثالث : ممارسة حقوق الإنسان بين الكنائس بعضها وبينها وبين المسلمين.

الشق الثالث :

١ - الكنائس المسيحية فى مصر تكفر بعضها بعضا وتنحدر إلى رفض الآخر المختلف فى العقيدة:

فبرغم وجود مؤسسات مسكونية مثل مجلس كنائس الشرق الأوسط، اللجنة المسكونية لمكافحة الأمية، لجنة الشباب..إلخ. فإن بعض الأرثوذكس كأغلبية عددية يمارسون القهر على بقية التقاليد بصفتها أقلية.

وهذا القهر على مستويات:

أ- نفى صفة المواطنة وإطلاق صفات "الكنيسة الغربية" على الكنائس الأخرى إلى التكفير العقائدى وتحفيظ المؤمنين التابعين للتقليد الأرثوذكسى قائمة من الأسباب التى تضع حدودا عقائدية وطائفية بين المسيحيين.

وكأن المواطنين من الرعايا الأرثوذكس والكاثوليك والإنجيليين ينقصهم أسباب النفى والعزل والتحقير.. التى تطال جميع المصريين على اختلاف مآربهم ومشاربهم. وبعض الكاثوليك يتشدقون بانتسابهم إلى بابا روما وقوة الكثلكة فى العالم. وبعض الإنجيليين لهم أمريكا والجامعة الأمريكية...إلخ.

٢) علاقة المسيحيين بإخوانهم المسلمين:

ولقد نجح ـ كما ذكرنا سابقا - الإسلام السياسى فى العشرين سنة الأخيرة.. بعد أن فشل الاستعمار الإنجليزى والفرنسى فى شق صف الأمة.

نجح الإسلاميون ولو - جزئيا- فى عزل المسيحيين ووصفهم بالذميين. وجعلهم على الأقل على الصعيد الوجدانى يشعرون بأنهم مواطنون درجة ثانية.

ما أحداث التطرف والإرهاب من قبل بعض فصائل الإسلام السياسى.. بالإضافة إلى عجز الدولة عن حماية مواطنيها خاصة فى فترة الثمانينات وبداية التسعينات إلا تعبير عن النفى الذى وصل إلى حد التصفيات الجسدية للآخر الدينى.. فالحق فى الاختلاف مرفوض.

وفى هذا المناخ العام الذى لا يساعد على احترام الاختلاف فكريا أو عقائديا.. فلا مانع من الانكفاء على الذات وانسحاب بعض المسيحيين وأن لم يكن غالبيتهم من الحياة العامة.

وفى الختام، لا يمكن أن ننسى - رغم كل النقد الذاتى الذى يبلغ درجة الشعور بالعجز عن احترام حقوق الإنسان سواء على مستوى الكنيسة أو على مستوى الوطن - المبادرات العديدة التى يقوم بها أفراد أو جماعات للدفاع عن حقوق الإنسان فى مصر. فالكنائس المختلفة فى مصر تدافع عن حق التعليم ولها مؤسسات تربوية مثل الأمانة العامة للمدارس الكاثوليكية التى تشرف على ١٦٨ مدرسة بها أكثر من ١٢٥ ألف تلميذ وتلميذة من المسلمين والمسيحيين فى مراحل سنية

مختلفة، حيث توفر لهم حق التعليم وتنشئهم على حب الوطن. كذلك أسقفية الخدمات فى الكنيسة الأرثوذكسية ومراكزها التنموية على امتداد البلاد والمستوصفات والمستشفيات التى توفر حق الخدمات الصحية.. ناهيك عن الجرائد والمجلات التى تحاول التعبير بالكلمة.. كما لا ننسى مجهودات الهيئة الإنجيلية ودورها التنموى والتنويرى فى البلد ..ولكن كان لابد من لفت الأنظار إلى الوقت المهدور فى سفاسف لا تليق بمواطنين واعين للظروف الصعبة التى تمر بها منطقتنا من ضغوط صهيونية وأمريكية وضرورة استثمار الوقت فى جمع شمل الوطن.

الجزء الثانى

لاهوت التحرير.. إشكالية الهوية.. بين الالتزام الدينى والالتزام الوطنى

"أنتم ملح الأرض فإذا فسد الملح فأى شىء يملحه، إنه لا يصلح بعد ذلك إلا لأن يطرح فى خارج الدار فيدوسه الناس"
متى ٥ / ١٣

الفصل الأول

اقلية الأقلية فى مصر.. محاولة نقد ذاتى كاثوليكى

× محاضرة ألقيت فى مؤتمر المجلس الرعوى للكنيسة الكاثوليكية فى مصر ١٩٩٢

الخـلاص يعنى وعى الإنسـان بأنه فـقـد السـيطرة على حـياته فى لحظة مـعينة ويحـتـاج لمن يخلصه من هذا العجز ومن هذا التهديد لحياته...

بداية أول شـرط لتـدخل المسـيح فى حـيـاتنا هو الانفتـاح على عـمل الله... بمعنـى الوعى بأننا نـحتـاج إلى عمل الله الخلاصى فى حياتنا – هذا الانفتاح لن يحـدث إلا إذا توقـفنا عـن نشـاطنا المعـتـاد: الوظيـفـة، الدراسـة، السـعى لجلب الرزق، الصـلاة الروتينيـة الطقـسـيـة..إلخ.. بالمخلص هو تكريس وقت كـاف للتـأمل فى حياتنا وموقفنا من هذه الحياة – بأسلوب آخـر أن نعـمل رياضـة نـأخـذ Rendey - Vousمع المسيح نعطى له فـرصـة ليشـفـينا ويخلصنا ونـعطى ذواتنا فـرصـة لنلتقط الأنفـاس: قليـلا من اللهاث وراء الفلوس والنشـاط المرتبط بلقمة العيش بالمركز بالجـاه وبالوجـاهـة..إلخ.وممـارسـة النقـد الـذاتى للتـقـويم والمثابرة.

أما بعد:

إذا كان الخلاص الذى يقدمه المسيح شاملا وشخصيا فإننا سنعالج هذا الموضوع على مستويين رئيسيين:

المسـتـوى الأول: هو مـسـتوى الكل ونقـصـد بالكل

هنا كنيسة مصر وبالتحديد الكنيسة الكاثوليكية فى مصر الممثلة فى مجلسكم الموقر. لنضع أيدينا على مكان الجراح التى تتطلب الشفاء أو الخلاص. وعلى هذا المستوى نحاول رصد هذه الجراح ليس بانتزاعها عن الجسد المصرى للمجتمع ككل، ولكن فى سياق الجراح التى تدمى المجتمع المصرى كله بشرائحه المختلفة، سواء على المستوى الدينى أو المستوى الاجتماعى أو المستوى السياسى والثقافى...إلخ.

المستوى الثانى: هو المستوى الشخصى لمن ينتمون لهذه الكنيسة مع علمنا بأنه من الناحية المنهجية والكيانية لا يوجد انفصال بين المستوى الشخصى والمستوى الجماعى، فالمسيحى كشخص هو عضو فى كنيسة وبقدر صحته تصح الكنيسة وبقدر اعتلاله تعتل الكنيسة. وبالمثل يمكن تطبيق هذا الكلام على المجتمع المصرى، حيث إن أعضاء الكنيسة هم جزء لا يتجزأ من أعضاء المجتمع وفى نظرنا لا يوجد تعارض بين ما يتطلبه الإيمان وما يتطلبه المجتمع بل هناك تكامل وتفاعل ديناميكى مهم لصحة الاثنين.

أولا : على صعيد المستوى الأول والجروح التى تحتاج إلى شفاء وخلاص داخل الكنيسة.

١- الوعى والاعتراف بمحدودية هذا الجسد الكاثوليكية (جرح المحدودية)

ما معنى الوعى والاعتراف بالمحدودية؟ هو نوع من فحص الضمير الجماعى لتقييم مدى قوتنا ومدى ضعفنا كجسد يعمل فى محيط أكبر منه له جروحه

وله هو أيضا محدوديته رغم قوته وحيويته. ويصبح الوعى بهذه المحدودية ضرورة إذا أردنا ألا نصاب بإحباط وحتى ننمو بشكل طبيعى وفعال.

وما هى مظاهر هذه المحدودية ومصادرها على مستوى العدد وعلى مستوى الفاعلية داخل أو خارج الكنيسة، على مستوى التنظيم الداخلى، على مستوى المشاركة فى الحياة الكنسية أو فى الحياة الاجتماعية والوطنية والثقافية...إلخ؟

فعلى مستوى العدد نحن أقلية كاثوليكية داخل أقلية مسيحية، وأكثر التقديرات تفاؤلا تتحدث عن ٢٠٠,٠٠٠ على ٦٠ مليونا. وحتى لا نقع فى فخ العلاقة بين الكم والكيف فإننا نعلم أن أى أقلية عددية سواء على المستوى الدينى أو العرقى أو المهنى.. مهما تميزت فى مجتمع على مستوى الكيف فإن هناك ضوابط اجتماعية وضروريات سياسية وكوابح تجعل تأثيرها لا يتعدى خطوطا معينة، ليس هنا مجال ذكرها. ففى النهاية مسألة الزمان والمكان تلعب دورا كبيرا فى مدى تأثير هذه الأقلية على المحيط التى توجد فيه. فنحن ننتمى إلى محيط تحكمه ذهنية وقوانين ما يعرف بمجتمع العالم الثالث - العالم النامى أو ما يسمى العالم المتخلف بسماته المعروفة من نقص الديمقراطية وسيادة المفاهيم الدينية السلفية والتخلف الاقتصادى وتفشى الأمية..إلخ.

إذن الغرض من لفت الانتباه لهذا البعد، هو أن نضع جانبا الأوهام التى تتراءى للبعض منا بأننا أقلية عددية ولكن لها فاعلية لا محدودة على الـ٦٠ مليون مصرى. وإن كانت طموحاتنا وآمالنا تفوق عددنا وهذا صحيح، فإن هذا يجب ألا يحجب عنا محدودية

تحقيق هذه الطموحات على الأقل فى المدى الزمنى الذى نراه فى الأفق. وهذا جرح مؤلم لمن يريد أن تكون فاعليته لا نهائية..!!

المستوى الثانى هو مستوى الفاعلية داخل وخارج الكنيسة: فإذا سلمنا بأن المحدودية النابعة من كوننا أقلية عددية فإننا فى الوقت نفسه سنسلم بأن الفاعلية أيضا مرتبطة بهؤلاء الأشخاص، فالمحدودو العدد وبالتالى ألمحدودو الفاعلية إذا افترضنا أن فاعلية أى جماعة مرتبطة بالإمكانات الكامنة فى كل عضو من هذه الجماعة، وهذه الإمكانات تشمل كل الطاقات الروحية والمادية التى يمتلكها الفرد.

وهنا نميز بين الفاعلية التى يتمتع بها الأعضاء داخل الكنيسة الكاثوليكية ومدى تأثيرها على الكنيسة الكاثوليكية ككل والفاعلية التى تظهر على بقية المجتمع. فعلى مستوى الكنيسة يمكننا أن نجزم بأن كون الشخص مسيحيا كاثوليكيا لا يؤدى بالضرورة لأن يكون هذا الشخص عنصرا فاعلا أو مؤثرا فى حياة الكنيسة. وإذا عرفنا الفاعلية والنشاط فى الكنيسة بمجرد المشاركة فى الطقوس والمظاهر الاحتفالية الدينية فهذا لا يكفى ولكن نعرف الناس فى الكنيسة بكل نشاط من شأنه أن يؤثر فى التكوين وفى الاندماج الكنسى بين الأعضاء سواء من خلال التكوين الدينى أو الاجتماعى أو الاقتصادى...إلخ.

فعلى سبيل المثال تقول بعض الإحصائيات إن المؤمنين الذين يحضرون طقوس القداس عموما فى كنائسنا لا يتعدى ١٠٪ من مجمل المسيحيين الكاثوليك. وإذا كان الكاثوليك يترددون جميعا وبدون استثناء إلى الكنيسة بالمعنى الضيق.. كمكان للعبادة

فى سـر العـمـاد وسـر الزواج بالإضـافـة إلى الصـلاة عليـهم حـين الوفـاة والبعض منهم يقـبل سـر الكهنوت فإن سر الذبيحة (الإفخارستيا وبقية الأسرار السبعة) لا تشتـرك فيـه إلا أقلية ضئـيلة.. وبالتـالى علينا أن نعترف بمـحدودية المشاركة فى حياة الكنيسـة نفسها ومن داخلهـا وهـذا يعلمنا التـواضع فى حكمنا على أنفسنا كمسيحيين كاثوليك لا نمارس حياتنا الكنسية بشكل يتطابق مع متطلبـات إيماننا وهنا الجـرح غائر فى نسـيج الكنيـسـة نفـسـهـا. ومـؤلم... لأن بعض الأعضـاء.. بعيـدون عن حيـاة الشـركة.. على مسـتوى الأسرار.

أما عن الصعيد الاجتماعى فعلى الرغم من وجود منظمـات وجـمـعيـات ومـؤسـسـات كـاثوليكيـة تخـدم الكاثوليك فقط (المعـاهد الإكليـريكية بيـوت الابتداء والأنشطة المختلفـة) فإننا لا نسـتطيع أن نقـول إن كل هذه المؤسسـات والجمعيـات تلبى احـتياجات جـميع الكاثوليك أولا. وكم بالحـرى تلبية احتياجات المجتمع المصـرى.. فـهى لا تعـدو أن تكون نقطـة فى بحـر الاحتيـاجات. فمثلا جمـعيات مارى منصور المعنية بفقراء الكاثوليك أولا، لا نستطيع رغم وجود فروع لها فى أنحاء الجمهورية لا نستطيـع أن نقول إنها تغطى احتياجات جميع الفقراء والأرامل والأيتام والمعاقين الكاثوليك...إلخ. كـذلك الاحـتيـاجـات الصـحـيـة واحتياجات الأمـيين واحتياجات الذين يبحثون عن سكن.. والاحتياجات التعليمية...إلخ. وكل هذه جروح فى جـسم الكنيـسـة. علينا أن نعـتـرف بمحـدودية مـساهـمـتنا فـيـهـا على مـسـتوى أعـضـاء الكنيـسـة الكاثوليكية نفسها. ويجب أن نلفت النظر إلى الفوارق

الطبيعية الموجودة داخل الكنيسة. (على مثال المجتمع المصرى كله) فيكفى أن نتعرف إلى رعايا الكنيسة الكاثوليكية على امتداد الجمهورية حتى نرى داخل الرعية الواحدة مستويات طبقية متعددة كذلك الفارق بين سكان الريف وسكان المدينة وبين أحياء المدينة الواحدة. لا بل أحيانا فى نفس الحى الواحد نجد الكاثوليكى الفقير والأمى والكاثوليكى الغنى...

وقبل أن نتحدث عن **فاعلية الكاثوليك فى إطار المسكونية** أى العمل اليومى بين الكنائس الموجودة فى مصر غير الكاثوليك مثل الأقباط الأرثوذكس والأرمن الأرثوذكس والروم الأرثوذكس وغيرها... فإننا نتساءل عن مدى الترابط بين الكنائس الكاثوليكية نفسها (من قبطية وروميـة ولاتين ومارونيـة وسريانيـة أو..إلخ) وعلى الرغم من وجود هذه المؤسسة المبجلة "المجلس الرعوى للكنيسة الكاثوليكية" التى تحاول القيام بهذا الدور التوحيدى والتنسيقى مدفوعة من السلطة الكنسية ممثلة فى مجلس البطاركة والأساقفة الكاثوليك إلا أن التنسيق والتفاعل على المستوى القاعدى الممثل فى الشعب الكاثوليكى بما فيه من الشباب والشابات فإنه لا زالت الهوة بعيدة داخل الكنيسة الواحدة بين رعية ورعية وبين الكهنة وبين الأنشطة المختلفة.. كل هذه مظاهر لمحدودية دورنا حتى داخل إطار كنيستنا الكاثوليكية.

وإذا تحدثنا عن البعد السياسى أو البعد الثقافى فإننا نسجل بكل تواضع وبساطة غيابنا الفادح خاصة فى المجال السياسى... فتأثيرنا فى الانتخابات العامة أو المحلية يكاد ينعدم وتمثيلنا فى البرلمان ومشاركتنا فى السلطة التنفيذية ناهيك عن السلطة القضائية

والأحزاب السياسية لا يذكر، أما الزاوية الثقافية فربما استطاع بعض منا سواء كانوا علمانيين أو إكليروس أن يكون لهم دور فى التكوين الثقافى والعلمى وربما من خلال المدارس والمعاهد العلمية. ولكن هذا الدور ما زال عاجزا عن استيعاب مقررات المجمع الفاتيكانى الثانى ومواكبة الانفتاح الذى يضمنه لنا انتماؤنا إلى الكنيسة الكاثوليكية العالمية.

أما على مستوى تفاعلنا خارج الكنيسة الكاثوليكية... فهذا شىء لا شك فيه كما أبرزنا ذلك فى محاضرة ألقيت على مجلسكم الموقر حول اندماج الكنيسة الكاثوليكية فى حياة المجتمع المصرى . ونذكر بالقصور الذى تعانيه فى بعض الحالات، الثقافية مثلا. ونقصد بالثقافة هنا قدرتنا على التواصل مع الإبداع الأدبى والفنى للثقافة المصرية العربية والإسلامية.

وهنا نميز بين انفتاح المؤسسات الاجتماعية الصحية والتعليمية الكاثوليكية على المجتمع وبين الرعايا التى تنصب خدمتها على أعضاء الرعية بحسب كل طائفة ... مما يسيد أحيانا النظرة الطائفية الضيقة على النظرة الشاملة التى تتبنى قضايا المجتمع . ومثالا على ذلك، ما جاء فى بحث آحد الشمامسة الأقباط الكاثوليك عن "مدى اهتمام الرعية البطريركية بالأميين" سواء دينيا واجتماعيا، فعلى ٣٩ رعية ممتدة من القاهرة فى الإسكندرية شمالا وبنى سويف جنوبا لا نجد رعايا تعمل فى مجال مكافحة الأمية . وهذه قضية خطيرة وجرح عميق فى الجسد المصرى بسبب ضخامته وما يترتب عليه من تخلف اقتصادى واجتماعى ودينى ... إلخ . وهذا أيضا راجع إلى محدوديتنا.

وإذا كنا نعترف بتقسيم العمل فى المجتمع وبالخلفيات الثقافية والعادات الاجتماعية التى تحول أحيانا دون تفاعل الرعية الكاثوليكية مع محيطها فإننا نتساءل عن ضرورة شحذ الخيال وابتكار الطرق الكفيلة بإخراجنا من هذه العزلة الرعوية والعمل على انفتاحها على بقية المجتمع.. فالمسيح الذى جاء أولا لليهود بعد قيامته دعا إلى العمل فى صلب المجتمعات البشرية قاطبة وقد مدح قائد المائة الوثنى والمرأة الكنعانية وبشر فى جليل الأمم. وقال " إن كنتم تحبون من يحبكم ما الفرق بينكم وبين الوثنيين فهم يفعلون ذلك " إن لم يزد بركم عن الكتبة والفريسيين لن تدخلوا ملكوت السماء ".

ونود أن نختم هذه النقطة والخاصة بمحدوديتنا العددية وبالتالى محدودية هذا العدد فى نشاطه داخل جسد الكنيسة على المستويات المختلفة وأن نطابق بين إحساسنا بهذه المحدودية وتعارضها مع رغبتنا العارمة فى آن نتخلص أو نخلص من هذه المحدودية... وهنا ننظر إلى المسيح المخلص ونطلب منه الشفاء من هذا الشعور. ونسمعه يقول لنا "ألم أتجسد أنا وأتحدد فى أرضكم وولدت فى بيت لحم أصغر مدن يهوذا... منذ نحو ألفى سنة".

أنا ابن الله الكلمة اللا متناهى والمساوى للأب فى الجوهر... كيف أصبحت متناهيا. ألم أخضع لقوانين المكان والزمان مثلكم... ألم أبدأ بالبشارة والحمل والولادة وخضعت للحياة والموت مثلكم... تعزيتكم أنى رغم هذه المحدودية بالجسد وضعت فيكم بذرة الرجاء الذى لا يخبو أبدا بذرة القيامة والانتصار على هذه المحدودية إلى الأبد. وهذه

المحدودية رغم أنها مؤلمة إلا أنها الطريق الحقيقى إلى التعمق فى حياة البشر والتجذر فيها كما تتجذر النخلة فى الأرض وحبة الخردل فى البستان... إن اللا محدودية التى تبحثون عنها موجودة فى داخلكم المحدود. وحذار أن تنسوا كما نسى آدم وحواء أنكم لستم آلهة وإن كنتم تحملون بين جنباتكم صورة الله . وما تجسدى إلا علامة على أنه رغم محدودية المكان والزمان فإنكم خلقتم للحياة الأبدية. ألا ترون أنه بعد ألفى عام من موت وقيامة المسيح ما زال ثلثا البشرية لا يعرفون شيئا عنى... فإلى الأمام بدون ادعاء أو غرور وأنا معكم إلى منتهى الدهر...

٢- الخلاص من عقدة الاضطهاد التى تصاحب الشعور بأننا أقلية

كثرا ما نشعر كمسيحيين، وبصفة خاصة لأننا كاثوليك ، بأننا مضطهدون بسبب إيماننا. وهذا وهم آخر. ونحن فى مصر نختلف بصفتنا أقلية عددية وليس عرقية أو لونية مثل الجنوبيين فى السودان أو الأكراد فى العراق أو اليهود فى إسرائيل والعالم أو الشيعة فى لبنان أو التاميل فى يريلانكا أو الهوتو والتوتسى فى رواندا ... الخ.

فمن فضل الله علينا أننا جزء لا يتجزأ من المصريين لا تميز فى الجنس أو فى اللون أو فى التاريخ وحتى فى اللغة ... إلخ.. كل المقومات التى تجعلنا ننتمى لهذا الوطن.

ولكن من أين تأتى عقدة الاضطهاد؟ ... أعتقد أننا كمصريين خضعنا لمئات السنين إلى أنواع شتى من الاستعمار وبالتالى إلى الاضطهاد : اليونان

والرومان والمماليك والأتراك والفاطميين والعثمانيين ... إلخ .

وهذه العقدة تصيب المصريين جميعا مسلمين ومسيحيين . إلا أن المسيحيين بحكم قلتهم العددية فى الوقت الحاضر حساسون أكثر من غيرهم لهذه العقدة. وهنا علينا أن نفرق بين الحساسية الشديدة الموجودة لدى الأقلية دائما مهما كان نوعها دينية عرقية - لونية ... حتى على أصعدة مختلفة مثل الصعايدة. القاهريين - ... إلخ . وهى نزعة إنسانية يفسرها علم الاجتماع ... فهو اضطهاد اجتماعى وليس اضطهادا دينيا، حتى إذا كان الظاهر يقول عكس ذلك وأن المضايقات تتم على الهوية الدينية...

وغالبا ما تتم المضايقات فى مؤسسات مدنية حكومية ... ومعروف أن المضايقات المرتبطة باختلاف الديانة أفرزتها السنوات الأخيرة نظرا للمناخ المتطرف المحيط بالمجتمع . مما يؤدى إلى الميل إلى الانغلاق على الذات والظهور بمظهر السلبية المطلقة تجاه القضايا الوطنية الكبرى (البطالة - الأمية - القضية الفلسطينية ... الحداثة ... إلخ). هذا التقوقع وهذه السلبية تثير لدى الآخر شعورا بالشك والريبة مما يتولد عن ذلك التجريح والهجوم...

ناهيك عن غياب الديمقراطية والقنوات الشرعية للتعبير عن الرأى ... كل هذا يؤكد لدى الآخر المسلم أن المسيحى شخص يفتقد الانتماء وأنه غريب عن هذا الوطن وما يدور فيه من مشكلات... الخ . هذا الموقف من قبل المسيحيين يجعلهم عرضة للاضطهاد، هذه العزلة والسلبية هى آكثر الوسائل لتبرير التعدى عند الآخر . ونحن لا نبرر الموقف المتعصب لدى

الآخـــر ولكن نحلل الدور الذى يقع على عـــاتق المسيحيين الذين يخافون من منطلق عقدة الاضطهاد. فبخوفهم على أنفسهم بطريقة غير صحية يجعلون من نفسهم ضحية هذا الخوف من الآخر . والافتراض أن الآخـر دائمـا وفى كل الأحـوال هو الأقـوى وهو البادئ بالاضطهاد...

وهذا حكم جـائر على المسلمـين إذ لدينا صـورة نمطيـة عنهم لا تميـز الاختـلافـات فى الظروف وفى التكوين وفـى وجـهــة النظر لدى الآخـرين. فـمن المسلمين من هو يسارى أو يمين أو وسط بين الاثنين، فمثلا منهم من ينتمون إلى التيار القومى أو العربى أو التـيار الإسـلامى أو التـيار الماركسى أو الناصـرى ... الخ. كما نحن أيضا ليس لنا - فى حالة انتمائنا إلى تيارات - نفس الانتماء .

إن الاسـتـسـلام إلى عـقـدة الاضطهـاد يزيد من تقوقعنا على أنفسنا وتعمق الفواصل بيننا وبين إخوتنا فى الوطن.ويحـجـب عن أنظارنـا قـضـايا الأمـة أو الشعب المصرى. فننكفئ على قضايا طائفية قصيرة النظر عظيمـة الخطر. فـشـعـورنا المسـتـمـر بأننا مستهدفون، وأننا أعداء... يجعلنا نفقد الأمان كما نفقد المبادرة ونترك أنفسنا فريسة لتصورات مريضة أفرزتها مجموعة من الذين يعانون مثلنا شظف العيش وانغلاق المستقبل وعدم القدرة على مواجهة الحياة أقصد التيار المتعصب والإرهابى. وفى نظرنا هؤلاء هم ضـحيـة للخلل الذى أصاب المجتمع المصرى فى مقتل : الخلل التعليمى والاقتصادى والاجتماعى والسـيـاسى... إلخ . فـوجـد المتـعـصـبـون فى الدين ضالتهم، واتخذوا من النصوص الدينية مطية ومن

الأقباط ضحية لهذا الفهم الخاطئ غير الرشيد لدينهم.

وإذا وضعنا ظاهرة الإرهاب باسم الدين فى موقعها الصحيح، أى أنها ظاهرة معقدة نشأت لأسباب كثيرة وضحاياها أوسع من المسيحيين بكثير، الشرطة - المسلمين المستنيرين - الجماعات الإسلامية نفسها بحكم أن الدولة لها مؤسسات تدافع عن سلطتها ... فإننا نستطيع أن نتحرر من هذا التصور الذى يحصر الإسلام والمسلمين فى خانة الإرهابيين فقط، وننظر إلى الأمور بشكل أشمل لا يعفينا من شرف الانتماء للوطن والمساهمة فى حل قضاياه من أمية وعدم عدالة اجتماعية وانتشار للبطالة ونقص فى الديمقراطية وإهدار لحقوق الإنسان ... إلخ.

ولنا فى المسيح مثل وعبرة، وهو الذى أعلن فى التطويبات قائلا " طوبى للمضطهدين من آجل البر ... طوبى لكم إذا اضطهدوكم وعيروكم من أجل اسمى". وحتى لو صح هذا الاضطهاد، وهذا صحيح فى حالة الجماعات الإرهابية التى تنتمى إلى الإسلام وتأخذ من المسيحيين كاثوليك وأقباطا رهينة لتضايق الحكومة فإن الاضطهاد شىء متوقع أن يتعرض له أى إنسان مؤمن. وهو إحدى الوسائل التى يشهد من خلالها المسيحى بصلابة إيمانه وشدة اقتناعه، ولكن على ألا يصرفنا ذلك عن ممارسة حياتنا الطبيعية.. "من أراد أن يكون لى تلميذا عليه أن يحمل صليبه ويتبعنى ". فإذن الاضطهاد إن وجد هو ليس دخيلا على التقاليد المسيحية. الإرهابيون أنفسهم مقتنعون بأنهم مضطهدون من أجل إيمانهم بالصورة التى

يفهمونها لهذا الإيمان. ولا نبالغ إذا قلنا إنهم ضحايا لتصورهم الضيق للإيمان. لا بل وإنهم من فئة المضطهدين.

وماذا فعل المسيح حينما اضطهده الفريسيون والكتبة والكهنة؟.. هل استسلم وانطوى على ذاته؟! أبدا فلم يزده ذلك إلا إصرارا... ولم يتوقف عن شفاء البرص وتفتيح أعين العميان وكسر الخبز... وكان الألم والاضطهاد ماثلا أمامه " على ابن الإنسان أن يتألم ويموت... ثم يقوم فى اليوم الثالث ".

وأيضا علينا أن نفهم أن حقوق الإنسان لا تتجزأ. ولأننا فى بلد من بلاد العالم الثالث فإن الاضطهاد يلحق بكثير من الفئات وليس بالمسيحيين فقط. فالمسلمون الذين لا يستطيعون الحصول على عمل لأنهم فقراء مضطهدون، والمسلمون الذين ينادون بحرية الفكر ويعارضون الحكومة مضطهدون لا بل يعتبرونهم كفرة، والمسلمون الذين لا يدخلون المدارس لسبب نقص المبانى المدرسية مضطهدون ... إلخ.

فلماذا نتوقف فقط عند فئة واحدة وهم المسيحيون؟ ... لماذا لا ننظر للأمور نظرة أشمل وأكمل؟

نحن فى أشد الحاجة لكى يشفينا المسيح ويخلصنا من عقدة الاضطهاد. أن يحررنا من الأفكار المسبقة وأن يحرر طاقاتنا ووزنتنا التى أعطاها لنا لكى نستثمرها فى المجتمع فى ترقية إخوتنا ثقافيا واجتماعيا وسياسيا ودينيا. " أنتم ملح الأرض أنتم نور العالم أنتم الخميرة ... أنتم أقلية ولكن فعالة أقلية ولكن عليكم أن تبشروا بالملكوت " وأنا معكم إلى

منتهى الدهر " . إن محركات التغيير كما يعلمنا التاريخ تبدأ من شخص أو من بعض الأشخاص.

هكذا أبونا إبراهيم وحده أصبح أمة كبيرة ولكن من خلال مرحلة تطهير وآلام مستمرة من انفصال عن عشيرته إلى ارتحال فى أماكن غريبة إلى أرض كنعان ومصر إلى آلام نفسية عميقة بسبب حرمانه من الأبناء، ثم اختبار شديد لإيمانه بالله حينما طلب إليه أن يقدم ابنه الوحيد محرقة... هكذا حدث مع موسى ومع إيليا ومع أرميا ... وهكذا يحدث فى التاريخ البشرى العام... فالاكتشافات والثورات كانت نتيجة معاناة واحتمال آلام ومخاطر لا تطاق. مارتن لوثر كينج محرر العبيد فى أمريكا الشمالية مات مقتولا . غاندى الذى حرر الهند تحمل الفقر والعوز والسجن عن رضا فى سبيل المساهمة فى تحرير بلاده، ومات مقتولا . الأمثلة كثيرة وتبرهن على آن كون الإنسان فردا أو جماعة أقلية لا يمنعه معاناة الآلام من تحقيق النصر. والمسيح بـ ١٢ رسولا غير وجه العالم والتاريخ. وما زال...

يقول لنا المسيح كما قال لموسى " لا تخف إنى معك " ... فهل نستطيع أن نقول مثل بولس الرسول " حاشى أن افتخر إلا بصليب المسيح " !

٣- الخلاص من التمركز حول الذات :

كثيرا ما نظن أن المسيحيين هم أصحاب الحقيقة وحدهم بالضبط كما اليهود والمسلمين . ولكن نحن نركز الحديث عن الكاثوليك فى مصر. يشعر البعض بأن الحقيقة ملكية كاثوليكية وآن كل ما يفعله الكاثوليك حسن. وأن الآخرين يجانبهم الصواب

دائما. سواء على مستوى ممارسة الأسرار الكنسية أو على مستوى الأنشطة الرعوية وحتى على مستوى الثقافة والفكر...

إن التمركز حول الذات يعنى الرضا بما نحن فيه وكأنه ليس بالإمكان أبدع مما كان. وتصبح الكنيسة الكاثوليكية هى محور ومركز العالم من حولنا. فعلى الصعيد الاجتماعى نحن القوة وغيرنا لا يفقه شيئا وعلى الصعيد الثقافى نحن ننتمى لثقافة الكنيسة الجامعة ولا نحتاج إلا إلى حياة القديسين الغربيين وعلى صعيد الطقوس نحن متحررون ولسنا رجعيين... إلخ. هذا التوجه غير إنجيلى... ويذكر مثل الفريسى والعشار بخطورة هذا الموقف. موقف التعالى والانفعال والجمود.

لنقف معا ونقول أمام الله مع العشار :"ارحمنى فإنى رجل خاطئ".

الفصل الثانى

المرجعية العقائدية:
القبطى الكاثوليكى مواطن مصرى

١- الكنيسة القبطية الكاثوليكية

إن الكنيسة القبطية الكاثوليكية كنيسة فقيرة وضعيفة فى حجمها وفى عددها لكنها قوية بإيمانها وبدورها الوطنى وبارتباطها بالكنيسة الجامعة ومرجعيتها العقائدية تقوم على الإيمان الثابت الذى أرساه مجمع نيقية سنة ٣٢٥م. وبالإضافة إلى الإرث المشترك مع الكنيسة الأولى للآباء طوال القرون الأربعة وحتى عام ٤٥١م، فهى تعترف بالمجامع الثلاثة التى عقدت بعد مجمع خلقيدونية ٤٥١م بمشاركة الكنيسة البيزنطية الخلقيدونية حتى القرن الحادى عشر عام ١٠٥٤, ثم ترث كل المجامع والتطورات اللاهوتية التى حدثت من عام ١٠٥٤ حتى العصور الحديثة بحلوها ومرها انطلاقا من خصوصيتها الشرقية وفى علاقة ندية مع الكنيسة الكاثوليكية الجامعة التى يرأسها خليفة القديس بطرس. وتنظم هذه العلاقة مجموعة من الدساتير والقوانين المبنية على روح المسيح روح الشركة والمحبة والخدمة والانفتاح على جميع البشر.

وقد جاء فى المجمع الفاتيكانى الثانى عام ١٩٦٥م ما يؤكد هذه الخصوصية للكنيسة القبطية الكاثوليكية بصفتها إحدى الكنائس الشرقية (راجع

المجمع الفاتيكانى الثانى: دساتير - قرارات - بيانات) منشورات المكتبة البولسية طبعة أولى ١٩٩٢م لبنان من صفحة ٥٦٩ إلى ٥٨٤ تحت عنوان "الكنائس الشرقية الكاثوليكية "، نقتطف منها بعض الفقرات التى تهمنا مباشرة :"تولى الكنيسة الكاثوليكية الكنائس الشرقية بمؤسساتها وطقوسها الليتورجية وتقاليدها الكنسية ونظامها فى الحياة المسيحية عظيم تقديرها. ذلك بأن هذه الكنائس يتألق فيها بما لها من عراقة القدم التقليد الذى انتقل من الرسل بالآباء وهو بعض تراث الكنيسة الجامعة الذى لا يتجزأ ... صفحة ٥٧٣ .

"... من أجل ذلك لا يكتفى المجمع بأن يولى هذا التراث الكنسى والروحى ما هو حقيق به من تقدير وثناء بل يرى فيه مشددا تراثا عاما لكنيسة المسيح بأثرها. لذلك يصرح بوجه رسمى أن من حق الكنائس بالشرق وواجبها تماما كالكنائس فى الغرب أن تحكم نفسها طبقا لأنظمتها الخاصة بها؛ ذلك لأن هذه الأنظمة عريقة فى القدم وهى أكثر تلاؤما مع عادات المؤمنين المنتمين إليها ...".

كما جاء الآتى فى كتاب "مجموعة قوانين الكنائس الشرقية فى القاهرة ١٩٩٥م-(فى القانون رقم ٣٩): "إن طقوس الكنائس الشرقية يجب حفظها ودعمها بورع لكونها تراث كنيسة المسيح بأسرها يشع فيها التقليد المنحدر من الرسل عن طريق الآباء ويؤكد بتنوعه وحدة الإيمان الكاثوليكى الإلهية".

٢- التقليد والتجديد فى فكر وممارسة الكنيسة:

إن الأقباط الكاثوليك يعتبرون التقليد الكنسى

الذى أرساه الرسل والآباء الأولون عنصرا مهما إلى جانب الكتب المقدسة وذلك مثل بقية الكنائس خاصة الأرثوذكسية منها. إلا أن الأقباط الكاثوليك منفتحون على التيارات والروافد الروحية واللاهوتية التى تتفاعل فى أرجاء المعمورة بحكم شمولية الكنيسة الكاثوليكية وامتدادها. وتتميز الكنيسة القبطية الكاثوليكية فى مصر بنوع من الحرية بالنسبة للتعامل مع التقاليد الكنسية، إذ تأخذ فى اعتبارها بحكم احتكاكها بالكنيسة الجامعة المتغيرات الحضارية والثقافية التى تستجد- بقدر ما يتسنى لها ذلك - فى سياق الظروف الموضوعية فى بلادنا المصرية، فهى مثلا لا تطبق الطقوس الكنسية بحذافيرها. وقد اتخذ السينودس القبطى الكاثوليكى ـ تماشيا مع روح المجمع الفاتيكانى الثانى (١٩٦٥) - قرارا بتعريب كامل لنصوص القداس القبطى (الباسيلى) مع تنقيته من العبارات غير السليمة لغويا والتكرارات التى لا تتناسب مع عقليتنا الحالية وذلك فى ٢٥ فبراير عام ١٩٩٠، كما إن فى ممارستها للأسرار مثل العمادات ومراسيم الزواج وغيرها تحافظ الكنيسة على التقاليد المرقسية العريقة ولكن دون أن تتقيد بحركات أو صلوات أصبحت تمارس بشكل فارغ من المعنى فى الوقت الراهن.

كما أن الكنيسة تكرم العذراء مريم من خلال صلوات المسبحة والشهر المريمى والجمعيات المريمية (جنود مريم) ولكن فى الوقت نفسه لا تحتفى كثيرا بمعجزات الظهور المتكرر للعذراء الذى سمعنا عنه ومازلنا نسمع من وقت لآخر.

نجد الشىء نفسه على مستوى الدراسات

اللاهوتية فى المعاهد الإكليريكية وتفاسير الكتاب المقدس ودراسة التيارات الفلسفية القديمة والمعاصرة. فبينما تتقيد الكنيسة الأرثوذكسية بالتقاليد والشروحات الآبائية فإن الكاثوليك يطبقون العلوم الحديثة فى شرح الكتاب المقدس ودراسة اللاهوت إذ يستخدمون منهج الأساليب الأدبية والتاريخية والبنيوية وعلوم اللغة فى فهم الكتب المقدسة.

وهنا يجب أن نعترف بالهوة الكبيرة التى تفصل بين رجال الدين الكاثوليك الذين يتمرسون على العلوم الحديثة وبين بقية الشعب الكاثوليكى الذى مازال يعيش بعقلية تقليدية محافظة مثل بقية الشعب المسيحى سواء فى الصعيد أو القاهرة حيث يطغى الاعتزاز بتراث الأجداد على الاجتهاد والتغيير.

وعلى صعيد التيارات اللاهوتية المختلفة فالكنيسة تدرس التيار الآبائى مثل فكر أوغسطينوس المدرسى مثل توما الإكوينى فى العصور الوسطى كما تدرس لاهوت التحرير كما يقدمه ليوناردبوف وجوتييريز.

إن غنى الكنيسة القبطية الكاثوليكية لا يأتى من جهة ارتباطها العقائدى القانونى مع خليفة القديس بطرس ولكن من كون انفتاحها على ثقافات وشعوب مختلفة تثرى الثقافة ويلقى الضوء على التراث المسيحى والثقافى المصرى، فانفتاحها على ما يحدث فى أمريكا اللاتينية وفى إفريقيا والهند والفلبين وهى دول تشترك مع مصر فى كونها تنتمى إلى العالم الثالث وتعانى مشكلات عديدة مثل التبعية الاقتصادية والجمود العقائدى والتبعية السياسية

يحفزها على الاستفادة من خبرات هذه الشعوب فى حل مشاكلها كما يخصب التجربة الروحية والثقافية للكنيسة فى مصر ويدفعها إلى الابتكار والاجتهاد فى خلق لاهوت خاص يتناسب مع التساؤلات والتحديات التى تواجهها الكنيسة مع بقية الفصائل الأخرى - مسيحية وإسلامية - فى محيطها العربى الإفريقى الإسلامى هذا اللاهوت يجب إذن أن يكون نابعا من نبض الحياة اليومية ومن خلال العملية الحضارية التى تتم بين التقاليد والخبرات الروحية المندمجة فى قلب الوطن المصرى.

وفى النهاية يعيش الكاثوليك فى مصر فى توتر دائم فهم يحاولون باستمرار التوفيق بين ما هو محلى وتقليدى وبين ما هو جديد وعالمى فى الفكر اللاهوتى والفلسفى.

٣- الخصوصية المصرية للكنيسة:

حينما يتحدث الدكتور ميلاد حنا عن "الأعمدة السبعة" للشخصية المصرية والرقائق الحضارية من فرعونية ويونانية ورومانية وقبطية وإسلامية..الخ ويعتبر أن كل المصريين بإنتماإتهم المختلفة يرثون هذا الغنى الحضارى الفريد من نوعه فإن الأقباط الكاثوليك يجدون أنفسهم تلقائيا ضمن هذا التصنيف الواعى والوطنى والخصوصية القبطية الكاثوليكية تتلخص فى كلمتين الأولى كلمة (أقباط) بحكم أنهم لا يشكلون سلالة عرقية مختلفة عن بقية المصريين ولا أقلية عددية طارئة على الجسد المصرى بل هم جزء من النسيج المتجانس للشعب المصرى بمسلميه ومسيحييه الذى يضرب بجذوره فى فجر التاريخ

البشرى والكلمة الثانية (كاثوليك) بمعنى أنهم مرتبطون إيمانيا وعقائديا بالكنيسة الجامعة بما تحمله أيضا من تراث روحى وتجارب فكرية متنوعة وعلوم كتابية.

فالأقباط الكاثوليك مصريون حتى النخاع لأنهم كما ذكرنا يرثون مثل بقية المصريين كل الرقائق الحضارية التى شكلت وما زالت تشكل الشخصية المصرية. ومن خصوصيتهم أنهم ينفتحون على العالم بأسره بقدر اتساع الكنيسة الكاثوليكية الجامعة. وهم جسر أو معبر بين التراث الشرقى والتراث الغربى الكاثوليكى المسيحى كما أن لهم وظيفة مزدوجة فى الجسم المصرى، فعلى المستوى الإيمانى عليهم أن يساعدوا الكنيسة الكاثوليكية الغربية التى تنتمى إلى الحضارة الغربية المهيمنة على أن تخرج من محدوديتها وهيمنتها الروحية بحكم انتمائها إلى العالم المتقدم لتنفتح على التراث الشرقى وكنائس إفريقيا والعالم الثالث بكل تواضع.

وثانيا على الكنيسة القبطية الكاثوليكية أن تساعد الكنيسة المصرية بتقاليدها المختلفة على الانفتاح على الكنوز الروحية للكنيسة الجامعة دون تفريط فى هويتها المصرية.

ولا جدال فى أن هناك أخطاء تاريخية حدثت فى ممارسات الكنيسة الكاثوليكية سواء على المستوى المحلى أو المستوى العالمى ولها أسبابها التى تندرج فى إطار العصور المختلفة والكنيسة تعترف بذلك فى وثائقها الرسمية. وليس من المفيد للجميع فى الوقت الحاضر أن تتصيد الكنائس بروافدها وتقاليدها المختلفة الأخطاء بعضها لبعض بل يجب أن تسير

قدما فى الحوار الخلاق لبناء كنيسة متواضعة على مثال القرون الأولى قبل توحدها مع الإمبراطورية الرومانية فى القرن الرابع الميلادى وأن تكون منفتحة آخذة فى الاعتبار البعد الكونى الذى يرسم فى الأفق ليربط الشعوب والديانات والثقافات بعضها مع بعض لخير الإنسان أينما وجد مستفيدة من دروس التاريخ حتى لا يتكرر الخطأ ولا جدال فى أن الصراعات التى ظهرت على مر التاريخ خاصة فى القرنين التاسع عشر والعشرين فى العلاقات بين الكنيسة المصرية الأرثوذكسية والكنيسة المصرية الكاثوليكية أكثر تعقيدا مما يتصور البعض، فقد حصر بعض المؤرخين من مصريين وغير مصريين الكنيسة الكاثوليكية فى إطار محدود بموجب اعتبارات اتخذت شكلا أيديولوجيا أو عقائديا وبما معناه أن هناك كنيسة وطنية وهناك كنيسة أجنبية أو غربية. ولو قبلنا هذا التصنيف كمعيار للدخول فى شرف الانتماء إلى الوطن المفدى فإن هذا المعيار وحده لا يكفى اليوم إذا أردنا أن نتحرى الموضوعية فإننا لا يمكن أن نتوقف فقط عند هذا الشكل من العلاقة الصراعية بل نضيف أن هناك صراعات مختلفة تخترق الجسد المصرى بكل فصائله المسيحية والإسلامية وغيرهما. هذه الصراعات كانت وما زالت تتفاعل فى الوقت الراهن: فهناك صراع بين الثقافة التقليدية والثقافية الحديثة وبين التعليم التقليدى والتعليم الحديث وصراع بين تسييد العقل وتجميد التراث الدينى وإهمال الاستفادة من العلوم العصرية النافعة بغض النظر عن مصدرها. ولدينا أمثلة كثيرة لمثل هذه الصراعات فى التاريخ نذكر منها موقف أبى الوليد

ابن رشـد من الفلسـفـة اليـونانيـة فـى القـرن الحـادى عشـر كأداة لإعمال العقل، فموقفه لم يكن مقبولا من جـميع المسلمـين. كـذلك فـى العـصـر الحـديث يلقب البـابا كـيـرلس بلقب أبو الإصـلاح فى الكنيـسـة الأرثوذكسية المصرية لأنه تعامل مع الثقافة الحديثة بعقل مفـتوح رغم مقاومة بعض التـيارات المحافظة. كما أن الصراع يمتد ليشمل المجالات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية وإن تخفى تحت عباءة الدين. كما أن هناك صراعا حول المصالح المختلفة لكل فريق اقتصادية أو اجتماعية أو سياسية. ففى وقت ما رأى البعض أن الانتماء للإمبراطورية العثمانية وطنية، وآخرون رأوا أن الانتماء للقومية المصرية وطنية وآخرون تجمد انتماؤهم عند الحقبة الفـرعـونيـة ... إلخ. ويمكن الرجـوع إلى الكتـاب الموسوعى للأستاذ طارق البشرى حول "المسلمون والأقباط " فى إطار الجامعة الوطنية " دار الوحدة – الطبعة الأولى ١٩٨٢ بيروت والذى يعالج بصراحة كبيرة لحظات الاندماج و لحظات التباعد بين المسيحيين والمسلمين على مدى القرن ونصف القرن الأخير كذلك كتاب الأستاذ جمال بدوى " الفتنة الطائفيـة " ... وكتاب الأستاذ أبو سيف يوسف " الأقباط والقومية العربية " ... وغيرها ... من الاجتهادات المختلفة دون تجريح أو استبعاد فصيل على حساب فصيل آخر.

وما نقصده من كل ما سبق هو أننا نحترم التعددية وأن لا أحد يمتلك الحقيقة مهما كانت وطنيته فالبحث عن الحقيقة مهمة المصريين جميعا وليست حكرا على أحد. فنحن على أبواب قرن جديد

يتحول فيه العالم إلى قرية كونية كبرى ظهرت بشائرها من خلال ثورة المعلوماتية وفيه تتجاوز الكونية أو الكوكبية الحدود السياسية من قومية وإقليمية وثقافية ودينية ... إلخ. ويتفاعل الناس بعضهم مع بعض وينتمون إلى أسرة إنسانية واحدة رغم اختلاف أعراقهم وثقافاتهم ودياناتهم ووطنيتهم ومصالحهم المختلفة وليس أمامنا إلا أن نكون مُتكاتفين وفاعلين فى هذا العالم الذى يتشكل ولدينا الكثير كمصريين مما يمكن أن نثرى به الحضارة الإنسانية (راجع التقرير الاستراتيجى العربى عام ١٩٩٥ ص ٩٥ - ١١١ تحت عنوان " النظام الدولى الإقليمى " .

د- هموم الكنيسة المصرية:

وفى النهاية فإن للأقباط الكاثوليك فى مصر هموما خاصة بهم وحدهم. فانفتاحهم على الشرق والغرب كما بيناه سابقا يسبب لهم متاعب إذ إنهم ضحية لعاملين مزدوجين كما أنهم ضحية لسوء تفاهم تاريخى ووجودى. فهم من ناحية مرفوضون محليا من بعض الفئات المتعصبة كأقلية الأقلية المسيحية بحجة انتمائهم العقائدى لإحدى الكنائس المسيحية فى الغرب وهذا الرفض غير مقبول لأنه بنفس المعيار يمكن أن يعامل الآخرون. فمثلا هل يمكن أن نصف المواطن الأسترالى الأرثوذكسى أو المواطن الماليزى المسلم بأنهما يشكلان جسما غريبا فى أوطانهم أو طابورا خامسا بحجة ارتباط عقيدة الأول بالكنيسة القبطيةِ الأرثوذكسية فى مصرَ والثانى بحجة ارتباطه العقائدى بالعالم الإسلامى والأزهر الشريف والأراضى المقدسة فى السعودية؟ بالطبع لا!

ومن هنا فنحن لا نرى أن الارتباط العقائدى يتعارض مع الانتماء الوطنى كما بيناه فى هذا التقرير.

ثانى ما يؤثر فى الأقباط الكاثوليك هو أنهم مهمشون عالميا بحكم وقوعهم جغرافيا وثقافيا على أطراف العالم الكاثوليكى وليس فى مركزه. فانتماؤهم للعالم الكاثوليكى الغربى لا يجعلهم بالضرورة فى المركز المهيمن حضاريا. فالكاثوليكى المصرى يحمل سمات وطنه الذى ما زال يعتبر فى التصنيفات الاقتصادية والاجتماعية والتنموية من دول " العالم الثالث " الذى هو عضو فى مجموعة الـ ٨٨ عدم الانحياز " راجع مقالة الاندماج الثقافى للكنيسة الكاثوليكية فى مصر " للأب وليم سيدهم مجلة رسالة الكنيسة - عام ١٩٩٥ . وهذه بعض الهموم الخاصة تضاف إلى بقية الهموم التى يحملها الأقباط الكاثوليك إلى جانب المصريين جميعا مثل مشكلات الأمية والبطالة والعنف والتفاعل مع معطيات الحداثة.

الفصل الثالث

التأقلم الثقافى للكنيسة الكاثوليكية ×

× محاضرة ألقيت فى ١٩٩٧/١٠/٢٤ بالأسكندارية

مقدمة

أتشرف بمشاركتكم فى القراءة المتواضعة التى حاولت بصفتى راهبا وكاهنا قبطيا كاثوليكيا أن أقوم بها للوقوف على درجة الاندماج الثقافى الذى وصلت إليه كنيستنا الكاثوليكية فى مصر.

وهذه القراءة تنطلق من احتياج شخصى بقدر ما تنطلق من احتياج كنسى للرد على السؤال.. هل أنا كراهب مصرى أنتمى للعالم العربى ولبلد من العالم الثالث ولكنيسة كاثوليكية عالمية ولرهبنة جذورها غربية مازلت محافظا على هويتى وخصوصيتى الشرقية ومندمجا فى مجتمعنا المحلى أم أن هذه الانتماءات المختلفة غربتنى عن نفسى وعن بلدى وعن شعبى وثقافته، خاصة وأنى ولدت فى منطقة شعبية ومازلت أفتخر بهذا الانتماء؟

هذه محاولة شخصية أكثر منها دراسة أكاديمية تعبر عن رغبة أكيدة فى المزيد من التأقلم أو الاندماج الثقافى لكنيستنا الكاثوليكية الشرقية فى حالتى تنطلق من الواقع المصرى.

أولا : التعريف باللفظ: (٣٤)

قبل أن نتحدث عن التأقلم الثقافى نبدأ أولا

بتعريف سريع لما هى الثقافة بحسب وثيقة المجمع الفاتيكانى الثانى .. أولا "هى وثيقة كنيسة" ثم تعريف المفكر الكبير سلامة موسى فتعريف د. زكى نجيب محمود:

١) الثقافة حسب تعريف المجمع الفاتيكانى الثانى: تعنى "كل ما يصقل به الإنسان وينمى طاقات نفسه وجسده المختلفة".

٢) ما يعمل به لإخضاع الكون لسلطانه عن طريق المعرفة والعمل وما يعمل به فى مجمل الحياة المختلفة.

٣) جعل الحياة الاجتماعية أكثر إنسانية وذلك بفضل تقدم الأخلاق والمؤسسات التشريعية وما يعبر به أخيرا وينشره ويحفظه فى مؤلفاته على مر الأزمنة من اختباراته الروحية الكبيرة وتطلعاته العظيمة مما يهدف إلى تقديم الكثيرين بل إلى تقدم الجنس البشرى كله.

٤) أما تعريف الثقافة من وجهه نظر المفكر سلامة موسى: فهى علوم وفنون وعادات وتقاليد واتجاهات تكسبنا جميعا مزاجا معينا نتجه به فى سيرتنا ومعاشنا ونؤسس بها مجتمعا يتفق ومبادئ هذه المعارف ولا يتنافر معها.

٥) أما د. زكى نجيب محمود: فيقول فلنفهم الثقافة على أنها طريقة العيش فى شتى نواحيه أو على أنها مجموعة القيم التى توجه الإنسان وتسيره وتقدم المعايير التى يوازن بها بين الأشياء والمواقف ليختار أو لنفهمها على مجموعة العلوم والمعارف وأحكام العرف والتقاليد أو لنقصرها على ما يتصل بالذوق وحده، دون العقل من أدب وفن.

ثانيا : ما معنى التأقلم الثقافى أو "التثاقف" أو الانثقاف"؟

هذه الكلمة تأخذ معناها الأساسى من خبرة روحية عميقة مؤسس عليها إيماننا وهى "عقيد التجسد" الكلمة صارت جسدا. وظهرت هذه المشكلة منذ القدم تحت مسميات أخرى. وهى تعنى كيف تتجسد الرسالة المسيحية التى تركها لنا المسيح فى ثقافة معينة. وظهرت المشكلة فى أيامنا حينما واجهت الرسالة المسيحية صعوبات فى الدول الحديثة العهد بالمسيحية خاصة الدول الإفريقية والآسيوية التى لها عادات وتقاليد ولغات مختلفة تماما عن الثقافة الشرقية المسيحية والغربية المسيحية. فمثلا يتساءل الإفريقيون من أصل وثنى عن ضرورة تعلم "اللغة الفرنسية" ليصبحوا مسيحيين أم أنهم يمكنهم أن يحتفلوا بالقداس بلغاتهم القبلية المحلية أو هل يمكن أن يكون الكاهن الإفريقى متزوجا بحسب عادات القبائل أم بالضرورة لابد أن "يتبتل" كما هى تقاليد الكنيسة الكاثوليكية الرومانية؟ هل يمكن الرقص فى الكنيسة بحسب عاداتهم فى الاحتفالات الأفريقية....إلخ.

إذن التأقلم مقصود به أن تتجسد الرسالة المسيحية فى دائرة ثقافية معينة وليس بشكل سطحى. ولكن بعمق لتصبح مبدأ للوحدة "بين شعب الله" وللخلق الجديد لهذه الثقافة المعينة.

وبمعنى آخر التأقلم الثقافى للكنيسة معناه هو الانفتاح على ثقافات أخرى. تميز فيه الكنيسة ماضيها وتأخذ ما هو قوى فيه لتعنى بمستقبلها فى اللحظة التاريخية الحاضرة "الأب أروبيه ١٩٧٨".

ما هى شروط التأقلم الثقافى؟

١) أن يكون لدينا كمسيحيين نظرة لتاريخ الخلاص بصفته تاريخا شاملا لكل البشر. أى أن الله يريد خلاص جميع البشر بمختلف ثقافاتهم وأجناسهم.

٢) استعداد باطنى لقبول روح الله... التى تأتى إلينا من خلال كل شىء. وهذا يفترض حسن الاستماع فى صلاتنا وفى بحثنا عما هو صحيح.

٣) أن ننطلق فى لقائنا بأى ثقافة من موقف تمييزى مبنى على تعاليم الإنجيل الذى يرى فى القيم الإنسانية أبعادا سامية. فنبحث عن قيمة العدالة والحرية الموجودة فى كل ثقافة. هذا التميز يفترض انثقافا باطنيا متواضعا يجعلنا نعترف بأخطائنا الماضية والحاضرة نحو الآخرين قبل أن نشير إلى الأخطاء الواردة من الآخرين.

٤) الصبر الطويل : فهذا من شروط البحث عن القيم المختلفة بأبعادها النفسية والإنسانية والاجتماعية والسياسية... مع الفهم والهضم والتمثيل للوصول إلى الحقائق.

٥) أن تكون لدينا المحبة المبصرة التى ترفض الغيرة الرسولية المتطرفة دون أن تخمد روح المغامرة الرسولية.

٦) الشعور مع الكنيسة والتضامن معها فى أمنياتها نحو المسيح.

ثالثا : بمقتضى التعريف السابق عن التأقلم الثقافى يمكننا أن نتساءل عن مدى تأقلم كنيستنا المصرية الإفريقية بمجتمعها المحلى من عدمه:

وبداية نحدد مما يربطنا بإفريقيا فنحن جغرافيا نحتل الضلع الشرقى من إفريقيا بما يعتبر مركزا استراتيجيا ونقطة عبور بين حضارات إفريقيا وآسيا وأوروبا. وسياسيا فنحن دولة رائدة فى حركة التحرير

من الاستعمار. ودينيا نرتبط بقبطيتنا بكنيسة إثيوبيا وبكاثوليكيتنا بمعظم كنائس إفريقيا. وتعتبر كنيسة مصر من أقدم كنائس إفريقيا. وعلينا مسئولية معنوية نحو هذه الكنائس كما إننا أقرب إليهم جغرافيا وروحيا وسياسيا من أوروبا حيث يعانى معظم الأفارقة عقدة الأبيض "انظروا ديزموند توتو وجنوب إفريقيا".

ويجب أن نعترف بأن إخوتنا الأفارقة يعانون أكثر منا مشكلة التأقلم فهم يعانون سيطرة اللغات الأجنبية على لهجاتهم المحلية وينقصهم الكثير للاندماج فى الكنيسة المحلية. وينظرون إلى الكنيسة فى مصر بصفتها كنيسة أصيلة ورائدة. هذا عن علاقتنا بإفريقيا بشكل موجز.

وإذا حاولنا أن نتساءل عمن لا يتأقلم فى كنيسة مصر (الكاثوليكية) وما هى العقبات التى تقف أمام هذا التأقلم، فإننا سنجد أن فى مجال الثقافة التقليدية والعادات والتقاليد لا نكاد نجد هناك فرقا فى مجمل القيم الأخلاقية والعادات والتقاليد الاجتماعية والسياسية والاقتصادية بين المسيحيين المصريين إلا بعض المرسلين الذين لم يوفقوا فى هذا المجال إما لأنهم لم يقوموا بالمجهود الكافى للانسجام بين ما يحملونه من ثقافة غربية أو محلية وبين ما يحيطهم من ثقافة سائدة أما تنقصهم العزيمة...

ثم نتساءل عما هى الموضوعات التى تعانيها كنيسة مصر وعليها أن تتأقلم ثقافيا حتى نعيش هذا التجسد الحقيقى فى نسيج المجتمع المصرى، وحتى "نتثاقف" نرى "للتثاقف" أو "الانثقاف" بعدين :

١- البعد الداخلى الوطنى : ونعنى به الانفتاح على الثقافة المحلية بحسب التعريفات السابقة وشروط الانثقاف، بما تحويه من قيم وسلوكيات إيجابية يجب تدعيمها وتلقيحها بنور الإنجيل (راجع المجمع الفاتيكانى الثانى حول دور الإنجيل) وقيمة وسلوكيات ضارة تفرض نفسها على مجتمعنا يجب أن نرفضها. أيضا من منطلق تمييزى إنجيلى.

٢- البعد الخارجى العالمى: ونقصد به كل الثقافات الواردة من الخارج والمفروضة علينا جميعا مسيحيين ومسلمين فى دول العالم الثالث سواء عبر وسائل الاتصال المختلفة أو استيراد التكنولوجيا المتقدمة وما يصاحبها من قيم إيجابية منها وسلبية.

ا- البعد الداخلى الوطنى :

من زاويته الإيجابية: فنرى كنيستنا الكاثوليكية وهى مندمجة فى مجالات رئيسية فى عادات ثقافية مختلفة.

(١) اللغة العربية : معروف أن اللغة عموما هى وسيلة الاتصال الأولى بين البشر سواء بين أبناء الثقافة الواحدة أو بين الثقافات المختلفة وهى شفوية ومكتوبة، شفوية حية نمارسها يوميا أو مكتوبة فى مخطوطات وكتب تصون لنا التاريخ وتحفظ التراث وتميز الإنسان عن الحيوان.

ففى مصر والشرق الأوسط وعلى عكس غالبية دول إفريقيا التى تلقت المسيحية فى بدايات القرن التاسع عشر مع الاستعمار الغربى من خلال اللغات الإنجليزية والبرتغالية والفرنسية والألمانية فإننا نحن الكاثوليك نتحدث اللغة العربية ونكتبها منذ القرن

العاشر الميلادى (أى منذ نحو ألف عام).... وهى لغة شعبنا ومحيطنا الجغرافى وبالتالى فنحن مندمجون لغويا فى الكنيسة وفى المدرسة وفى المصنع والحقل.. (نشير هنا إلى مشروع الأدب العربى المسيحى الذى يتبناه الأب سمير خليل اليسوعى وصدر منه نحو ١٢ كتابا خير شاهد على هذا الاندماج المبكر للكنيسة المصرية والكنيسة الكاثوليكية كجزء من الوعاء اللغوى المحلى). فلدينا حصيلة وافرة فى الأدب والطقوس واللاهوت والفلسفة والتاريخ وكل فروع المعرفة تعتبر تراثا يعزز ثقتنا بأنفسنا.. ولدينا علماء أفاضل فى فروع المعرفة المختلفة. نذكر من الكاثوليك المرحوم الأب جورج قنواتى الدومنيكانى وسنرى فى السلبيات أننا هنا نحتاج إلى كاثوليك أكثر.... للتخصص فى هذا النوع من المعرفة.... ولا ننسى أن المسيحيين اليوم بطوائفهم المختلفة يساهمون فى الحركة الثقافية فى مصر.. كما لا ننسى الدور الريادى الذى لعبه المسيحيون العرب فى لبنان وسوريا.. البستانى واليازجى وغيرهما: شبلى وسليم بشارة وجورجى زيدان..إلخ.

(٢) - **المؤسسات الوطنية:** والتى بدأت من عهد محمد على: المصنع والمدرسة والجيش والجامعة والوظائف الخدمية...التى تعلى "الاندماج الاجتماعى والثقافى والسياسى..." وما تفرضه هذه القيمة من خروج على روح "القبلية" الموجودة فى بلاد إفريقية أخرى مازالت تتعامل من منطلق القبلية ولا من مصلحة الأمة والروح الطائفية المبنية على التفرقة الجنسية "أمريكا" أو العنصرية "إسرائيل" أو الدينية "إيران - السعودية".

(٣) - التاريخ المشترك والجغرافيا السكانية :

كانت هناك لحظات مرة (الحكم المملوكى والتركى..) ولحظات حلوة مازال لها صدى فى نفوس المصريين مسيحيين ومسلمين منها ثورتا ١٩١٩ - ١٩٥٢ وانتشار المسيحيين بين جيرانهم المسلمين.. مما يوطد أواصر العلاقة (حرب أكتوبر ١٩٧٣).

(٤)- احترام الأغيار الدينيين إلى عهد قريب :

الكنيسة بجانب الجامع.... وسنتحدث عن الوجه الآخر السلبى مثل التعصب...

(٥) - العادات والتقاليد الاجتماعية :

التزاور والتأسى فى الأفراح والأحزان فى الأعياد الدينية والوطنية....

ب - القيم السلبية :

يجب أن نعترف أن هناك ثقافة وسلوكا محليين لا تساهم فى ترقية الإنسان واحترامه بقدر ما تؤدى إلى تفسخ المجتمع وتنافر أعضائه واغتراب الإنسان.

(١) على صعيد اللغة :

مازالت هناك بعض العقليات التى تربط اللغة العربية كأداة تخاطب واتصال وكأداة للتدين الحق، حتى إن هناك شبه عرف بعدم تعيين مسيحيين كمدرسين للغة العربية بحجة أن اللغة العربية مرتبطة بالدين الإسلامى، علما بأن هناك من المسلمين من لا يعرفون الفرق بين الفاعل والمفعول... مما يسبب ألما للمسيحيين لكون هناك ظلم واقع عليهم.. وهناك بعض المسيحيين من ناحية أخرى يتطرفون فى اعتبار

اللغة العربية لغة تخلف وهناك فئة ثالثة من المرسلين الأجانب من لا يقومون بالجهد الكافى للدخول فى الثقافة المحلية لأسباب مختلفة (تعال - عدم قدرة - عدم حساسية) وإذا كانت اللغة تعتبر لغة اتصال بين الإنسان وأخيه الإنسان أو بيْن أفراد الشعب الواحد أو بين ثقافة وثقافة أو بين جيل وجيل من خلال الكتابة. فإن نسبة الأمية العالية الموجودة فى مصر حوالى ٥٠٪ تجعل من هذا النقص معوقا لتوحيد ثقافة الأمة وربط ماضيها بحاضرها ومستقبلها. والمسيحيون فى مصر مطالبون أكثر من غيرهم بمساعدة جيرانهم وأبناء وطنهم للتقريب بين أبناء الوطن الواحد **(راجع المجمع الفاتيكانى الثانى)**.

❖ ملحوظة أخرى:

إلى أى مدى ينفتح المسيحيون على ثقافة الوطن بحيث تجد فى مكتبة الكنيسة أو المدرسة التابعة لها كتبا غير دينية تختص بالقيم الثقافية الرفيعة فى فروع المعرفة المختلفة (راجع المجمع الفاتيكانى الثانى). التأقلم الثقافى يفترض ألا يلم المسيحى بما يهتم بالعقيدة والطقس فقط بل أيضا بهموم الآخرين وفهم عقليتهم وظروفهم. (كم مكتبة تهتم بأدب نجيب محفوظ - يوسف إدريس - عبد الرحمن الشرقاوى - ألفريد فرج - أحمد بهاء الدين) "انظر وثيقة المجمع الفاتيكانى الثانى".

٢- المؤسسات الوطنية:

غالبا ما يشعر المسيحيون فى المؤسسات الوطنية خاصة فى العشرين سنة الأخيرة بالجبن والاضطهاد والإحساس بالظلم سواء كانوا موظفين أو متعاملين مع

هذه المؤسسات. فى المدرسة أو الجامعة أو الجيش أو المصنع أو مكتب الخدمات......الخ. وأصبحت عملية الانتماء إلى الوطن صعبة للغاية نظرا إلى تسلط النظرة الدينية المتطرفة وتغلبها على نظرة المعاناة الواحدة التى يعيشها هؤلاء الأغيار الدينيون (المسيحى والمسلم فى المؤسسة): ضعف المرتب - تكدس الموظفين بدون عمل واضح - تكدس الفصول فى المدارس والجامعات... بالإضافة إلى المشكلات التى يعانيها الجميع فى السكن والمواصلات والمأكل والملبس. السؤال الذى نطرحه هنا هو: إلى أى مدى تسمح ثقافة المسيحى ووعيه له بالوصول إلى الأسباب الحقيقية لهذا الرفض للأغيار الدينيين ووضعه فى حجمه الحقيقى (المعاناة الاقتصادية - غياب الديمقراطية - تفشى الجهل المدقع بأمور الدين الصحيح مضافا إليها ما تعلمنا إياه العلوم الاجتماعية عن تفسير للسلوك الإنسانى خاصة فى وقت الأزمات)... أليس اختزال كل هذه الأسباب لمعاناة المسيحى داخل هذه المؤسسات فى سبب واحد (العامل الدينى) هو رد فعل غير مثقف وغير واع دينيا وثقافيا ويعتمد على العاطفة، مما يجعل الفعل ورد الفعل نابعين عن انحطاط فى الثقافة وعدم أمانة للإيمان، بمعناه منبعا للسلوك الحضارى.

٣- التاريخ المشترك والجغرافية السكانية :

إن البعد السلبى فى مجتمعنا المسيحى من هذه الزاوية ينبع من الجهل بالتاريخ فى عموميته وشموله (يمكن مراجعة كتاب الدكتور ميلاد حنا : الأعمدة السبعة - وكتاب مستقبل الثقافة فى مصر لطه حسين... وغيرهما)

فالذاكرة المسيحية يغلب عليها طابع الانتقاء. كما الحال هى عند الأغيار الدينيين (إخوتنا المسلمين... وخاصة الفئة المتوسطة التعليم والفئة المتطرفة دينيا) وتفسير ذلك الانتقاء هو النقص الثقافى المدقع لطرفى الشعب المصرى مصحوبة بمشكلة الهوية. فكل طرف يقرأ من منطلق مصالحه الشخصية والأنانية وعواطفه. المسيحيون غالبا ما يقرأون التاريخ من منطلق أصلهم الفرعونى. فتعطيهم ميزة "الأصالة التاريخية والثقافية" يتحسرون على "المرحلة القبطية" وينفرون من الحقيقة الإسلامية... التى لا يتذكرون منها فى أغلب الأوقات إلا اللحظات التاريخية المظلمة- الاضطهاد والظلم... وهى لحظات موجودة فى تاريخ الأمم أجمعها. ونظرة سريعة على ما يدور حولنا فى العالم نجد أن الحروب ذات الطابع الدينىّ موجودة فى بلدان مسيحية عريقة مثل (أيرلندا الكاثوليك والبروتستانت - أمريكا اللاتينية بين الكاثوليك وبعضهم - نيكاراجوا - السلفادور- البرازيل...الخ) وإذا نظرنا إلى التاريخ الأوروبى لوجدنا المجازر كانت ممتدة فى أوروبا المسيحية باسم الدين. ونحن فى مصر غالبا ما ننسى أن صفة "المسيحية" لا تعصم "المسيحيين" من الخطأ والخطيئة.

أما المسلمون- وهم الغالبية فى مصر - فإن أنصاف المتعلمين والمثقفين منهم يبدأون التاريخ الإنسانى بصفة عامة والتاريخ المصرى بصفة خاصة انطلاقا من القرن السابع وهو تاريخ دخول الإسلام فى مصر. وهم ينتقون أيضا نظرتهم التاريخية، ولهم أسبابهم فى ذلك. وغالبا ما يكون مصدر هذا الانتقاء هو النظرة الضيقة نفسها لدى

إخوانهم المسيحيين التى سببها الجهل بالتاريخ واحتفاظ الذاكرة بالعصور الذهبية للإسلام. وتعويضا نفسيا للعجز أمام الحضارة الغربية من ناحية. ولسبب اجتماعى هو الاستدلال الميكانيكى الذى معناه أن الأغلبية يجب أن تكون بالضرورة صاحبة الأمر والنهى بغض النظر عن إن كانت هذه الأغلبية توفى بالتزاماتها نحو الأمة أم لا. أما على صعيد التوزيع السكانى فإن الاندماج السكانى الذى كان يسود فى العصور السابقة خاصة مع ازدهار المؤسسات القومية وفى أطراف القرى والنجوع حيث الفلاحون والعمال المسيحيون والمسلمون يتجاورون فى السكن والزراعة والمصنع بدأ يتراجع فى العشرين السنة الأخيرة بسبب وسوسة التطرف الإسلامى وما صاحبه من قصور ثقافى شامل مسيحى أدى إلى التقوقع على الذات بدلا من المواجهة الحضارية الواسعة النظرة والمؤمنة متفاعلة بذلك تفاعلا اجتماعيًا ونفسيا محضا مغيبة للنظرة الروحية العميقة للمسيحية:"أنتم ملح الأرض أنتم نور العالم أنتم الخميرة فى العجين" مسيدة للنظرة الطقسية الشعائرية. ولا يمكن إرجاع هذا الشرخ الثقافى الاندماجى إلى الطرف الآخر فقط بل يجب ألا نتجاهل مسئوليتنا كمسيحيين فى اتساع واستمرار هذا الشرخ.(راجع الرسالة الرعوية لمجلس البطاركة الكاثوليك فى الشرق رقم ٢٧ فى عام ١٩٩٢).

رابعا : احترام العادات والتقاليد الاجتماعية:

إن المدقق جيدا للواقع الحالى يرى أنه رغم تفشى التعصب والإرهاب فى السنين الأخيرة فإن هناك مساحات واسعة من التعايش المسيحى الإسلامى فى صورة مختلفة ترفض مثل هذا التطرف ولكن هناك

من يشق الصفوف متعمدا كل يوم فى أحياء مصر الراقية وربما أكثر منها فى أحيائها الشعبية العريقة فى القدم فى القرى والمدن بالتحريض على عدم مخالطة الجار بسبب دينه أمثال عبد الكافى وغيره أو معاملة غير الدينى بصفته "ذميا". لذلك نجد النفوس الضعيفة غيرت من عادتها وافترق الجيران وزملاء المدرسة الواحدة وزملاء المهنة الواحدة خوفا من البطش أو بسبب نقص التكوين الدينى أو طمعا فى مكسب مادى... أو حسدا أو بسبب عدم فطنة الجار وأنانيته. الموالد - والتزاور فى الفرح والكره. والاحتفال بالأعياد الوطنية والتعاون فى المسلمات الجسام. ورغم الخلافات العقائدية فهناك مؤسسات مسكونية تتفاعل أيا كانت "العدالة والسلام".

خامسا: التأقلم الثقافى فى البعد الخارجى (الوافد)"

١- ما هو إيجابى:

الارتباط الروحى للكنيسة الكاثوليكية بالبعد الروحى للكنيسة الجامعة مما يضفى عليها غنى التجارب والثقافات المختلفة فى كل بقاع الأرض مع احتفاظها بخصوصيتها الشرقية... (راجع المجمع الفاتيكانى الثانى حول خصوصية الكنيسة الشرقية).

وهذا الاتصال يتطلب مجهودا خاصا لفهم النصوص الكنسية والقيم الروحية النابعة من خبرة الشعوب المسيحية الكاثوليكية التى تتلاءم مع واقعنا الحاضر. مثل خبرة لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية. وهنا لدينا على مستوى ارتباطنا الروحى توجهاتنا الحياتية ثلاثة نصوص أساسية منذ عام ١٩٦٥ (المجمع الفاتيكانى

الثانى) ماذا فعلنا لنجسدها فى الواقع المصرى والعربى؟

النص الأول: خـاص بـالكنـائس الشـرقـيـة الكاثوليكية"وليعلم جميع الشرقيين يقينا أنهم يحق لهم بل يجب عليـهم أن يحـتـفظوا على الدوام بطقوسهم الشرعية ونظامهم الكنسى وألا يدخل من التغيير عليها على ما تقضى به سنة النمو الذاتى العضوى. فعلى الشـرقـيـين إذن أن يحـافظوا هم أنفسهم على ذلك كله بكل أمانة وبممارسته كاملا. وإذا كانت ظروف الزمان وأحوال الناس قد اضطرتهم إلى الانحـراف عنه فليـبـذلوا الجهد فى العودة إلى تقـاليـد آبائهم. وأمـا الذين تدعـوهـم وظيـفـتـهم أو رسالتهم إلى الاتصال المتوتر بالكنائس الشرقية أو بأبنائها فيجب عليهم ـ بحكم أهمية المهمة التى يضطلعون بها ـ أن يتثقفوا تثقيفا دقيقا فى معرفة ما يخـتص بالشـرقـيين من طقوس وأنظمة وتعاليم وميزات خاصة وتقديره حق قدره ويطلب بإلحاح من الرهبانيات والجمعيات اللاتينية التى تعمل فى بلدان الشرق أو بين المؤمنين الشـرقـيين أن تنشأ لها وسع طاقتها- فى سبيل المزيد ثم فعالية العمل الرسولى- أديرة أو أقاليم أيضا على الطقس الشرقى".

النص الثانى: خاص بعلاقتنا ككنيسة كاثوليكية مع إخوتنا المسلمين "وتنظر الكنيسة أيضا بتقدير إلى المسلمـين الذين يعـبـدون الله الواحـد الحى القـيـوم الرحمن الذى خلق السماء والأرض وكلم الناس. فهم يسـعـون بكل نفـوسـهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفـيت مقاصده كما سلم الله إبراهيم الذى يفخر الدين الإسلامى بالانتساب إليه. فإنهم مع كونهم لا

يعترفون بيسوع إلها يكرمونه نبيا ويكرمون أمه العذراء مريم مبتهلين إليها أحيانا بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذى يجازى الله فيه جميع الناس بعدما يبعثون أحياء. من أجل هذا يقدرون الحياة الأدبية ويعبدون الله بالصلاة والصوم خصوصا.

ولئن كان قد وقع فى غضون الزمن كثير من المنازعات والعداوات بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع يحرضهم جميعا على نسيان الماضى والعمل باجتهاد صادق فى سبيل التفاهم فيما بينهم وأن يجمعوا ويعززوا كلهم معا- من أجل جميع الناس- العدالة الاجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية".

النص الثالث: عن المسكونية (راجع الكتاب الأصلى). ماذا فعلنا بهذه التوجيهات التى تحدثنا عن أنفسنا ألا توجد فيها بالإضافة للوثائق البابوية المتلاحقة مثل (فى الشأن الاجتماعى - والشباب - والكهنة) ألا يوجد فيها دعوة ملحة إلى الاندماج فى مجتمعنا المتعدد الثقافات والطوائف؟ ففى النص الأول اعتراف واضح بخصوصيتنا الشرقية إلى جانب انتمائنا إلى الكنيسة الجامعة. والنص الثانى يدعونا إلى تناسى الماضى الأليم والانطلاق من حاضر نبتكره نحن فى نور الروح القدس باعتبار أن الله الأب يعمل فى الثقافات المختلفة. والنص الثالث أيضا يحضنا على الاندماج مع الكنيسة الأرثوذكسية.

ولنا ملاحظات على هذه النصوص:

أولا: إنها تظهر مرونة واضحة وانفتاحا من الكنيسة الجامعة التى تنتمى إلى الثقافة السائدة (الغربية). بما يحمله هذا الانفتاح على الكنيسة

المحلية والأغلبية الإسلامية من ناحيتنا كأقلية من تحفيز ومساندة معنوية لنتحدى العزلة والتقوقع الذى تميل إليه كل أقلية بطبيعتها الاجتماعية. فنحن هنا نعوض أقليتنا الداخلية بانتمائنا إلى الأغلبية العالمية (مليار من البشر).

ثانيا: رغم انفتاحنا الثقافى من الزاوية الروحية على الحضارة الغربية فإننا نتعامل مع هذه الثقافة الروحية بمنطق المتخلفين.(هذه الوثائق البابوية تحمل فى طياتها خبرات وتساؤلات نابعة من ثقافات مختلفة بما فيها الثقافة الغربية وفيها من الإيجابيات ما قد يساعدنا على النهوض بمجتمعنا وبيئتنا المصرية العربية. فماذا نفعل بها وإذا انحصرنا فقط فى الجانب الثقافى الروحى بالمعنى الواسع نجد أن دراسات الكتاب المقدس وصلت إلى أبعاد كبيرة فى الغرب. ومناهج التفسير والتحليل تعددت واتسعت وأصبحت تستخدم العلوم النفسية والاجتماعية وفلسفة اللغة والنظم السياسية والأيديولوجية....الخ). فماذا فعلنا ليكون ارتباطنا بالكنيسة الجامعة حقيقيا لا شكليا. إن المشكلة الخطيرة المطروحة على صعيد الكنيسة فى مصر هى كيفية تفسير النصوص الدينية. وقضية نصر حامد أبو زيد لا تخص إخوتنا المسلمين فقط، بل تخصنا نحن المسيحيين أيضا. لأنها تحدى العبور من الثقافة التقليدية الجامدة إلى استخدام المناهج العلمية الحديثة فى دراسة النصوص المقدسة.

مثال : حتى الآن فى الكنيسة فى مصر لم نتفق على كيفية تفسير النصوص. قضية آدم وحواء. فمثلا أسطورة أم لا مازالت تثير الجدل.... داخل الأوساط

الكنسية، فى حين أن هناك توجيها من أحد الباباوات فى روما منذ أكثر من ١٠٠ سنة يتحدث عن ضرورة استخدام النقد الأدبى بالإضافة للنص الخاص بالوحى الإلهى فى الكتاب المقدس والتى تدعو إلى استخدام المناهج الحديثة ولاستخدام العقل فى الإيمان.

بالطبع هناك من سيقول إن المشكلة فى الكنيسة الأرثوذكسية... أو فى الوسط الإسلامى... ولكن أين دورنا.... إذا كنا لم نتفق حتى الآن على سياسة موحدة لتكوين خدام مدارس الأحد فى كنائسنا... رغم أن هناك معهدا خاصا بالسكاكينى لذلك وكان يمكن تطويره.

نعم لدينا مؤسسات تحاول بتنسيق مع المؤسسات الكاثوليكية: جمعية الصعيد - كاريتاس - مصر - العدالة والسلام...... إلى جانب مدارس اللغات والرهبانيات العالمية التى تبذل جهدا كبيرا للاندماج الثقافى ولكن نحن المصريين ماذا فعلنا؟ فإلى جانب الجهد المادى والعطاء الخيرى نحتاج إلى متفرغين ومتخصصين فى فروع العلوم المختلفة.

وهنا نأتى لقضية أخرى تواجه مصر ودول العالم الثالث. التعامل مع ما يسمى "الحداثة" : التكنولوجيا والعلوم الحديثة وطوفان الاتصالات وما تحمله معها من قيم مبنية على الحرية الشخصية والمسئولية الشخصية وعلى البحث العلمى والانفصال تماما عن الدين. بالإضافة إلى الاكتشافات المتلاحقة التى يحققها الغرب... كل ذلك جعل الإنسان فى عالمنا يخاف على نفسه ومستقبله....

"**الدش**" مثلا يهدد كل القيم التقليدية التى تعارفنا

عليها من احترام للدين. والاحتشام فى الجنس والتعامل مع قضايا الهندسة الوراثية وتغيير الجينات... وسلطة عالم المعلومات الذى يتحكم فى فرض السياسات المختلفة... كل هذه القضايا وما تفرضه علينا من تغيرات متلاحقة جعلتنا نفقد هويتنا.. ونفقد اتزاننا.

ماذا فعلنا لكى نثبت أقدام أجيالنا ونجعلهم يتعلمون كيف يميزون بين الغث والسمين، بين الأفلام الجنسية والأفلام العلمية الآتية من المصدر نفسه بين سلعة مناسبة وسلعة أخرى مدمرة؟

الحداثة تفترض إنسانا مثقفا بثقافة عصره يفهم فى العلم والسياسة والدين والتاريخ والجغرافيا والفضاء... هذه قضية كبيرة تفترض منا أن نكون روادا فى الوطن لحمل مشاعل الانفتاح بدون أن نفقد هويتنا.

نظرة مستقبلية نحو تثاقف حقيقى

١) الاعتراف بالآخر واحترامه كما هو.

٢) قبول وضعنا كأقلية عددية وتحمل مسئوليات هذا الوضع بنور الإنجيل "نص الإنجيل قيل لكم... فأما أنا فأقول لكم".

٣) تبنى قضايا الوطن والقضايا القومية لا القضايا الطائفية فقط (القضية الفلسطينية - البطالة - مكافحة الأمية - تفكك العائلات...الخ). "إن لم يزد بركم على الكتبة والفريسين..." والاهتمام بقضية حقوق الإنسان جميعها (الدفاع عن حق العمل حق الكلام فى النقابات والأحزاب والمؤسسات الوطنية والشعبية).

٤) تبنى التراث العربى التنويرى والإسلامى وما أكثر المفكرين والمسلمين والعرب الذين نتفق معهم وما أكثر المسلمين الحاليين المستنيرين الذين يمكن أن نتعاون معهم لبناء الوطن.

٥) رفض دعوى الانغلاق بحجة الاضطهاد. وننظر للتاريخ الذى يعلمنا أن الأقليات الصامدة المؤمنة (الدينية السياسية والاجتماعية) هى التى غيرت وجه المجتمعات والتاريخ. ورفض الوهم الذى يرى فى الغرب صورة مثالية تخلو من الكفاح والنضال اليومى للحياة.

نقرأ قصة طه حسين (الضرير) قصة ابن رشد القاضى الجليل (حكم عليه) لنتابع قضية نصر حامد أبو زيد ولنر استشهاد فرج فودة.

هؤلاء ينتمون إلى أغلبية لم تساعدهم على تحقيق ما يحلمون به ولكنهم شقوا طريقهم رغم جميع الصعوبات. فكم وكم ونحن أقلية علينا أن نضع أمامنا مثل "حبة الخردل - الخميرة فى العجين - والسامرى الصالح". لنجد القوة فى من قهر الموت مخلصنا يسوع المسيح."قيل لكم... وأقول لكم".

يمكن تلخيص العقبات التى تقف أمام جهود الاندماج الثقافى فى مصر كما يلى:

الانفتاح ليس معناه فقد الهوية. وهى ليست مشكلة الكاثوليك فقط ولكن مشكلة كل المصريين والعالم أجمع فى ظل التغيرات المتلاحقة على كل الأصعدة.

١- مسألة الهوية: أمام الانتماءات المختلفة المعروضة على الشباب.

هل نحن عرب؟ هل نحن أقباط أو كلدان أو

موارنة؟ كثير من الشباب لا يعرفون الفرق بين الانتماء الروحى لكنيسة روما وبين الانتماء الوطنى والانتماء إلى تراث وطقوس دينية محلية وحضارة مختلفة.

التفاعل الصحى مع الانتماءات المعروضة:

١) الإسلام

٢) العروبة والاشتراكية

٣) الليبرالية

الفرق بين التعددية وتفتت الهوية.

ومن هنا يأتى التساؤل إذا كنت قبطيا كاثوليكيا ما الذى يميزنى عن القبطى الأرثوذكسى خاصة وأننا نمارس نفس الطقوس الكنسية فى القداس وفى ممارسة سر الزواج؟

ما الذى يميز الكاثوليك سواء كانوا أقباطا أو سريانا أو أرمن...إلخ؟.. ما هى القواسم المشتركة؟ هل هو انتماؤهم العقائدى لروما أم انتماؤهم للحضارات القوية.. الفرعونية - الآشورية - الفينيقية...الخ. أم انتماؤهم للعالم العربى.. أم انتماؤهم للدولة القطرية التى يعيشون فيها .. مصر - لبنان - الأردن - فلسطين.. (طاقة تحرير بدلا من طاقة تجميد وتكبيل).

٢- التربية الدينية:

لا شك أن فهم النصوص المقدسة خاضع لذهنية واحدة مشتركة (الذهنية التقليدية الحرفية) التى تتمسك بالحرف وغير مهيأة لقبول التفاسير الحديثة لنصوص الكتب المقدسة.. وهذه معضلة كبيرة.

الكنيسة الأرثوذكسية القبطية التى ترفض تطبيق العلوم الحديثة (علم اللغة - علم الاجتماع - التاريخ -

الأنثروبولوجيا، علم الأساطير) وتعتز بانتمائها الشديد للتراث الآبائى.. وبين العقلية الإسلامية التى ترفض أن تخضع النص القرآنى للدراسات النقدية. المعضلة هى السفر والاحتكاك بالثقافات الوافدة.

٣- قضية المشاركة فى الحياة العامة:

خاصة السياسة وهى قضية شائكة مرتبطة بقضية الديمقراطية وحقوق الإنسان فى كل بلداننا العربية.

هذه العقبة... تتعلق بمدى قدرة الكنيسة ذاتها على ممارسة الديمقراطية فى داخل هياكلها ومجالسها... وأعتقد أن أول مدرسة للديمقراطية بعد "الأسرة" هى الكنيسة. ففى داخل جدران الكنيسة يتعلم الكاثوليكى فهل ممارسة حق التعبير والتنظيم شئ ممكن أم مستحيل فى الواقع؟. وهنا تدخل قضية دور العلمانى ودور الإكليريكى فى تنظيم شئون الكنيسة وأنشطتها الروحية والاجتماعية. بعدها إذا كونا الكاثوليكى على أنه لا يوجد تناقض بين انتمائه ومشاركته الكنسية وانتمائه للوطن... نكون قد أهلناه للمشاركة فى العمل السياسى والإجتماعى على صعيد الحى والمدنية والوطن.

٤- القضية الفلسطينية:

وإذا كانت المشاركة فى الحياة العامة تفترض الالتفاف حول القضايا القومية فإن القضية الفلسطينية التى استحوذت على الشارع العربى فى العواصم العربية المختلفة ومنذ قيام إسرائيل وحتى الآن لابد أن يكون للكنيسة موقف واضح فيها فى أقطارنا المختلفة.. ففى مصر يتكالب الناس على

زيارة الأماكن المقدسة فى وقت بلغ فيه التعسف الإسرائيلى درجة خطيرة تكاد تعصف بعملية السلام برمتها. وإذا كانت القيادة الكنسية ممثلة فى بابا روما وفى بطريركها غبطة الأنبا ميشيل صباح وسابقا الأنبا كابوتش تقف موقفا حازما ومتوازنا فلابد من توعية الشعب الكاثوليكى والإكليريكى بضرورة التصرف بوعى حتى لا يزيد عن عموم الشعب المصرى.

الفصل الرابع

التعليم الاجتماعى للكنيسة الكاثوليكية×

"مائة سنة" على صدور وثيقة "الشئون الحديثة" ١٨٩١ - ١٩٩١ للبابا لاون الثالث عشر

× محاضرة ألقيت فى مؤتمر التعليم الإجتماعى بالكنيسة الكاثوليكية - بكلية العلوم الدينية - السكاكينى فى ١٨/١/١٩٩٩

الخطوات التى سنتبعها فى عرض تعليم الكنيسة الاجتماعى على مدى مائة عام:

أولا : البابا لاون الثالث عشر وإعلان وثيقة الشئون الحديثة:

١- الظروف الاقتصادية التى سبقت ظهور "الأشياء الحديثة.

٢ -المسيحيون والحركة العمالية عشية صدور "الشئون الحديثة".

٣- لاون الثالث عشر : واهتمامه بالعمال قبل ارتقائه لسدة البابوية.

٤- لاون الثالث عشر : وصياغة " الشئون الحديثة".

٥ - أربعة أحداث ساعدت على نضج وإعلان وثيقة "الشئون الحديثة".

٦- أربعة صياغات ... لرسالة الشئون الحديثة.

٧- بنية الوثيقة "ظروف العمال".

ثانيا : البابا بيوس الحادى عشر ووثيقة "أربعون عاما" (١٩٣١):

١- الظروف التى كانت قائمة عشية صدور الرسالة.

٢- الأزمة الاقتصادية وصعود الفاشية "موسولينى".

٣- الإطار السياسى وأهم معالمه عشية صدور ٤٠ عاما.

٤- الإطار الأيديولوجى.

٥ - ثمار الوثيقة الأولى والجديد فى ٤٠ سنة.

٦- كيفية صياغة ٤٠ سنة.

٧ - ٤٠ عاما بين النظرية والتطبيق.

٨ - رد الفعل على نشر رسالة أربعون عاما (١٩٣١)

ثالثا : إعلانه وثيقة "أم ومعلمة" ١٩٦١ البابا يوحنا الثالث والعشرون:

١- رسالة لعصر التكنولوجيا.

٢- أهم الأشياء الجديدة.

رابعا : مائة سنة ١٩٩١ (إعلان وثيقة يوحنا بولس الثانى) العنف والظلم والعدالة:

ثلاثة أبعاد : "ثلاثة قضايا مترابطة"

١- فى الماضى

٢- والحاضر

٣- والمستقبل........

خاتمة ....

أولا : البابا لاون الثالث عشر وإعلان وثيقة "الشئون الحديثة" عام (١٨٩١):

١- الظروف الاقتصادية التى سبقت ظهور وثيقة :الشئون الحديثة ":

❖ لقد بدأت المرحلة الصناعية "الانتقال من العصر الزراعى الإقطاعى إلى عصر الصناعة فى نهاية القرن الثامن عشر ميلادى" وبدأت تتسارع وتيرته فى نصف القرن التاسع عشر ووصل إلى مرحلة حاسمة من النمو والاتساع فى نهاية القرن التاسع عشر (زمن نشر الشئون الجديدة١٨٩١). وقد تم ذلك من خلال أزمات اتخذت شكلا دوريا أحيانا.

❖ فرغم أن عام ١٨٩١ كانت الصناعة فى حالة تقهقر Recession فالإنتاج العالمى للفحم والحديد

والصلب كان فى أوج ازدهاره واختراع القرن Thomas كانت تكنولوجيا مهمة فى مجال صناعة الحديد والصلب.

❖ وانتشرت السكك الحديدية لتربط المدن الأوروبية الكبيرة ببعضها وانتشرت فى كل أرجاء الولايات المتحدة الأمريكية. وكانت سفن البلاد الأوروبية الكبيرة تتكاثر وتتسابق فى نقل البضائع فى الوقت الذى تزامنت فيه الفتوحات الاستعمارية لفتح الأسواق والحصول على المواد الأولية بأرخص الأسعار.

❖ وقد سمح اختراع التلغراف بسرعة الاتصالات بكل مكان.

❖ وانتقل استخدام الكهرباء فى وسائل النقل (الترماى..) وفى Metalurgieوالكيمياء وفى إضاءة المدن.

❖ وركزت الدول جل اهتمامها على البنوك القوية.

❖ فى ١٨٨٩ أقيم برج إيفيل بمناسبة الاحتفال بمائة عام على الثورة الفرنسية فكان فخر النجاح الصناعى فى ذلك الوقت.

وعلى الصعيد الاجتماعى كان يتم العكس:

فقد طفت إلى السطح مشكلة "العمال". وبدأت الثورات العمالية (١٨٤٨ - البيان الشيوعى... مشاعة باريس.. "واعتصامات فى شيكاجو ١٨٨٦") ازدياد وعى العمال بأوضاعهم المتردية. وبدأت السلطات تعى المشكلة العمالية واتساعها.

ثم ظهر التناقض بين القوى الصاعدة، حيث مازالت الدول الأكثر تصنيعا يغلب عليها الطابع الريفى وأعيان الريف لم يكونوا مستعدين للتنازل عن الأيدى العاملة فى الزراعة.

وتنامى الوعى العمالى فى المدن وبدأوا فى تنظيم أنفسهم وإرساء تقاليد خاصة بهم وبدأ الاشتراكيون بمختلف فصائلهم عرض نظرياتهم وعقائدهم على العمال واستقطابهم.

أ- أتباع بردون Les Proudhoniens

ب- اللاساليون Las saliens

ج- الماركسيون Les Marxistes

وبدأت تنتشر النقابات العمالية:

❖ أولا فى إنجلترا تجمع Trade Unions.

❖ ثم فى الولايات المتحدة: نقابة "فرسان العمل" Chevaliers du Travail وكانت تضم سبعة آلاف عضو فى عام ١٨٨٦ .

❖ تأسس الاتحاد الأمريكى للعمل سنة ١٨٨٦ وكان يضم أكثر من مائة ألف عامل.

❖ وفى أوروبا كانت الحركة العمالية تقود النقابات الألمانية التى تضم ٣٠٠ ألف عضو تحت اسم "مؤتمر جوتا".

❖ أما فى فرنسا فمن خلال المجادلات بين الإصلاحيين ودعاة التعاونية تأسست نقابة الـ C.G.T عام ١٨٩٥ . ونوع من الليبرالية النسبية التى قننها قانون ظهر عام ١٨٨٤ .

❖ دقت ساعة النقابات العمالية العالمية فى العقد الأخير للقرن التاسع عشر.

❖ وتحت هذه الضغوط تحققت بعض النجاحات الاجتماعية وبدأت تظهر بعض القوانين الاجتماعية.

٢- المسيحيون والحركة العمالية عشية صدور "الشئون الحديثة ١٨٩١":

لقد فرضت المسألة الاجتماعية نفسها على

المسيحيين ورجال الدين قبل أن يوجه لاون الثالث عشر نداءه "الشئون الحديثة" بزمن طويل.

فإذا نظرنا إلى وضع الكنيسة عامة فى أوروبا وأمريكا فى الربع الأخير من القرن التاسع عشر فإن الانطباع الذى نجده سائدا هو الخوف من الثورات العنيفة وتوافر الإرادة لإعادة بناء نظام اجتماعى تسيطر عليه النزعة الريفية رغم استغاثة المسيحيين الاشتراكيين القلائل..

وبالرغم من الوضع السياسى الذى وجدت الكنيسة نفسها فيه والذى جعلها فى مواجهه مع الحكومات العلمانية فإنها وجدت نفسها متحالفة بالفعل مع البرجوازيات المسيطرة. وأمام هذا الوضع فإن الحركة العمالية بالغت فى نزعتها ضد الأكليروس .Anticlericalisme

ومع ذلك فإن بعض الشخصيات الكاثوليكية المرموقة رفعت صوتها محذرة منذ عام ١٨٤٨ من تدهور حال العمال مثل الكاردينال De Bonald فى مدينة ليون Lyon الفرنسية والأسقف فون كيتيلير Mgr Von Ket-teler من مدينة مايانيس Mayence الألمانية.

كما نجد فى إنجلترا الكاردينال مينينج Manning فى مانشستر Manchester.

وفى أمريكا الكاردينال جيبون Gibbons فى بالتيمور Baltimore. وقد أدان جميعهم الهياكل الاقتصادية الظالمة المسئولة عن انتشار ظاهرة العمال La Prolitarisation...

وأكثر من ذلك شجعوا مبادرات الأقلية العلمانية سواء على صعيد العمل أو على صعيد النظر العقلى فى هذه الظواهر. هؤلاء العلمانيون الذين أطلق عليهم فى حينه "المسيحيون الاجتماعيون" فى النمسا

وسـويسـرا كـمـا أطلق عليـهم اسم "الكاثوليك الاجتماعيون" فى فرنسا وإيطاليا وأسبانيا .

وعلى المستوى النظرى أو العقائدى برزت بينهم شخصية الأسقف الألمانى Ketteler وقد تأثر بدون شك بقراءاته ولقاءاته بالمنظر الاشتراكى "لاسال "Lassalle واستماعه لخطبه وقراءة كتابه حول "المسألة العمالية والمسيحيون" الذى ظهر عام ١٨٦٤م، حيث أدان لاسال الهياكل الاجتماعية التى نجمت عن الليبرالية كما اقترح لاسال أسلوب وضع تشريعات مناسبة لحماية العمال وطالب بأن يأخذ العمال زمام المبادرة فى أيديهم ويهتموا بشئونهم عن طريق إقامة "تعاونيات إنتاجية" .

وبالمثل قام فوجيلزانج Vogelsang بنقل هذه الأفكار إلى النمسا وكان فوجيلزانج تلميذا للمطران Ketteler . ونشر هذه الأفكار عبر الصحافة وكان يغلب عليها الطابع النقابى . Corportiste

وقد عرف الكاثوليك الاجتماعيون الأوائل أفكار كيتلير Ketteler فيما أثرت عليهم أحداث كمونة باريس حيث تنبهوا حينذاك إلى أهمية المسألة الاجتماعية . ونجد هنا أسماء Ren de la tour du pin الذى كان أكثر عقائدية فى نقده للرأسمالية واقترح تدخل الدولة والبير دى مون Albert de Mun الذى كان خطيبا مفوها وبرلمانيا "طالب بسن قوانين فى صالح النقابات" وتحديد كيفية عمل المرأة (وطالب بعقد مؤتمر عالمى للعمل) وكان هو الذى أسس "الحلقات الكاثوليكية للعمال" .

كما برز اسم ليون هارمل Lon Harmel والذى كان توجهه ديمقراطيا على عكس السابقين كما حقق مشروعه الشخصى "المشروع التعاونى" ونظم رحلات حج العمال إلى روما .

كما ظهرت فى فرنسا حركة كاثوليكية أخرى تهتم بالقضية الاجتماعية وهى "مدرسة أنجيه L'ccole d'Ag-gers" والأسقف Frappel و "الجمعية الكاثوليكية لرجال الأعمال فى الشمال" والآخرون لم يقترحوا مشروعا مناهضا للثورة الاجتماعية Contre - revolution. ولكن اقترحوا توافقا بين الوظيفة الليبرالية وروح المحبة المسيحية وقد وجهوا اللوم إلى الحركات الأخرى لأنها - على حد قولهم - تنقصها الواقعية أمام الضرورات الاقتصادية.

٣- لاون الثالث عشر واهتمامه بالعمال قبل ارتقائه للسدة البابوية:

حينما كان المطران بيكسى Pecci الذى سيصبح فيما بعد البابا لاون الثالث عشر أسقفا فى Prouse اهتم بالوس بالوضع الذى كان يعانيه العمال واتخذ من قضية العمال موضوعا للرسالة الفصحية وحينما ارتقى إلى درجة الحبرية أظهر مبكرا نيته فى أن يأخذ موقفا علنيا من هذه القضية ونجد آثار ذلك فى مداخلاته العديدة قبل إعلان رسالته "الشئون الحديثة".

وفى عام ١٨٨٢ أنشأ فى روما ما سمى " اللجنة الحميمة" Comit intime وضمت هذه اللجنة شخصيات عظيمة من بينها الأسقف مير ميللود Mermillod وكان منفيا من جنيف "سويسرا" وكان Mermillod قد نظم لقاءات عالمية غير رسمية بين الكاثوليك "والمسيحيين الاجتماعيين" وعولجت فى هذه اللقاءات موضوعات مشتركة، ونشرت اللجنة سلسلة من المقالات عام ١٨٨٢ حول "الملكية الخاصة وحقوق الملاك" والعلاقة بين إدارة المشروعات وبين العاملين فيها. وكانت هذه

الأطروحات تبتعد عن الخط الليبرالى الذى كان سائدا.

وقد تكثفت اللقاءات حول الأسقف مير ميللود Mermillod وازدادت أهميتها، ومن أجل تنسيق أبحاث الجماعات الوطنية التى التفت حول Mermil-lod والتى كانت تمثل روما. فرانكفورت وباريس كون أعضاء هذه الجماعات فيما بينهم ما سمى "اتحاد فريبورج" L'Union de Fribourg وقد بلغ عدد أعضاء هذا الاتحاد عشية ظهور "الشئون الحديثة" ستين عضوا. وكانوا قد تدارسوا العديد من الملفات النقابات - النظام النقابى Corporatif تنظيم الصناعات - المسألة الزراعية - الأجور - التأمينات العمالية - النظام الدولى للإنتاج الصناعى.

٤- لاون الثالث عشر وصياغة وثيقة "الشئون الحديثة" ١٨٩١ :

إن القامة الثقافية والسياسية العالمية لشخصية لاون الثالث عشر تتطاول بطريقة غير معهودة. فى مثل هذا الظرف الحرج كانت "المسألة الرومانية" وضعت المؤسسة البابوية لفترة طويلة قادمة فى مربع الفاتيكان الصغير، "قضية الدول البابوية ضد وحدة الدولة الإيطالية".

واستطاع لاون الثالث العشر أن يدرك القضايا الجوهرية والتحديات التى أمامه على الوجه التالى :

١) الشكل الجديد التى اتخذته الدولة الحديثة والعلاقات التى تحكمها ببعضها.

٢) قضية العمال والعالم الصناعى.

كما أدرك الآمال العريضة التى قدمتها الحداثة مثل:

أ- سهولة الاتصالات التى وفرتها المخترعات الحديثة مثل: "التلغراف - السكة الحديد - الكهرباء".

ب- الدور الأخلاقى المطلوب جدا والذى يمكن أن تلعبه الكنيسة الرومانية بحكم موقعها المركزى وسط العالم المسيحى.

أما بالنسبة لجوهر الأمور فيظل موقف لاون الثالث عشر الفكرى كلاسيكيا بل حتى محافظا ولا تساهل فى المسائل العقائدية من الوجهة النظرية، التساهل يكون المجال التطبيقى وإبداء بعض المرونة والانفتاح. وهذا لم يفهمه إلا القليل من كاثوليك فرنسا حينما قرأوا "رسالته" وهى تدعوهم إلى الانضمام إلى "الجمهورية" والتى أصدرها بعد سنة واحدة من ظهور "الشئون الحديثة".

بينما فى أوروبا والولايات المتحدة الأمريكية فإن حفنة المسيحيين الذين تقدموا فى أبحاثهم حول قضية "العدالة الاجتماعية" شعروا بالسعادة من موقف لاون الثالث عشر فى هذه الوثيقة واعتبروا أنه يساندهم فى مسعاهم على الأخص "اتحاد فريبورج" الذى ذكرناه سابقا.

٤- أربعة أحداث ساعدت على نضج وإعلان وثيقة الشئون الحديثة ١٨٩١:

الحدث الأول: حضور الكاردينال جيبون Gibbons من الولايات المتحدة الأمريكية ليدافع بنجاح عن جماعة "فرسان العمل" Les Chevaliers du travail وهى نقابة تناضل فى أمريكا ضد الاحتكارات الاقتصادية ومتهمة بأنها جماعة سرية.

الحدث الثانى: متابعة لاون الثالث عشر لنضال

الكاردينال مانج Manning فى لندن واشتراك الأخير فى المفاوضات المباشرة مع العمال المضربين مطالبة لحقوقهم نجحوا فى ذلك فى ٤ نوفمبر ١٨٨٩ .

الحدث الثالث : دعوة الإمبراطور جيوم Guillaume من برلين عام ١٨٩٠ للبابا لاون الثالث عشر لمساندته فى الدعوة لمؤتمر عالمى حول "مسألة العمل" هذه الدعوة التى كان قد طرحها أصلا جاسبار ديكورتين السويسرى الجنسية .Gaspard Decurtins

الحدث الرابع : رحلات الحج إلى روما التى بدأ ليون هرمل تنظيمها للعمال منذ عام ١٨٨٥ لزيارة حبرهم الرومانى وحملت القطارات إلى روما الآلاف المؤلفة من هؤلاء العمال وكان يستقبلهم البابا بنفسه.

٦- أربع صياغات لرسالة "الشئون الحديثة" سبقت إعلانها:

لقد نضجت الرسالة من خلال الدراسة وأملت إعلانها الضرورة ومرت بأربع صياغات قبل إعلانها.

الصياغة الأولى: تمت عام ١٨٩٠ وقام بها الأب ليبيراتورى اليسوعى P.Liberatore وهو إيطالى الجنسية وقد كان تلميذا للمفكر الشهير تاباريلى داج زيجليو Taparelli d'Azeglio فيما يختص بالشئون الاجتماعية والسياسية كما كان الأب ليبيراتورى عضوا فى "اتحاد فريبورج".

الصياغة الثانية : قام بها الكاردينال زيجلياريا Zigliaria .

الصياغة الثالثة : وروجعت بمعرفة الأب ليبيراتورى Liberatore والكاردينال مازلا .Mazella

الصياغة الرابعة: تمت ترجمة الوثيقة إلى اللاتينية وأدخل عليها بعض التعديلات الأسقف فولبينى .Volpini

وما بين الصياغة الأولى التى غالب عليها الطابع النقابى والصياغات المتتالية كان قد أضيف إلى الوثيقة الطابع التطوعى والحر للجمعيات المهنية وقد أراد لاون الثالث عشر أن تخرج هذه الوثيقة مستقلة ومتميزة عن المدارس الفكرية المختلفة رغم الروابط التى كانت تربطه "باتحاد فريبورج".

٧- بنية وثيقة "الشئون الحديثة" "ظروف العمال":

بعد وصف دقيق "للشر الاجتماعى بكلمات حادة تكرس الوثيقة فصلا لنقد "العلاج الخاطئ" لمشاكل العمال الممثل فى "الاشتراكية" فهذه الاشتراكية ضارة فى نتائجها وظالمة فى جوهرها لأنها ترفض الملكية الشخصية الضرورية للطبيعة البشرية ولأن "الاشتراكية" تفرض نظاما خاطئا للعلاقات بين الدولة والأسرة والممتلكات.

ثم يأتى بعد ذلك الجزء الجوهرى المطول ويدور حول ثلاثة عناصر لا يمكن الاستغناء عنها للشفاء من هذا الشر الاجتماعى.

١- الكنيسة التى تعلم وتعمل فى آن (من الفقرة ١٢ - ٢٤).

٢- الدولة يجب أن تتدخل من أجل الخير العام (من ٢٥ - ٣٥).

٣- أهمية الجمعيات المهنية ودورها (رجال أعمال وعمال).

الذين عليهم أن ينظموا المجال الاجتماعى (من ٣٦ - ٤٣) . والخاتمة هى دعوة للعناصر الثلاثة السابقة إلى التكامل.

ثانيا: بيوس الحادى عشر وإعلان وثيقة أربعين عاما على "الشئون الحديثة" ١٥ مايو ١٩٣١:

١- الظروف التى كانت قائمة عشية صدور الرسالة "٤٠ سنة":

مقدمـــة

تعتبر ثانى وثيقة مهمة من وثائق تعليم الكنيسة الاجتماعى وهى إضافة لرصيد الكنيسة فى التعليم الاجتماعى إذ إنها تضيف إلى "الشئون الحديثة" كما تأخذ على عاتقها بعض ما جاء فيها كما ترد على التحديات الجديدة التى تواجهها الكنيسة.

بعد أربعين عاما من "ظهور الأشياء الحديثة" حدثت تغيرات كثيرة فى العالم: قيام الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٩) وقيام الثورة البلشفية الروسية (١٩١٧) وهى تحولات خطيرة قلبت كل الموازين الاقتصادية والسياسية والاجتماعية للعالم الحديث. وقد عانى "النظام الاجتماعى" بكامله فى المقابل واهتزت أسسه فى العالم.

من هذا المنطلق توسعت القضية الاجتماعية التى تناولتها رسالة "أربعون سنة" فـ "المسألة العمالية" أضيفت إليها "إعادة بناء النظام الاجتماعى وكل المسائل المعالجة تحت هذا العنوان فى الرسالة تأخذ بعدا تاريخيا وترد على متطلبات الواقع الذى أملته ضرورة ظهورهذه الرسالة.

٢- الأزمة الاقتصادية وتعاظم دور النقابات:

إن تاريخ الانهيار الاقتصادى من ١٢ - ٢٤ أكتوبر ١٩٢٩ فى وول ستريت Wall Street فى الولايات المتحدة بعد سنوات من الرخاء الاقتصادى تاريخ لا ينسى.

فقد بدأت الأزمة الرأسمالية الكبيرة فى الولايات المتحدة أولا فى الأوساط الصناعية وبعد سنتين انتقلت الأزمة إلى أوروبا.

فملايين من الرجال أصيبوا بالبطالة، وكان من نتيجة الحرب العالمية الأولى (٩١٤ - ١٩١٩) أن أدت إلى تقدم تكنولوجى للصناعات التى كانت قائمة ودفعت الحكومات إلى التدخل لتنظيم هذا التقدم ولكن فى أوروبا نتج الدمار فى عقد العشرينات من بداية القرن العشرين وظهرت الأزمات الاقتصادية وإعادة تأهيل الصناعات التى دمرتها الحرب ونشأت تكتلات صناعية وعلى مستوى العالم أخذ ميزان الحركة الصناعية يميل لصالح الولايات المتحدة واليابان.

أما الوضع الاجتماعى الناجم عن هذه الأوضاع الاقتصادية فقد كان محكوما بانتشار البطالة، ولكن منذ بداية القرن العشرين ازدهرت النقابات العمالية فى العالم ومن ١٩١٤ - ١٩٢٠ بلغ أعضاء النقابات العمالية فى العالم الغربى الأعداد التالية:

١- فرنسا من ٦٠٠،٠٠ إلى مليونى عامل نقابى.

٢- بريطانيا من ٤ ملايين إلى ٨ ملايين.

٣- ألمانيا من ٨٠٠،٠٠٠ إلى مليونين ونصف المليون.

٤- أمريكا من مليونين إلى ٤ ملايين.

وامتد التنظيم النقابى من طبقة العمال إلى فئات اجتماعية أخرى مثل الموظفين ولكن ابتداء من عام ١٩٢٠ اخترقت هذه التنظيمات النقابية صراعات مريرة بين الأجنحة المختلفة قسمتها إلى فئتين:

ـ فئة تدعو إلى الإصلاحات الاجتماعية بالوسائل السلمية.

- والأخرى تدعو إلى الثورة واستخدام العنف.

أما أصحاب الخط الإصلاحى من النقابات العمالية وهم:

النقابات الألمانية - الإيطالية - البريطانية - والأمريكية، وكونوا فيما بينهم "الاتحاد الفيدرالى النقابى العالمى".

أما الحزب الشيوعى فى الاتحاد السوفيتى:

فاقترح على بقية النقابات العمالية الانضمام إلى "التجمع العالمى الأحمر للنقابات".

وقد أدى موقف الحزب الشيوعى السوفيتى إلى انقسام النقابات فى فرنسا عام ١٩٢١ فانفصلت من الـ CGT الفرنسية أصحاب الخط الثورى وسموا أنفسهم CGTU.

وأنشئ فى فرنسا أيضا عام ١٩١٩ ما عرف بـ CFTCمما سمح بتعددية نقابية فى فرنسا وانضمت CFTC إلى ما سمى "الكونفدرالية العالمية للنقابات المسيحية".

مع العلم أن "التنظيم الدولى للعمل" الذى أنشأته اتفاقية فرساى Le Trait"e de Versailles كان على علاقة بالنقابات العمالية من خلال "المكتب الدولى للعمل" الذى كان يقوده بكل نشاط المدعو ألبير توماس Albert Thomas.

٣) الإطار السياسى وأهم معالمه (عشية) صدور ٤٠ عاما على الأشياء الحديثة صعود الفاشيستيات:

نذكر خاصة الأوجه الحاسمة التى أثرت على القضية الاجتماعية....

❖ تدخل الدولة الواضح أكثر مما كان فى الماضى

على المستوى الاقتصادى وعلى المستوى الاجتماعى.

❖ إنه العصر الذى تسيطر على السلطة فيه حكومات قوية فى أوروبا لها برامج اجتماعية تريد تطبيقها على المجتمع.

❖ هذا ما حدث فى إيطاليا مع فاشيستية موسولينى الذى نجح عام ١٩٣٠ فى فرض "نقابات الدولة" Corporatisme d'Etaوتسييس الشباب وتنظيم المشاريع العملاقة فى الوقت الذى كان ينادى فيه بإحياء العظمة الوطنية.

❖ وما حدث فى البرتغال حيث وصل سالازار Sala-sarإلى السلطة.

❖ وفى النمسا وصل إلى السلطة دولفوس .Dolfuss

❖ وسالازار ودولفوس كاثوليك متعصبون سيأخذون من وثيقة "٤٠ سنة" عقيدة اجتماعية وسياسية لهم.

❖ ويصل إلى الحكم الاشتراكيون الوطنيون National socialismeفى ألمانيا مع هتلر وكان ذلك يعتبر خطرا كبيرا.

❖ الاضطهاد الدينى فى المكسيك مستمر.

❖ إضافة إلى ذلك نجد تزايد النفوذ السوفيتى الدولى المتمثل فى الأحزاب الشيوعية التى انتشرت فى العالم، فى هذا الإطار يحاول بيوس الحادى عشر أن يتبع سياسة الوفاق مع بقية الدول "Concordats" كلما أمكن ذلك.

هذا ما حدث مع الدولة الإيطالية من خلال اتفاق لاتران سنة ١٩٢٩ (Les accords du Latran(1929الذى نظم العلاقة بين المؤسسة البابوية فى الفاتيكان والدولة الإيطالية.

❖ وكان البابا بيوس الحادى عشر يعتبر أن السلام

السياسى الدينى هو شرط ضرورى لتحقيق السلام الاجتماعى.

٤- الإطار الايديولوجى:

بدأ تطور الإيديولوجيات الاجتماعية ينعكس على المشروعات السياسية سواء كانت يمينية أو يسارية فالجميع يعلنون أنهم اشتراكيون ولكن كلهم يمارسون السياسة التسلطية والشمولية أو سيمارسونها فيما بعد.

❖ منذ مؤتمر "تور" Tour حدث تمايز بين الاشتراكيين الشيوعيين وبين التيارات الاشتراكية الأخرى.

❖ ولكن التيارات غير الشيوعية ستظل منقسمة فيما بينها سواء فى فرنسا أم فى ألمانيا. فبعضها ينتمى إلى آفاق نظرية تدعو إلى العنف أو إلى الثورة مثل كاوتسكى- بينوا - مالون - جورج سوريل. " Kautsky - Benoit - Malon - Georges Sorel" وبعضها أخلاقى يدعو إلى الأخلاق ذو ميول شخصانية مثل : جول جيزد - هنرى دى مان. Jules Guesde - Henri de Man. هذه الاشتراكية الأخلاقية المعتدلة ستجذب بعض الكاثوليك الاجتماعيين. وفى أقصى السلسلة الأيديولوجية تجد الليبرالية الجديدة ولها مفكروها فى الولايات المتحدة وفى أوروبا.

أما الليبراليون الجدد فهم أقل محافظة "يمينية" من الليبراليين القدامى فالجدد ينتقدون بشدة كل أنواع السيطرة والاحتكار الذى تقوم به الدول فى مجال الاقتصاد خاصة.

- إن المنافسة التى كانت قائمة بين كل هذه العقائد الاجتماعية التى كانت تقترح "نظاما اجتماعيا

معينا" أو "رؤية شاملة" للمسائل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية....يمكنها أن تساعدنا على فهم الإطار الشامل الذى تعلن عنه وثيقة البابا بيوس الحادى عشر "٤٠ سنة" عام ١٩٣١.

٥- بيوس الحادى عشر والفكر الاجتماعى للكنيسة الكاثوليكية "ثمار وثيقة الشئون الحديثة بعد أربعين سنة من ظهورها:

أ- النتائج الإيجابية لـ"الشئون الحديثة"

تحققت على الأرض منجزات اجتماعية مثل إنشاء النقابات المسيحية وإثارة وتوعية الرأى العام المسيحى للبعد الاجتماعى.

- تأسس فى فرنسا ما يسمى "الأسابيع الاجتماعية" Semaines socials .

-تأسست فى العالم كثير من المدارس المهتمة بالفكر الاجتماعى الكاثوليكى. وبعد فرنسا انتشرت فى إيطاليا وأسبانيا وبلجيكا إنجلترا وتشيلى ويوجوسلافيا... "الأسبوع الاجتماعى" وكل هذه الأسابيع دخلت فى علاقة بعضها مع بعض.

- نشأ هكذا ما عرف "بالعلوم الاجتماعية الكاثوليكية" تمركزت حول مبادئ واحدة مشتركة مع التغيرات النابعة عن اختلاف المناطق الجغرافية والخبرات المحلية الإجتماعية.

٦- كيفية صياغة وثيقة "أربعون عاما":

عزم بيوس الحادى عشر على كتابة رسالة تعالج المسألة الاجتماعية منذ بداية حبريته وفى اللحظة المناسبة طلب من الأب فون نيل برونينج P.Von Neel Breuning وكان من الرهبان اليسوعيين الألمان الشبان

أن يقوم بعمل صياغة أولى للوثيقة. وكان هذا الراهب قريبا من الأوساط النقابية المقرية من التيار الليبرالى. كما استعان بتعاليم زميله الأب جوندلاخ P.Gundlach اليسوعى الذى كان أستاذا فى روما. وإلى الراهبين السابقين يرجع صياغة الجزء النظرى من رسالة "أربعون عاما".

إلا أن البابا طلب من الأب ديزبوكوا " P.Desbuquois الذى كان ينتمى إلي حركة "العمل الشعبى" -Action Popu laireفى فرنسا. وربما من بعض الخبراء الآخرين أن يعطوا رؤيتهم للمسائل الاجتماعية. وهى رؤية مرتبطة بظروف صياغة الرسالة والموجودة فى الجزء الثالث من نص الوثيقة.

ولا شك أن الأب مولر P.Muler البلجيكى الجنسية وكان آخر من راجع الوثيقة وكانت الصياغة السابعة أو الثامنة.

وفى كل الأحوال يظل بيوس الحادى عشر هو صاحب الفضل فى خروج هذه الوثيقة "أربعون عاما" إلى النور فقد أراد أن يشجع ويثبت الحركة الاجتماعية الكاثوليكية وأراد أن يعطيها حجما أكبر وأوسع بمساندته لعمل كنسى فى غاية الحيوية هو .. حركة "العمل الكاثوليكى" (نذكر هنا أن حركة "الشبيبة العاملة الكاثوليكية نشأت فى بلجيكا عام ١٩٢٦ .(J.O.C

ومعلوم الآن أن البابا بيوس الحادى عشر أضاف بخط يده الفقرة التى تدين النقابية الفاشستية لموسيلينى مما أغضب الأخير.

٧- "أربعون عاما " بين النظرية والتطبيق:

تبدأ رسالة "أربعون عاما" بمقدمة تذكارية لرسالة

"الأشياء الجديدة" مع تقييم لما تم إنجازه فى الفترة اللاحقة حتى الآن ويعبر بيوس الحادى عشر عن سروره للديناميكية التى أظهرتها "الكاثوليكية الاجتماعية" سعيدا بهذه الحركة الاجتماعية التى من خلالها تعاون الكهنة والعلمانيون لإنماء العلم الاجتماعى الكاثوليكى كما يشير إلى تأثيره الواضح على الذهنية الاجتماعية (نمر ٢٥) وعلى عمل الحكومات فى ذلك العصر لبناء وتنمية الحقوق الاجتماعية (من ٢٧ - ٣١) خاصة حقوق الجمعيات والنقابات (من ٣٢ - ٤١)، معلنا أن هذه الحركة الاجتماعية نفسها هى التى توحى بالأشياء الجديدة التى يجب معالجتها الآن.

أما الجزء الثانى من رسالة "أربعون عاما" فبرز منه البعد الاجتماعى العقائدى فهو يضيف أشياء دقيقة حول الحياة الاقتصادية والاجتماعية : مثل حق الملكية - العلاقة بين رأس المال والعمل - والعمال - الأجر العادل- وينتهى بالنظام الاجتماعى بكامله.

هذه المقاربة النظرية تتفق مع المحاولات السابقة على ظهور الرسالة للتنظير للمسألة الاجتماعية بتياراتها المختلفة وعلى مستوى الرسالة نفسها فهى تحمل أشياء جديدة بالنسبة للرسالة التى سبقتها "الشئون الحديثة" حتى وإن أكدت ما جاء فيها. كما أن الرسالة تعلن موقفها من بعض المسائل التى كانت مثار مناقشات بين الكاثوليك وأنفسهم.

ومن المدهش اليوم أن نرى "تحليل الظروف" التى أملت كتابة الرسالة يأتى فى الجزء الثالث

من "الرسالة" فيتحدث عن التحولات التى اجتاحت العالم الصناعى والنظام الرأسمالى التطور الذى طرأ على الاشتراكية والبعد الأخلاقى هذه الفصول الثلاثة تدمج البعد الأخلاقى مع البعد التحليلى للواقع الاجتماعى وتنتهى بموقف صريح من كل ذلك مشيرة إلى حلول شافية للمشاكل المطروحة :

١) لا للديكتاتورية الاقتصادية والاحتكارية للدولة أو لغيرها.

٢) نعم لإعادة تأسيس منافسة حرة وصحية تحت بصر وإشراف السلطة المعنية.

٣) لا للاشتراكية التى تتناقض مع المسيحية.

٤) نعم للعمل الاجتماعى و L'action Sociale .

٥) لا لخراب النفوس التابع عن تجريد الحياة الاجتماعية من الروح المسيحية.

٦) نعم لعقلنة مسيحية للحياة الاجتماعية مبنية على المحبة.

٧) ويختم هذا الجزء بالتركيز على أهمية العمل الكاثوليكى.

٨- رد الفعل على نشر رسالة "أربعون عاما ١٩٣١:

- الأوساط غير الكاثوليكية تلقت الرسالة بنوع من الامتعاض.

- الأوساط الكاثوليكية المنخرطة فى العمل الاجتماعى والرسولى رحبوا بها وأصبحت هذه الوثيقة ميثاقا لهم فى عملهم لمدة ثلاثين سنة تالية حتى صدور وثيقة "أم ومعلمة" عام ١٩٦١,

- وزعت منها مئات الآلاف فى فرنسا مثلا.

ودرست وعقدت حولها حلقات الدرس والمناقشة فى الأوساط المناضلة من الكاثوليك.

- بعض موضوعات الوثيقة دخلت فى صلب التشريعات الكنسية وألهمت التشريعات الاجتماعية فى البلاد الديمقراطية.

أمثلــة ..

١) أنسنة العمل وتحسين ظروف العمال.

٢) العناصر التى يجب توافرها لدفع أجر عادل للعمال (٧٠ - ٨٢). "L'ouvrier ne doit pes recevoir en charite ce qui lui revient en justice".

٣) الجمعيات والنقابات يجب أن تكون مستقلة عن الدولة (نقد موسولينى - الحكومات الشمولية - حالة النقابات والجمعيات فى بلاد العالم الثالث).

٤) تعارض الاشتراكية مع المسيحية حتى الاشتراكية المسيحية مرفوضة من الوثيقة... سيظل هذا الحال حتى ١٩٦١ مع يوحنا الثالث والعشرين "أم ومعلمة"، حيث يقوم بالتمييز بين الحركات التاريخية والأيديولوجيات ومع بولس السادس (ثمانية وستون) سيتخذ من "قواعد التعاون وروح الحوار بين المسيحيين وغيرهم " وهكذا تتعدى الكنيسة رسميا هذا التعارض الرسمى والرفض لكل ما هو اشتراكى.

٥) مع فاتيكان الثانى مفاهيم جديدة لمصطلحات قديمة تبرز فى التعليم الاجتماعى.

عدد صفحات الوثيقة باللغة الفرنسية : من ص ٩٥ - ص ١٤٤ = ٤٩ صفحة.

ثالثا : وثيقة "أم ومعلمة" يوحنا الثالث والعشرين ١٩٦١:

١- رسالة لعصر التكنولوجيا :

أعلنت الرسالة فى وقت ظهرت فيه ضرورة الحديث من جديد عن العالم الصناعى الذى أصبح أكثر تعقيدا وجددت مواقف أكثر تنوعا فى عالم وصلت فيه التحولات إلى كل الطبقات والأشخاص فى العالم.

❖ وعلى مستوى الدول المتقدمة صناعيا فقد دخلت فى مرحلة "الثلاثون عاما" من الرفاهية (١٩٥٠ - ١٩٨٠) حيث ارتفعت درجة النمو الاقتصادى لدرجات لم تحدث سابقا فى التاريخ.

❖ تشير الوثيقة (٤٧ - ٤٩) إلى التغيرات المذهلة التى تحدث على المستوى العلمى والتكنولوجى والاقتصادى (٤٧) والاجتماعى (٤٨) والسياسى (٤٩). وعليه كان يجب على الكنيسة أن تقوم بتقييم ما حدث.

❖ ثلاثة أحداث مهمة تؤطر تاريخيا ظهور الرسالة:

١- غزو الفضاء.. أول سفينة فضائية قفزة علمية

٢- التدخل المتصاعد للدولة لإعادة توزيع الثروة والضمان الاجتماعى.

٣- حركة التحرر الوطنى من الاستعمار. الوعى بالفارق الاقتصادى بين دول الشمال ودول الجنوب حيث تدخل الأولى فى عصر الاستهلاك والثانية فى عصر التخلف.

٢- ما هى الأشياء الجديدة فى الرسالة؟

١- الإلحاح على كلمة "العدالة" فقط دون

اجتماعية... بل بشكل شامل. والحديث عن "عدم المساواة" على كل المستويات الاقتصادية - السياسية - الثقافية ..إلخ على مستوى الجماعات والأفراد.

٢- التركيز على القطاع الزراعى المتخلف.

٣- الاعتراف بشرعية تدخل الدولة لصالح التوزيع العادل للدخل على كل المواطنين.

٤- التركيز على "المشاركة" مشاركة المواطن فى بناء المجتمع.. سياسيا- اقتصاديا.

٥- أنسنة العمل فى المصانع والمطالبة بمشاركة العمال فى كل مراحل بناء وإنتاج وتسويق ورسم سياسة المنشأة.

٦- التركيز على أن حق الملكية حق مكفول للجميع وليس لقلة فقط.

رابعا : "مائة عام" يوحنا بولس الثانى ١٩٩١

١- البابا يدعونا إلى النظر فى ثلاثة أبعاد:

أ- نظرة إلى الوراء - الماضى.

ب - نظرة للوضع الحالى.

ج- نظرة للمستقبل.

أ- الماضى:

١٨٩١ - كان سبب إعلان رسالة "الشئون الحديثة" هو الظلم والعنف الذى كان واقعا على الطبقة العمالية فى ذلك الحين.

❖ ما يحدث الآن على مستوى العالم من عنف وحروب (فصل ٢+٣).

❖ المستقبل نحو الألفية الثالثة.

❖ يلفت البابا نظرنا إلى أن هذه الرسالة ليست

خاصة بالبعد الاجتماعى فقط لكن تهتم بالبعد التاريخى (مائة عام) (أشياء جديدة).

❖ والآن بعد مائة عام نحن أمام تحديات جديدة.

ب - هذه الرسالة متأثرة جدا بالظروف السياسية الحالية فى العالم فنحن فى نهاية عصر وبداية عصر جديد معبأ بالتحديات والآمال فى الوقت نفسه ظهور ديموقراطيات جديدة وفى انتظار تغير بنية نظم سياسية أخرى مهددة.

عدم العدالة والعنف عصب الرسالة (مائة سنة):

١ - العنف:

لأن فصل ٣ مخصص لأحداث عام ١٩٨٩ سقوط النظم الشمولية فى أوروبا الشرقية والاتحاد السوفيتى سقوط الديكتاتوريات.

٢ - عدم العدالة:

لأن رسالة "مائة سنة" هى استمرار لخط الكنيسة فى الدفاع عن الحقوق الاجتماعية من خلال فضحها للظلم ومحاربته والمساهمة فى خلق مجتمع وعالم أكثر عدالة.

٣- أمام العنف:

تتحدث الوثيقة عن العنف الناتج عن الأشكال المختلفة لعدم العدالة (الحروب الموجودة على الساحة العالمية بما فيها حرب الخليج"١٩٩٠") العنف الواقع على الفئات المهمشه فى مجتمعاتنا (فقرة ٣٣).

ونجد كلمة العنف بشكل مركز فى فصل ٥ + فصل ٣ حينما تتحدث الوثيقة عن شمولية "النظم القهرية" (فقرة ٢٣) هذا العنف الذى فرض بواسطة هذه

النظم على شعوب بأكملها عنف مفروض من سلطة تعلى مبدأ "القوة" على مبدأ "العقلانية" ومبدأ "الحق" ولا تعترف بأى مبدأ أخلاقى (فقرة٢٥).

تعتبر الوثيقة أن أحداث ١٩٨٩ أظهرت عجز هذه القوة - مهما كان حجمها- عن القضاء على حرية الإنسان الذى يقاوم كل من يحاول أن ينفيها عنه.

وتسجل الوثيقة أن العنف لم يقهره العنف المضاد، بل قهره اللاعنف. إنها القوة الأخلاقية للذين عرفوا وأرادوا مقاومة هذا العنف المنظم للسلطة الشمولية. من خلال المفاوضات والحوارات وشهادة الحياة ومخاطبة ضمائر القاهرين وإيقاظ معنى كرامة الإنسان لديهم.

نتعلم من هذه الأحداث:

أمام عدم العدالة:

تذكر الوثيقة بعد مائة عام أن عدم العدالة التى أملت "الأشياء الحديثة" هى التى أملت وثيقة ١٩٦١ .

أن سقوط الاتحاد السوفيتى والاشتراكية ليس معناه انتصار الرأسمالية. فما زالت المشكلة قائمة.

١) استغلال الإنسان لأخيه الإنسان واستغلال الشعوب الغنية لدول العالم الثالث الفقيرة.

٢) ظاهرة التهميش للفقراء والأطفال وكبار السن والشباب وانتشار المخدرات وكل أنواع الهروب من الضغوط الرأسمالية والدعارة.

٣) بقايا الحرب الباردة.. تفكك وتلاشى دول كثيرة نظرا لعدم أهميتها للرأسمالية الجديدة المتوحشة.

٤) كيف ترد الكنيسة على تحديات النظم المتعددة فى العالم المذهب الليبرالى أو الاشتراكى أو الطائفى أو القبلى..

٥) كيفية التوفيق بين حرية الإنسان والسبل العديدة للوصول إلى الحقيقة الإيمانية والسياسية والاجتماعية

ختـــام :

لقد تطور تعليم الكنيسة كثيرا منذ المجمع الفاتيكانى الثانى وأصبحت الكنيسة نور العالم تعتبر نفسها جزءا لا يتجزأ من شعب الله.

- تدعو إلى احترام الإنسان وتدافع عن كرامة كل إنسان وليس الإنسان المسيحى فقط.

- تدعو إلى قبول التعددية السياسية والثقافية بعد أن كانت تدافع عن نفسها.

++ السؤال هــو ...

هل نستطيع على غرار دول أمريكا اللاتينية أن ننطلق من التعليم الاجتماعى للكنيسة الكاثوليكية الجامعة وأن نعى أثر هذه التعاليم على سلوكنا الكنسى فى مصر وفى الشرق انطلاقا من ظرفنا وموقعنا وخصوصيتنا المصرية ونوائم بين عمومية هذه التعاليم وخصوصيتنا...

إن الرهبانيات المختلفة والجمعيات الكاثوليكية المختلفة بمدارسها ومؤسساتها التعليمية والصحية عليها أن تعيد قراءة خبرتها على ضوء هذه التعاليم وتساهم فى بناء مجتمع يحترم الإنسان كل الإنسان ويخدم التعددية الدينية والحضارية ليشارك فى إثراء وإغناء الكنيسة.

الوثائق التى صدرت على مدى مائة عام بعد ظهور الشئون الحديثة:

١- لاون الثالث عشر:

١) "الشئون الحديثة" وضع العمال ١٥ مايو ١٨٩١

٢) خطاب إلى المطران لينيارت ٥ يونيو ١٩٢٩ (Sc.duconcile.)

٢- البابا بيوس الحادى عشر:

٣) أربعون سنة على "الشئون الحديثة" ٥ مايو ١٩٣١ Quadragesimo anno

٤) حول وضع الكنيسة الكاثوليكية فى الرايخ الألمانى ١٤ مارس ١٩٣٧.

٥) حول الشيوعية الملحدة. "الفداء الإلهى Divini redemptoris 19 مارس ١٩٣٧.

٣- البابا بيوس الثانى عشر:

٦- الرسالة عبر الراديو بمناسبة مرور خمسين عاما لإعلان "الأشياء الجديدة" ١ يونيو ١٩٤١.

٤- يوحنا الثالث والعشرون:

١) "أم ومعلمة" Mater et Magstr 15 مايو ١٩٦١ حول التطور المعاصر للحياة الاجتماعية على ضوء المبادئ المسيحية.

٢) "وعلى الأرض السلام " Pacem in terries" 11 أبريل ١٩٦٣. Gaudium et spec المجمع الفاتيكانى الثانى ٧ ديسمبر ١٩٦٥.

٣) "الكرامة البشرية" Dignitatis humanal المجمع الفاتيكانى الثانى ٧ ديسمبر ١٩٦٥ حق الأفراد والشعوب فى الحرية الاجتماعية والمدنية فيما يخص الناحية الدينية.

٥- بولس السادس:

١٠) "فى ترقى الشعوب Ropulorum progression 26

مارس ١٩٦٧ .

١١) "ثمانون سنة على الشئون الحديثة" ١٤ مايو ١٩٧١ فى الرد على الاحتياجات الجديدة لعالمنا المتغير.

١٢) العدالة فى العالم Justitia in mundo 30 نوفمبر ١٩٧١ السينودس العالمى الثانى.

٦- يوحنا بولس الثانى:

١٣) "حقوق الإنسان : الحرف أم الروح نص مستخرج من "فادى الإنسانية" Redemptor hominis 4 مارس ١٩٧٩,

١٤) "العدالة والرحمة" نص من رسالة يوحنا بولس Dived in misericordia 30 نوفمبر ١٩٨٠,

١٥) "العمل البشرى" Laborem exercens 14 سبتمبر ١٩٨١,

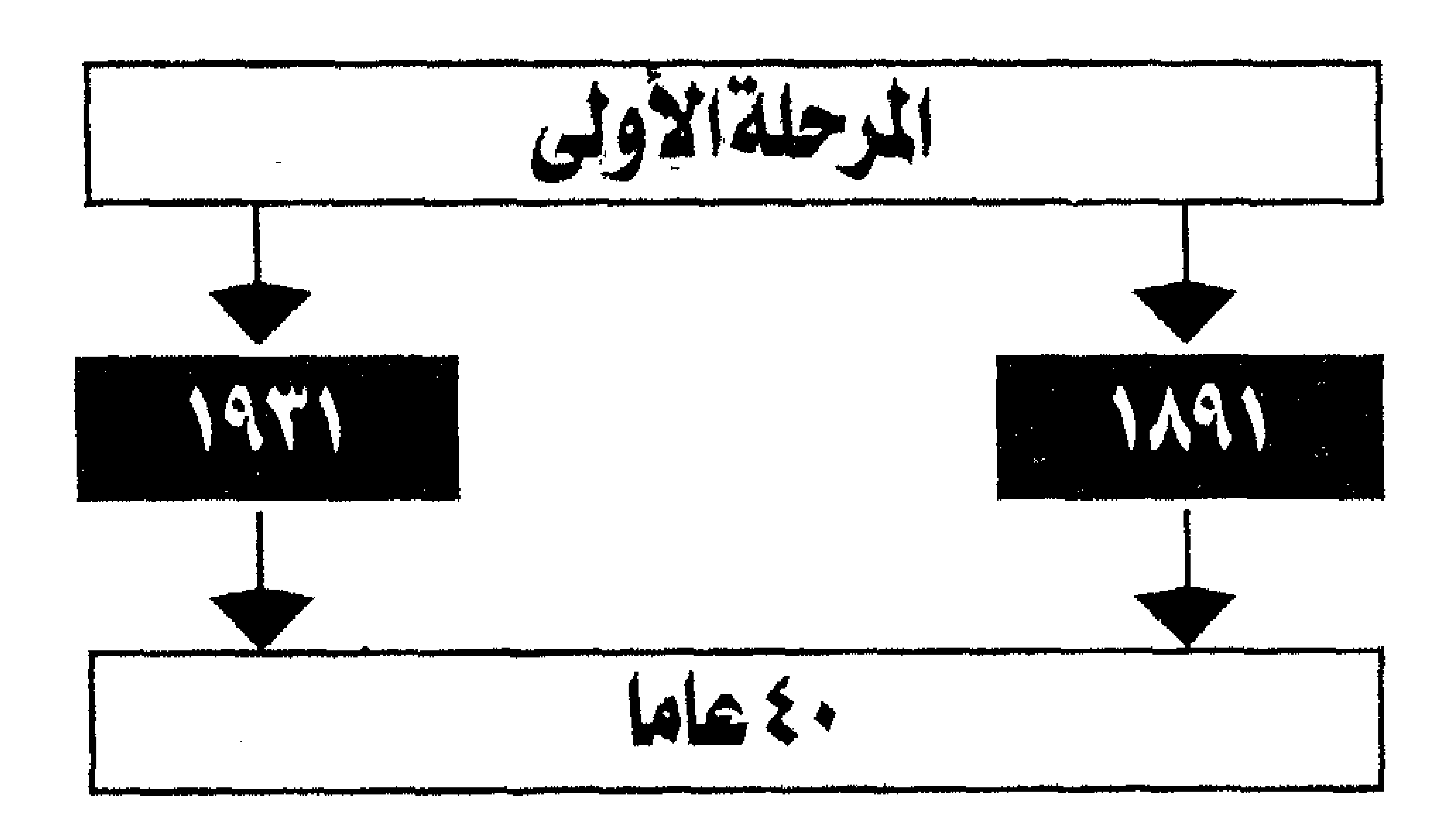
١٦) خطاب يوحنا بولس الثانى فى "طريق التضامن" المؤتمر العالمى حول العمل ١٥ يونيو ١٩٨٢,

١٧) المسألة الاجتماعية والتنمية Sollicitudo rei socialis فى الشأن الاجتماعى ٣٠ ديسمبر ١٩٨٧,

١٨) "مائة سنة" على الشئون الحديثة Centesimus annus .1991

ملخص سريع لأهم الأحداث

بيوس ١١ "٤٠ سنة على الشئون الحديثة"	لاون ١٣ "الشئون الحديثة"



سياسى واقتصادى

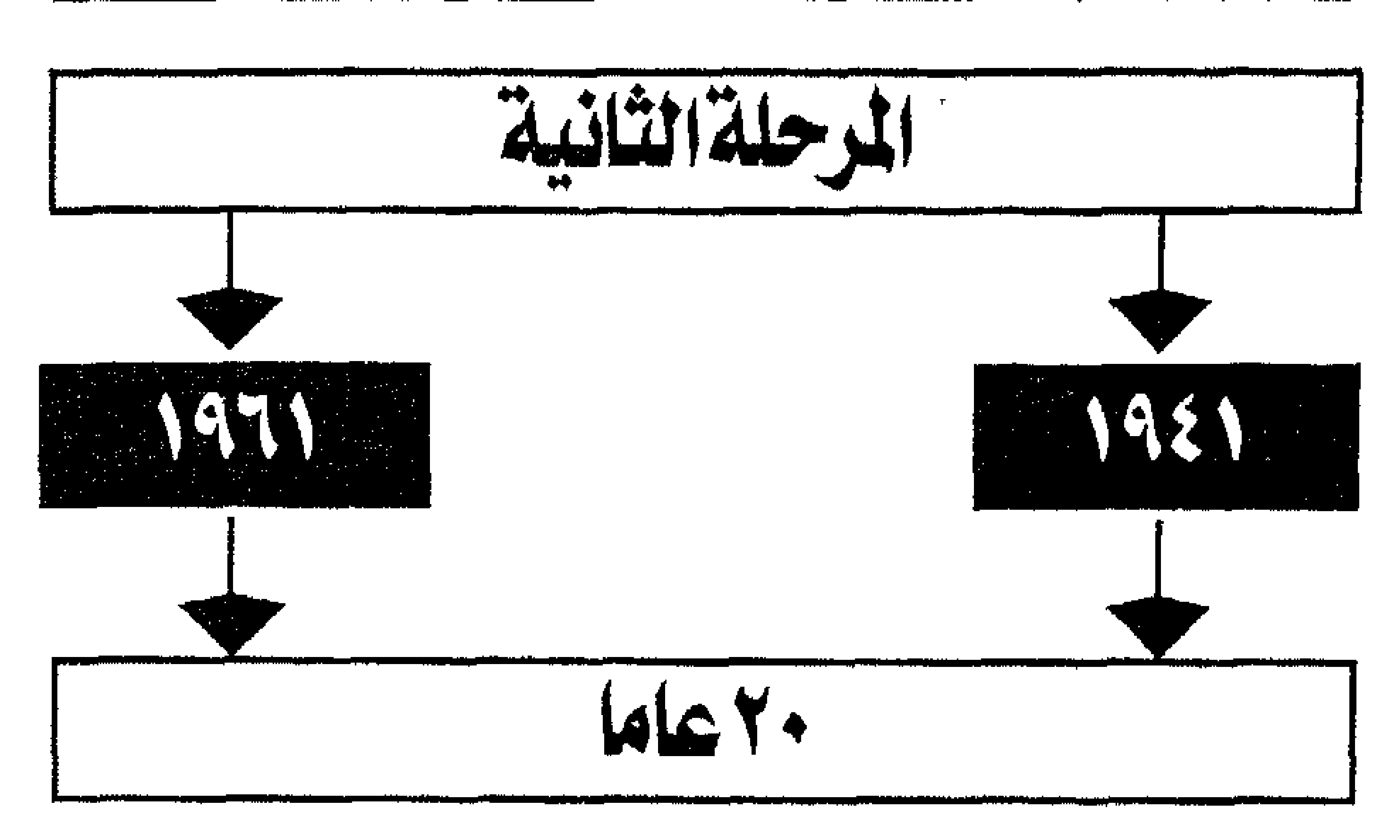
١) الحرب العالمية الأولى ١٩١٤ ـ ١٩١٩
٢) قيام الثورة البلشفية ١٩١٧
٣) أزمة حادة للنظام الرأسمالى ١٩٢٩

دينى

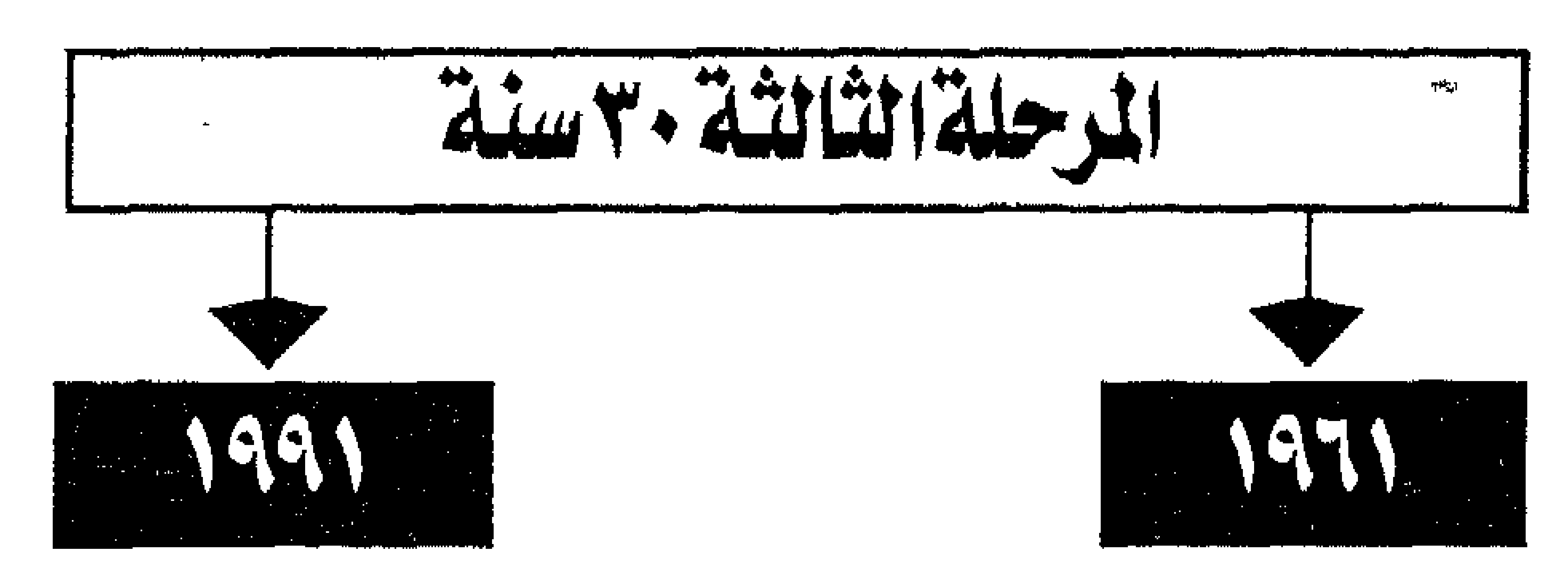
١) صراع داخل الكنيسة بين المحافظتين وأنصار التحديث حول..
أ ـ المكتشفات العلمية وعلاقتها بالدين.
ب ـ اللاهوت.
ت ـ الاجتماع.
ث ـ السياسى.
ج ـ الثقافى.

تحول شامل من العصر الزراعى الإقطاعى إلى العصر الصناعى

يوحنا ٢٣ "أم ومُعلمة"	بيوس ١٢ "رسالة إذاعية"



١) الحرب العالمية الثانية.
٢) الصراع بين الأيديولوجية الماركسية والأيديولوجية الرأسمالية يقسم الكرة الأرضية إلى جزأين.
٣) المسيحيون بحكم الواقع الذين يعيشون فيه تتعدد التزاماتهم وتتوزع بين المجتمع وبين الكنيسة وردود فعل متشنجة من السلطات الكنيسة.
٤) التمهيد للمجمع الفاتيكاني الثانى (١٩٦٣ . ١٩٦٥)



. مؤتمر الفاتيكان الثانى.
.١٨٨٩ سقوط الاتحاد السوفيتى.

الجزء الثالث

التعددية وقبول الآخر شرط ضرورى للخلاص

"فبين أنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن فى سبيله بما قاله من تقدمنا فى ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا بالملة أو غير مشارك فى الملة... إذا كانت فيه شروط الصحة.. وإذا كان الأمر هكذا وكان كل ما يحتاج إليه من النظر فى أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء أتم فحص فقد ينبغى أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك.

فإن كان كله صوابا قبلناه منهم وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه".

"فصل المقال فيما بين الشريعة والحكمة من اتصال"

ابن رشد

الفصل الأول

قضية التأويل عند ابن رشد ×
بحسب كتابه "فصل المقال"

× محاضرة ألقيت في مؤتمر (الجمعية الفلسفية) بجامعة القاهرة في ديسمبر ١٩٩٨.

مقدمة:

لا شك أن العلاقة بين "العقل والنقل" أو بين "العلم والإيمان" أو بين النص المقدس "المنزل" أو الموحى به ومحاولة التوفيق بين ما جاء فى النصوص المقدسة من جهة وما تطرحه الفلسفة من قضايا كان مثارا للنقاش على امتداد التاريخ حتى اليوم.

وإذا كانت فلسفة الأنوار فى القرن التاسع عشر فى أوروبا جعلت من العقلانية منهجا شبه مطلق فى دراسة النص الدينى فى مقابل سطوة رجال الدين وظهرت المناهج المختلفة لدراسة النص الدينى المسيحى دراسة نقدية تعتمد على الأنواع الأدبية والظروف الاقتصادية والسياسية والثقافية التى ساهمت فى إنتاج النص وبقية الظواهر الإنسانية وامتد تأثيرها حتى الآن بعد أن توالت انتصارات العلم التجريبى فإننا فى مصر والعالم العربى بل والعالم الثالث مازلنا نسيد النص الدينى وما يدور حوله من تفسيرات غير مناسبة تنتمى إلى العصور الوسطى وما قبلها إلى حد التطرف فبينما تسود العقلانية البحتة فى غالبية العالم الأوروبى. منتقصة من البعد الروحى والعلاقة مع المطلق، ففى مصر والعالم

العربى تسود النزعة الحرفية لفهم النصوص المقدسة والفهم السلفى بمعناه السلبى للنصوص الدينية ولا تنكر أن هناك محاولات كثيرة من مفكرين أجلاء منذ القرن التاسع عشر وحتى الآن اجتهدت لتقيم علاقة متوازنة بين الجانب العقلانى وما هو إيمانى فى النصوص المقدسة فمن الشيخ عبده إلى مصطفى عبد الرازق وطه حسين إلى العديد من المفكرين المجتهدين فى أيامنا.

ولا أخفى عليكم أن تناولى لقضية "التأويل" عند ابن رشد نبعت من تساؤلاتى حينما كنت أدرس الفلسفة فى العشرينات من عمرى فى هذه الجامعة العريقة. وأحسب أن فى مطلع الشباب تزدهر مثل هذه التساؤلات حول علاقة النص الدينى بالواقع الذى نعيشه ومدى قدرته على الرد على التساؤلات الجوهرية فى حياة الإنسان عن معنى الموت والحياة ووجود الله وعلاقة العقل بالنص الدينى.

ولقد وجدت ضالتى فى كتاب "فصل المقال لما بين الشريعة والحكمة من الاتصال" ولأننى مسيحى مصرى وأنتمى إلى الثقافة العربية الإسلامية أردت أن يكون الرد على تساؤلاتى ردا نابعا من هذه الثقافة التى أنتمى إليها.

ففى منتصف السبعينات حيث كانت الأفكار السلفية لبعض التيارات الإسلامية التى تدعو إلى الانغلاق الطائفى والاستبعاد للآخر ونفى دور العقل وكنت وقتها فى باريس أدرس اللاهوت وعينى على مصر وعلى انتمائى للعالم العربى والمحافظة على هويتى المسيحية المصرية العربية وجدت فى ابن رشد رفيقا عصريا منفتحا واتخذته نموذجا للإنسان

المؤمن مسلما أو مسيحيا الذى استطاع أن يصالح فى حياته بين العقل والنقل بكل معانى الكلمة. فقد كان فقيها وقاضيا... بالإضافة إلى أنه فيلسوف واستطاع أن يصالح بين الحضارة العربية الإسلامية متمثلة فى علوم الفقه وأصول الدين وبين الحضارة الغربية التى كانت متمثلة فى الفلسفة اليونانية وخاصة علم المنطق فيها "الأرجانون". فاعتبرته أقرب إلىّ من أوريجانيس المصرى. لأن ميزة ابن رشد آنه عالج قضية تماثل فى إشكالياتها وحدتها قضيتنا فى الوقت الحاضر ألا وهى علاقة الدين بالعقل فى إطار الحضارة العربية الإسلامية وأمام تحديات الآخر الأوروبى الأمريكى. وهو وضعنا وكل شباب اليوم فما أشبه اليوم بالبارحة.

أما بعد... فلكى نتحدث عن مفهوم التأويل عند ابن رشد ودوره فى المصالحة بين الإيمان والعقل رأيت أن أقدم لكم نصا من كتاب "فصل المقال ما بين الشريعة والحكمة من الأتصال" يلقى الضوء على المفاتيح الأساسية لهذا الكتاب الفريد ودور مقولة "التأويل فيه".

النص من "فصل المقال"..........

١- مفهوم الحق:

"وإذا كنا نعتقد .. أن شريعتنا الإلهية حق وإذا كانت هذه الشريعة حقا وداعية إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق فإنا معشر المسلمين نعلم على القطع أنه لا يؤدى النظر البرهانى إلى مخالفة ما ورد به الشرع فإن الحق لا يضاد الحق بل يوافقه ويشهد له".

٢- البنية المنطقية للإشكالية:

"وإذا كان هذا هكذا فإن أدى النظر البرهانى إلى

نحـو مـا من المعـرفـة بموجـود بما فـلا يخلو ذلك الموجود".

أن يكون قد سكت عنه فى الشرع أو عرف به فإن كان مما قد سكت عنه فلا تعارض هناك (وهو بمنزلة ما سكت عنه من الأحكام فاستنبطها الفقيه بالقياس الشـرعى). وإن كـانت الشـريعـة نطقت بـه فـلا يخلو ظاهر النطق.

أ- أن يكون موافقا لما أدى إليه البرهان فيه.

ب- أو مخالفا فإن كان موافقا فلا قول هناك وإن كان مخالفا طلب تأويله.

٣- تعريف التأويل:

ومـعنى التـأويل هو إخـراج دلالة اللفظ مـن الدلالة الحـقيـقيـة إلى الدلالة المجـازية من غيـر أن يخل ذلك بعادة لسان العرب فى التجوز من:

أ- تسمية الشىء بشبيهه.

ب- تسميه الشىء بسببه.

ج- تسمية الشىء بلا حقه.

د- تسمية الشىء بمقارنه

ه- غير ذلك مـن الأشـيـاء التى عـددت فـى تصنيف الكلام المجازى.

مفاتيح لقراءة هذا النص:

٤ كلمـات تشـكل بنيـة هذا النص وتسـاعـدنا على قراءة كل ما جاء فى الكتاب.

١- الحقية واحدة مصدرها واحد (الله) وغايتها واحدة وإن اختلفت الوسائل للوصول إليها (الشـرع - العقل).

٢- أن التـعـارض بين الشـريعـة والعـقل تعـارض

عرضى وليس جوهريا ظاهريا وليس باطنيا.

٣- "التأويل" هو الآلية الشرعية لحل مشكلة التعارض إذا ما حدثت بين ما جاء به الشرع وما يدركه العقل.

٤- النظر البرهانى آلية الفلاسفة فى فهم الموجودات لا تقل شأنا عن القياس الشرعى الذى يستخدمه الفقهاء فى استنباط الأحكام من القرآن.

سأتطرق لكلمتين فقط نظرا لضيق الوقت:

الأولى : مفهوم الحق أو وحدة الحقيقة.

الثانية : آلية التأويل.

نظرة تحليلية للنص:

أولا - وحدة الحقيقة:

الشريعة وتدعو إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق.

١- مجمل النص القرآنى حق.

٢- هذا النص القرآنى يدعو إلى النظر المؤدى إلى معرفة الحق.

٣- النظر البرهانى المؤدى إلى معرفة الحق هو القياس الأرسطى بأنواعه الذى يتضمنه علم المنطق أو "الأرجانون" وهو يختلف عن القياس الشرعى الذى يستخدمه "الفقهاء" وهو استخراج المجهول من المعلوم عن طريق العلة والأول أرقى من الثانى لأن الأول يقينى والثانى ظنى.

٤- هذا النظر البرهانى الذى يدعو إلى معرفة الحق مأمور به فى الشريعة الإسلامية. وهناك كثير من الآيات التى تدعو إلى إعمال العقل.

٥- الحق الذى يؤدى إليه النظر البرهانى هو الحق بالمفهوم الفلسفى للوجود بكل أنواعه وصوره وهى

نفس الموجودات التى يتحدث عنها الشرع.

٦- الحق الذى يتحدث عنه الشرع لا يتناقض مع الحق الذى يتكلم عنه العقل فإن مصدرهما واحد وهو "الله الحق" وغايتهما واحدة هى البلوغ إلى الله الحق والتعامل مع مخلوقاته بالحق.

أين الإشكالية هنا؟

١) هل يجوز للمسلم أن يستخدم منهجا غير إسلامى للوصول إلى الحق أى هل حكم الغزالى على المشتغلين بالفلسفة اليونانية بالكفر له ما يبرزه شرعيا ومنطقيا.

٢) أين مكانة الفيلسوف المسلم الذى ينفذ تكليف الشريعة له بالنظر وإعمال العقل فى الوجود والموجودات بالنسبة للفقيه الذى عليه أن يهتم بالأمور العملية من عبادات ومعاملات.

ثانيا : مصطلح التأويل وعلاقته بالنظر البرهانى:

١- بعد أن أكد ابن رشد عدم التضاد بين الحقيقة الشرعية والحقيقة العقلية ووحدة مصدرهما ووحدة غايتهما، وضع آلية لفض الاشتباك فى حالة حدوثه بين النظر البرهانى والنص القرآنى وهى آلية "التأويل" إذا جاز لنا هذا القول.

٢- جاءت كلمة التأويل فى كتاب " فصل المقال" ١١٠ مرة، بين فعل وصفة واسم مما يبين أهمية هذه الكلمة فى كتاب لا تزيد صفحاته على الـ ٤٠ صفحة قطع متوسط.

أ) تعريف التأويل قبل زمن ابن رشد:

تعريف ابن رشد : إخراج دلالة اللفظ من الدلالة الحقيقية إلى الدلالة المجازية.

وهذا التعريف لا يختلف عن التعريف الذى قالت به الأشعرية إلا أن ابن رشد يقرن التأويل بالبرهان (٣٥).

ب- ما يجوز تأويله وما لا يجوز بحسب فصل المقال ٣ أنواع من النصوص.

١) ظاهر من الشرع لا يجوز تأويله فإن كان تأويله فى المبادئ فهو كفر (مثال السعادة الأخروية) فقرة٤٨ ,

٢) ظاهر من الشرع يجب على أهل البرهان تأويله وحمله على ظاهره كفر (مثال آية الاستواء وحديث النزول) ويجوز الاختلاف فى تأويله عند أهل البرهان.

٣) صنف ثالث من النصوص متردد بين ظاهر لا يجوز تأويله وظاهر يجب تأويله (المعاد).

أصناف الناس وعلاقتهم بالتأويل:

الناس فى الشريعة على ثلاثة أصناف:

الصنف الأول: ليس هو من أهل التأويل أصلا وهم الخطابيون الذين هم الجمهور الغالب وذلك أنه ليس يوجد أحد سليم العقل يصعب عليه هذا النوع من التصديق.

الصنف الثانى: من أهل التأويل الجدلى وهؤلاء هم الجدليون بالطبع فقط أو بالطبع والعادة (الأشعرية والمعتزلة).

الصنف الثالث: وهو من أهل التأويل اليقينى وهم البرهانيون بالطبع والصناعة أعنى صناعة الحكمة.

لا ينبغى التصريح بالتأويل للجمهور:

لأن التأويل لا ينبغى أن يصرح به لأهل الجدل فضلا عن الجمهور. ومتى صرح بشىء من هذه التأويلات إلى من هو من غير أهلها وبخاصة

التأويلات البرهانية لبعدها عن المعارف المشتركة أفضى ذلك بالمصرح به والمصرح له إلى الكفر.
وحين نتساءل عن السبب فى ذلك يرد ابن رشد: "لأن التأويل يتضمن شيئا من إبطال الظاهر وإثبات المؤول. فإذا أبطل الظاهر عند من هو من أهل الظاهر ولم يثبت المؤول عنده أداه ذلك إلى الكفر إن كان فى أصول الشريعة".

ويضيف ابن رشد: " فالتأويلات لا ينبغى أن يصرح بها للجمهور ولا أن تثبت فى الكتب الخطابية أو الجدلية أعنى الكتب التى الأقاويل الموضوعة فيها من هذين الجنسين.. كما صنع أبو حامد الغزالى".

وإذا سئل ابن رشد عن الطريقة المثلى لتعليم الجمهور بعيدا عن التأويل.. يجيب: " إن الأقاويل الشرعية المصرح بها فى الكتاب العزيز للجميع لها ثلاث خواص دلت على الإعجاز:

إحداها: أنه لا يوجد أتم إقناعا وتصديقا للجميع منها.

والثانية: أنها تقبل النصرة بطبعها إلى أن تنتهى إلى حد لا يقف على التأويل فيها إن كانت مما فيها تأويل إلا أهل البرهان.

والثالثة: أنها تتضمن التنبيه لأهل الحق على التأويل الحق".

يضيف منتقدا المتكلمين بشدة :" هذه الخواص الثلاثة لا توجد لا فى مذاهب الأشعرية ولا فى مذاهب المعتزلة: أعنى أن تأويلهم لا يقبل النصرة ولا يتضمن التنبيه على الحق ولا هو حق ولذلك كثرت البدع".

ختـام..

ماذا نتعلم من استخدام مقولة التأويل للمصالحة بين البرهان والقرآن؟

١- أن ثقـافـة ابن رشـد الواسـعـة سـمـحـت له بأن يعـالج النص الدينى بقـدر من التـسـامح والمنهـجـيـة العلمية فـى عصره.

٢- العقـلانية الرشدية أحـوج ما نكون لها اليوم فـى مقاربتنا الدينية المسيحية والإسلامية.

٣- الانفتاح الثقافى والحضارى بحنكة واقتدار فلم يفـرط ابن رشـد فـى هويتـه الإسـلامـيـة والعـربيـة بل أغناها وترك آثرا ومعلما لا يمحى فى الشـرق والغرب وترجمت كتبه وما زالت فى العالم كله.

٤- لم يقصد ابن رشد احتقار الجمهور بمحافظته على التـأويل لأهل البـرهان بل قـصـد أن يمـيـز بين قدرات الناس ويحترم المرحلة التى يمـر بها كل إنسـان فهذا التقسيم ليس عنصـريا ولا طبقيا ولكن مـرحلى فيمكن لمن فى الجمهور أن يجتهد ليصل إلى مـرحلة أهل البرهان.

٥- الحـوار بالحـجـة والمنطق عـوضـا عن العـراك بالصوت والمدفع.

الفصل الثانى

تجديد الحياة الروحية للرهبنة المصرية فى القرن العشرين

نموذج متى المسكين (١٩١٩ -   )

أمد الله فى عمره

مقدمة

ونحن نحتفل بـ ١٠٠ عام للفكر فى مصر.. رأت الجمعية الفلسفية أن تحتفى بأحد أبناء مصر البررة وخريج جامعة القاهرة العريقة كلية الصيدلة عام ١٩٤٤, وهو الأب متى المسكين وقد طلب الدكتور حسن حنفى إلى أن أقوم بهذه المهمة.. وسأحاول قدر المستطاع.

إن الأب متى المسكين مجدد بلا منازع للحياة الرهبانية الأرثوذكسية فى أرض الكنانة على امتداد خمسين عاما من هذا القرن العشرين. وعلى مثال المفكرين المصريين المسلمين الذين حاولوا أن يجددوا حياتنا الفكرية والثقافية.. مثل الإمام محمد عبده والشيخ رشيد رضا والدكتور حسن حنفى والأستاذ طارق البشرى... وغيرهم فإننا نتطرق إلى عنصر مهم من مكونات الفكر المصرى والعربى. وهو تجديد الحياة الروحية والرهبانية للكنيسة المصرية عموما أعرق الكنائس فى العالم كما أنها جزء لا يتجزأ من المجتمع المصرى وتشكل رافدا مهما من تاريخنا المشترك سواء كنا مسلمين أم مسيحيين.

لقد ساهمت كنيسة مصر منذ القرن الرابع

الميلادى بقوة فى تشكيل وإرساء دعائم المسيحية فى العالم أجمع.. فمن مصر خرجت "حياة الرهبنة" إلى الشرق والغرب على يد القديس أنطونيوس وباخوميوس.هذه الرهبنة التى تحدث عنها القرآن الكريم فى سورة المائدة بقول "... ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون".

وإذا كنا نحتفل بالفكر الفلسفى المعاصر هذا العام ١٩٩٩، فإن علاقة الفلسفة بالروحانية ليست ببعيدة وإن كنا قد تحدثنا فى العام الماضى عن الفيلسوف ابن رشد الذى استطاع المصالحة بين العقل والشرع الإسلامى وعرف الفلسفة بأنها البحث عن الحق وأثبت أن العقل لا ينقضه الشرع فكلاهما يبحث عن الحق.ولأن مصدزهما واحد وهو الله فإننا نجزم بأن متى المسكين اختار طريق الشرع يغلبه على العقل لا بل سخر قلبه وعقله وجسده لعبادة الله الأحد واختار طريق التصوف والزهد على خطى أنطونيوس أبى الرهبان.. ليصل الحاضر بالماضى ويجدد ما وهن فى الحياة الرهبانية.

أولا: من هو متى المسكين:

ولد يوسف إسكندر (متى المسكين) عام ١٩١٩ فى مدينة دمنهور وقضى سنى حياته الأولى هناك حتى إنهاء التعليم الثانوى بعدها التحق بكلية الصيدلة بجامعة فؤاد الأول (جامعة القاهرة) وتخرج منها صيدلانيا فى عام ١٩٤٤، وعقب تخرجه مباشرة عاد الصيدلى الشاب إلى مدينة دمنهور ليبدأ حياته العملية فافتتح صيدلية هناك سماها (صيدلية مصر)

ظل يعمل فيها من عام ١٩٤٤ حتى ١٩٤٨، كان يتردد فيها على مرشده الروحى فى مصر القديمة "الراهب مينا المتوحد" الذى سيصبح فيما بعد "البابا كيرلس السادس".

وفى عام ١٩٤٨ وكان يوسف قد بلغ التاسعة والعشرين من عمره. ترك كل شىء يربطه بالعالم واتجه نحو الحياة الرهبانية.. على مثال الأنبا أنطونيوس مؤسس الرهبانية فى مصر فى القرن الرابع الميلادى...

ما الذى حدث ليوسف إسكندر؟

لقد زهد فى العالم وما فيه وقرر أن يسير على خطى الأنبا أنطونيوس الكبير والأنبا باخوميوس وغيرهم كثيرون لا يطلب غير وجه الله... هكذا فعل الإمام الغزالى حينما تصوف ويمكننا أن نرى فى رابعة العدوية وابن سبعين والسهروردى والحلاج.. نماذج تقرب إلى أذهاننا معنى أن يزهد الإنسان فى الدنيا وما فيها وتقطع كل الروابط بالأغيار للارتقاء فى سلم العبادة إلى حد الفناء فى الله.

ليست هذه الطريقة حكرا على أحد ولكنها ليست بالطريق المغروس بالورود فجهاد النفس هو الجهاد الأكبر والتحرر من الرغبة فى السلطة والتعلق بالمجد الشخصى وإن كانت من الأمور المحمودة بل والمأمور بها أحيانا لخير المجتمع إلا أن التخلى عنها وإنكار الذات يحتاج إلى الصبر والمثابرة. وقبل كل شىء الإيمان الشديد بالله وحبه إلى درجة العشق.

ثانيا: مراحل مسيرة الأب متى المسكين منذ دخوله الدير حتى اليوم:

عشرون عاما من البحث والتنقيب من ١٩٤٨ - ١٩٩٩:

١- بدأ فى دير مار مينا بمصر القديمة : ١٩٤٨ .

٢- ثم ذهب إلى دير الأنبا صموئيل بوادى النقلون شمال محافظة المنيا (بالقرب من مغاغة)

فى أغسطس ١٩٤٨ - رسم راهبا فى ١٠/٨/١٩٤٨ باسم "متى المسكين".

بعد عدة أشهر ١٩٤٩ سحب المجمع المقدس اعترافه بدير النقلون.

٣- توجه إلى دير السريان بوادى النطرون (مارس ١٩٥١ - ١٩٥٤).

٤- ثم ذهب إلى الإسكندرية وكيلا للبابا (من ١٩٥٤ - ١٩٥٦).

٥- مرة أخرى إلى دير الأنبا صموئيل بمغاغة (من ٢٠ يوليو ١٩٥٦ - ١٩٥٩).

٦- إلى حلوان (بيت التكريس ١٩٥٩).

٧- يرجع مرة أخرى إلى دير السريان (٢٩ يناير ١٩٦٠).

٨- ثم من جديد مرة أخرى إلى وادى السريان (١٥ أغسطس ..١٩٦٠, فى هذه الفترة اشترى ٣٠ فدانا فى الساحل الشمالى).

٩- بين وادى الريان وبيت التكريس بحلوان (أكتوبر ١٩٦٠ حتى ١٩٦٩). فى أكتوبر ١٩٦٠ قرار مجمعى بتجريده مع تلاميذه من الاسم الرهبانى.

١٠- الاستقرار فى دير أبو مقار وإعادة بنائه (مايو ١٩٦٩ - ١٩٩٩).

ثالثا : الإنجازات العملية التى قام بها متى المسكين لتجديد الحياة المسيحية الأرثوذكسية بعد طول ركود منذ ١٩٤٨ - ١٩٩٩ (٥٠ سنة).

- عرف الأب متى المسكين فى الأوساط الأرثوذكسية بإنجازاته المتميزة، فعلى سبيل المثال أسس إكليريكية مسائية بالإسكندرية أثناء الفترة الوجيزة التى قضاها وكيلا للبطريركية هناك (١٩٥٤ - ١٩٥٦) بالإضافة إلى ضبط الخدمة الدينية (مدارس الأحد) كما شرع فى إحصاء عام لأقباط مصر وإنشاء المدرسة الصناعية. كما قام بتنظيم الإدارة البطريركية. وضبط الخدمة الاجتماعية... إلخ (راجع د. وليم سليمان).

- كذلك أقام "بيت التكريس" فى حلوان فى عام ١٩٥٩ وهو أول بيت من نوعه فى الكنيسة القبطية الأرثوذكسية مخصص للخدام المكرسين من العلمانيين للارتقاء بخدمتهم.

- كما عرف بإنجازاته التنموية بدير الأنبا صموئيل بالقرب من مغاغة وأعظم إنجازاته العملية إعادة بناء دير الأنبا مقار على أحدث الطراز المعمارية حيث جعل من "القلاية الحديثة" مكانا متكاملا لاعتكاف الراهب والقدرة على البحث والقراءة لأحياء التراث الفكرى القبطى.هذا إلى جانب الاستراحة التى أقامها بالساحل الشمالى لمساعدة الرهبان على القدرة على العطاء والاختلاء فى مكان مناسب للعطاء الفكرى والروحى للراغبين فى التزود بالروحانية الرهبانية من الرهبان والعلمانيين.

- وفى مجال التنمية جعل من "دير أبو مقار" مركزا للتجارب الزراعية وتهجين السلالات الحيوانية

للمساهمة فى حل المشكلة الغذائية فى مصر. ففى مزرعة دير أبو مقار تمت أول تجربة لزراعة البنجر لاستخدامه كعلف للماشية كما لاستخدامه فى صناعة السكر بالتعاون مع وزارة الزراعة المصرية وتعضيدا لهذه التجارب الرائدة فى مصر أعطت الدولة ممثلة فى رئيسها أنور السادات ألفى فدان لتشجعه على مواصلة هذه الإنجازات. هذه من الناحية العلمية.

رابعا: الريادة الفكرية وتجديد الفكر الأرثوذكسى فى مصر وبلاد المهجر فى القرن العشرين

إن العديد من العاملين النشطاء بالأوساط الأرثوذكسية وغيرها من الطوائف يشهدون للأب متى المسكين بالريادة الفكرية فى مجال الكتابات اللاهوتية وفى تناول مختلف أمور الكنيسة، حيث بلغ مجموع مؤلفات الأب متى المسكين فى مايو ١٩٩٧ نحو ٩٩ مؤلفا تغطى معظم المواضيع الكنسية من شرح الأناجيل إلى الصلاة والخدمة والعمل الاجتماعى السياسى واللاهوتى. هذا بالإضافة إلى مقالاته بمجلة مرقص.

فالأب متى المسكين قدم مكتبة شاملة للكنيسة فى وقت كانت تفتقر فيه إلى تراث فكرى عصرى إذ يعتبره البعض القائد الفكرى لكثير من الشباب الأرثوذكسى المصرى ويعتبر البعض كتابه " حياة الصلاة الأرثوذكسية " الذى ظهر عام (١٩٥) والذى كان قد كتب مقدمته نظير جيد (البابا شنودة الحالى) المرشد الروحى الأساسى للكنيسة الذى قدم أعماقا وآفاقا روحية جديدة للصلاة.

والآب متى المسكين ينتمى إلى جيل المجددين العظام للحياة الرهبانية والروحية والكنيسة فى القرن العشرين فهو من أوائل المتعلمين تعليما عاليا الذين اختاروا حياة الرهبنة سواء كان ذلك بحثا عن أعماق جديدة فى العلاقة مع الله أو كما يقول الأستاذ محمد حسنين هيكل إنه الجيل الذى رأى بعد الحرب العالمية الثانية أن الكنيسة هى العنصر الرئيسى فى حياتهم فانخرطوا فى الرهبنة بحثا عن القوة التى تكمن فى الأديرة وما لها من تأثير على معظم حياة الكنيسة . (راجع تقرير الحالة الدينية - متى المسكين ص ٢٧٥).

ويمكن تقسيم الإنتاج الفكرى للأب متى المسكين إلى ٤ مراحل :

المرحلة الأولى : من ١٩٥١ - ١٩٥٨

وأهم ما يميزها صدور كتاب " حياة الصلاة الأرثوذكسية" (١٩٥٩) الذى أصبح دليلا ومنهاجا لغالبية الأقباط فيما ب"عد .. إلى جانب بعض مقالات فى مجلة مدارس الأحد" حول التربية الدينية. وحذر فيه المسيحيين الأرثوذكس من اتباع المناهج العقلية الغربية والتركيز على المنهج الشرقى.

- فى هذه الفترة أيضا كان متى المسكين أول من دعا إلى " ترجمة تقاليد الآباء الأولين " لوصل التراث الماضى بحاضر الكنيسة ... وقد أثمرت هذه الدعوة ... فكثرت الترجمات عن آباء الكنيسة العظام من العصور الأولى للمسيحية. (من اليونانية والقبطية ودراسات الفكر الغربى عن هذه المرحلة)..

المرحلة الثانية : من ١٩٥٩ حتى ١٩٦٨

- وهى أخصب فترات إنتاجه الفكرى. وقد واكبت تأسيسه لبيت التكريس لخدمة الكرازة بحلوان " وكان يضم الذين تتلمذوا عليه من خيرة الخدام فى مدارس الأحد والذين رغبوا فى التكريس والتقدم للخدمة وليس للرهبنة.

- أهم كتاب فى هذه الحقبة هو " العنصرة " أول كتاب لاهوتى عصرى عن الروح القدس فى القرن العشرين فى الكنيسة الأرثوذكسية وقد حفل باقتباسات من آباء الكنيسة .. وأظهر أهمية عيد العنصرة فى الكنيسة.

- أيضا فى هذه الفترة التى واكبت حرب ١٩٦٧ كتب متى المسكين كتابين يظهران مدى انتمائه لمصر ومواكبته لما يحدث للوطن الأول اسمه " ما وراء خط النار " والثانى " ميناء إيلات وصحراء النقب" مشاركا بذلك الوطن همومه وآلامه. وهذه أول مرة فى العصر الحديث تشارك فيها الكنيسة فى الأحداث الوطنية.

- كما صدرت ١٩٦٨ طبعة جديدة من " حياة الصلاة الأرثوذكسية " نظرا لكثرة الطلب عليه.

- كما صدر له كتاب عن الاشتراكية المسيحية والكنيسة فى المجتمع ١٩٦٥ و "الكنيسة والدولة ١٩٦٣ وساهم فى تبنى وجهات النظر القاهرية فى ذلك الوقت. واعتبر هذا الكتاب مرجعا مهما لتحديد العلاقة بين الكنيسة والدولة. استخدم فيما بعد لمهاجمة البابا الحالى بسبب أزمته مع نظام السادات عام ١٩٨١

المرحلة الثالثة : من ١٩٦٩ - ١٩٨٩ = ٣٠ سنة وهى فترة استقرار متى المسكين فى دير وادى النطرون وإعادة بنائه وتجديده .

- فيها بدأت مرحلة المجلدات الضخمة بدءا من كتاب: " الرهبنة القبطية فى عصر القديس أنبا مقار.
- ثم كتاب " الإفخارستية والقداس - " الجزء الأول " عرض عرضا منهجيا للأسس الآبائية والتاريخية للطقوس القبطية.
- كذلك سلسلة كتب لخدام مدارس الأحد ومناهجها وأخلاقياتها والأصوام ومعناها والأعياد ومعانيها . كما صدر له كتاب موسوعى عن "القديس أثناسيوس.
- القديس أثناسيوس.

المرحلة الرابعة : ١٩٩٠ حتى الآن ١٩٩٩

- بدأت شروحات الإنجيل لأول مرة بشكل منظم ومنهجى فى العصر الحديث مستعينا بأحدث الأبحاث اللغوية والتاريخية والأركيولوجية .
- مثل " شرح إنجيل يوحنا (جزءان).
- شرح إنجيل مرقص - القديس بولس الرسول ..
- المقالات اللاهوتية عن ألقاب المسيح. (راجع : أكرم رفعت : من الاشتياقات الأولى حتى العطاء المتحد مجلة مدارس الأحد : أغسطس ١٩٩٨)

سادسا : الإشكاليات التى يثيرها فكر متى المسكين

إلا أن وجود متى المسكين فى الصحراء لم يمنع فكره كما رأينا من الوصول إلى المجتمع والمؤمنين العاملين فى هذا المجتمع مما يثير ومازال إشكاليات.

الكنيسة والعمل الاجتماعى :

رغم الإنجازات التى قام بها متى المسكين على المستوى الاجتماعى والتموى كما بينا سالفا، فإنه على المستوى النظرى يقول رأيا مختلفا حول اهتمام الكنيسة بالأمور الدنيوية. فهو يرى أن المبادئ المسيحية اللاهوتية تركز على الإنسان من "حيث أنه خاطئ" وعلى الكنيسة أن تنتشله من "ألم هذه الخطيئة" فتعاسة الإنسان مصدرها هذه الخطيئة. لذلك فعلى الكنيسة ترتيب أولويتها بحيث يكون الخلاص الروحى شغلها الشاغل: "فالكرازة بالتوبة لتجديد الإنسان وخصاله "هو عمل الكنيسة الأساسى". (راجع الكنيسة والدولة) ثم يضيف أن انشغال الكنيسة بحياة الإنسان الاجتماعية هو مقاومة وخروج من جانب الكنيسة عن دورها.

- وكلنا نذكر كيف استخدمت هذه الأفكار فى ظروف سياسية معينة لتغليبها على رأى رئيس الكنيسة الأرثوذكسية "البابا شنودة" أثناء أزمته مع الرئيس السادات فى الثمانينات.

ولكن حينما يسأل متى المسكين عن دور المسيحى فى المجتمع من وجهه نظره..!!

يجيب : قد تكون صفات المثابرة والتحمل والرجاء هى أهم الصفات التى تتحلى بها المسيحية فى المجتمع. فهو مجاهد روحى ضد قوى الشر يجب أن يحب المجتمع ويتلاحم معه وسلاحه ليس الإنجيل الاجتماعى بل الإنجيل كخبرة إيمانية (راجع "المسيحى والمجتمع ص ١٥ + ١٦).

والإشكالية هنا : هو أن الأب متى المسكين يجمع بين روح وصفات الراهب الموجود فى الصحراء والعلمانى المنخرط فى المجتمع فى آن واحد.

٥- دور الكنيسة تجاه السلطة الزمنية :

فهو من ناحية يخشى الأب متى المسكين أن تشوه رسالة المسيحية من خلال البحث عن القوة الزمنية وهو الخطأ الذى وقعت فيه الكنيسة فى مراحل معينة من تاريخها. فهو يرفض أن تنحدر الكنيسة من منزلة العمل الروحى إلى العمل السياسى والذى هو فى منزله أدنى من الخلاص الروحى. كذلك يخشى الأب متى المسكين أن تنزلق الكنيسة إلى الصراع السياسى فتلجأ إلى السلطة لفرض عقيدة ما وبذلك تقع فى مأزق روحى (الكنيسة والدولة). وهو ما يعرف تاريخيا بالفكر القسطنطينى. وهو فى هذا الإطار شديد الغيرة على نقاء الكنيسة إلى درجة الحث على تفادى العمل بالسياسة. إذ إن رسالة المحبة والفداء أقيم بكثير من أى عطاء أخر.

وبالرغم من ذلك نجده فى عام ٦١ - ٦٢ يدعو إلى الاشتراكية المسيحية ويتحدث فى المرحلة الناصرية عن تطابق ما بين الاشتراكية المسيحية فى الكنيسة الأولى والاشتراكية الناصرية.

ثم فى الثمانينات تغيرت كتاباته عن السلطة الزمنية ويعتبر أن المسيحى مغترب ويجب عليه أن يبحث فى كل الظروف عن ملكوت الله فقط لأن وحدة العالم سواء على أساس "العقل" أو "الفلسفة" أو علاقة الدم أو علاقة الوطن أو الاقتصاد فشلت...

ويجب البحث عن هذه الوحدة من خلال التوبة الجماعية "والبحث عن ملكوت الله" الوحيد الذى يمكنه أن يكون مصدر الوحدة أبوة الله...

فى النهاية.. سواء اتفقنا أو اختلفنا مع متى المسكين يبقى أنه اجتهد خمسين عاما وأثرى المكتبة المسيحية والعربية بأفكاره وروحانيته وساهم فى تكوين أجيال من شباب مصر وسيظل علامة بارزة فى تاريخ الكنيسة والوطن.. ولكل مجتهد نصيب.. أمد الله فى عمره.

الفصل الثالث

التيارات السياسية فى جمهورية مصر العربية بين الحداثة والتراث

× مقالة نشرت فى مجلة المشرق - يونية ١٩٩٩ - بيروت

مقدمة

نقصد بالحداثة قبول الأفكار الحديثة التى وفدت من الغرب منذ القرن السادس عشر حتى الآن من فلسفة وأدب ونظم سياسية وتكنولوجيا من حيث إنها تسيد العقل على النقل والمؤسسات المدنية على المؤسسات الدينية التقليدية أما التراث فهو كل ما هو موروث من مؤسسات دينية وتقاليد وأفكار وحرف تقليدية كانت سائدة فى مصر قبل احتكاكها بالحضارة الأوروبية الحديثة.

ويجمع المؤرخون والذين تناولوا قضية الحداثة على أن قدوم الحملة الفرنسية إلى مصر عام ١٧٩٨ كان الشرارة الأولى التى جعلت المصريين يحتكون بالأفكار الحديثة ومنتجاتها من المطبعة مرورا بالتنظيم العسكرى ووصولا إلى التمثيل السياسى..الخ.

إلا أن ميلاد الدولة الحديثة بمعنى الكلمة فى مصر بدأ مع محمد على الذى تولى الحكم فى الفترة من ١٨٠٥ - ١٨٤٨ . وهناك مقولة شهيرة للمستشار طارق البشرى فحواها أن "الدولة الحديثة" بمؤسساتها العسكرية والقانونية والصناعية والثقافية سابقة على مفهوم "المواطنة" ففى البدء كانت الدولة

الحديثة ثم تولد عن هذه الدولة - فى مرحلة تالية - "الوعى بالوطنية المصرية". وهذا عكس ما حدث فى الغرب حيث إن الدولة الحديثة كانت تنمو نتيجة "الوعى القومى للمواطنين". وفى الملخص فإن ميلاد الدولة الحديثة كان قرارا فوقيا سياسيا لمحمد على فقد أراد أن يبنى دولة حديثة وعصرية لينفصل عن السلطة العثمانية، فاستعان بالخبراء الأجانب لبناء جيش قوى اعتمد لأول مرة فى العصر الحديث على الفلاحين المصريين بعد أن فشل فى تكوين جيش من الأرناؤوط والمماليك. وسخر كل الإمكانيات الأخرى لخدمة هذا الجيش من بناء المصانع إلى الترسانة البحرية والملابس الخاصة بالجنود ومدرسة اللغات والبعثات إلى الخارج. كما نشير هنا إلى تجاهل المؤسسات التقليدية مثل الأزهر وغيرها ونضيف إلى محمد على أنه أول من قام بتعداد كامل لسكان مصر بالمعنى الحديث لكلمة تعداد. حينما قام بحصر السكان ووظائفهم وأماكنهم الجغرافية وأسماء القبائل المختلفة كما عمل حصرا شاملا للحرف المختلفة.

الوضع السياسى الحالى:

يوجد بمصر الآن أربعة تيارات سياسية كبرى تتنازع الساحة المصرية لكل تيار تاريخه وتوجهاته وموقفه من الحداثة والتراث.

أولا: التيار الليبرالى: (١٩١٩ - ١٩٥٢) ومن (١٩٧٦ حتى ١٩٩٨).

فمنذ أن بدأت تتبلور ظاهرة الأحزاب فى مصر متأثرة فى نهاية القرن التاسع عشر بالغرب وحتى الآن ظهر أولا التيار الليبرالى وأبلغ تعبير عنه "حزب

الوفـد" القـديم منذ ١٩١٨ والذى قـاد ثورة ١٩١٩ الوطنية ضد الاحتلال الإنجليزى ودخل معارك عديدة لتحقيق الحياة الدستورية التى تطالب مع كل الأحزاب بدستور ١٩٢٣ الذى أدخلت عليه تعديلات كثيرة فيما بعد إلى أن ألغى بعد ثورة ١٩٥٢ .

وبعد فترة انقطاع رجع تحت اسم "الوفد الجديد" بعد أن فتح السادات باب التعددية عام ١٩٧٩, وقد خيب حزب الوفد الجديد آمال الكثيرين بمن فيهم الأقباط حينما تخلى عن بعض مبادئه الليبرالية وتحالف مع الإخوان المسلمين وكانت قوة صاعدة فى انتخابات مجلس الشعب... ولكن فيما بعد انفصل عنهم. وإلى جانب الوفد دخلت بعض شرائح رجال الأعمال فى اطار سياسة الخصخصة التى أنتهجتها الدولة مؤخرا فى عهد الرئيس مبارك وأبرزهم المنضمون إلى جمعية "النداء الجديد" وهم ينادون بالتحرير الاقتصادى والحرية السياسية من أى عوائق. إلا أن تأثيرهم السياسى مازال ضئيلا جدا فى مجال المطالبة بالحريات الديمقراطية والاجتماعية.

ثانيا : التيار الإسلامى (١٩٢٨ - ١٩٩٨):

ونقصد به تيار الإسلام الذى وجد تعبيره المؤسسى فى جمعية الإخوان المسلمين عام ١٩٢٨ على يد حسن البنا الذى كان خريج دار العلوم وعمل مدرسا فى الإسماعيلية. وسرعان ما تحولت هذه الجمعية إلى قوة سياسية يخطب ودها القصر وأحزاب الأقلية وبلغت أوج انتشارها فى الأربعينات. وفى عام ١٩٥٢ كانت تنافس ثورة ١٩٥٢ للضباط الأحرار وحسمت

هذه المنافسة لصالح جمال عبد الناصر فى عام ١٩٥٤ بعد محاولتهم الاعتداء عليه فيما عرف بحادث المنشية بالإسكندرية. وفى عام ١٩٦٥ تلقت قيادات الجماعة ضربة قاصمة من النظام الناصرى. ومعروف أن جمعية الإخوان المسلمين قد حلت بعد ثورة ١٩٥٢ .

إلا أن الرئيس السادات سمح لهم بالظهور ثانية عام ١٩٧٨ بعد أن أطلق سراح قياداتهم من السجون ووظفهم ضد المد اليسارى فى ذلك الحين - الذى كان يتزعمه حزب التجمع وفصائل اليسار من شيوعيين وناصريين - لتغطية سياسة المهادنة وزيارة القدس عام ١٩٧٧ . وقام السادات بتشكيل نواة "الجماعات الإسلامية" فى الجامعات التى انتشرت فى نهاية السبعينات وفى الثمانينات وقد سقط السادات فى ٦ أكتوبر ١٩٨١ ضحية هذا التيار. ومازالت الجماعات الإسلامية فاعلة فى بعض الكليات الجامعية كما أن جماعة الإخوان المسلمين تغلغلت فى النقابات المهمة مثل نقابة الأطباء والمهندسين والمحامين فى الثمانينات والتسعينات مما جعل الدولة تتدخل تشريعيا وأمنيا لوقف مد هذا التيار. وحاول الرئيس مبارك احتواء التيار الإسلامى فسمح له بدخول البرلمان بصفة غير رسمية فكان عليهم أن ينضموا إلى أحد الأحزاب الشرعية فتحالفوا أولا مع الوفد الجديد ثم انفصلوا عنه وتحالفوا مع حزب العمل وحزب الأحرار ورفعوا شعار "الإسلام هو الحل" ومازال هذا التحالف قائما وإن كان فقد كثيرا من بريقه بعد أحداث التفجير التى طالت المدنيين.

كما قلمت الدولة أظافر الإسلاميين الأصوليين

وأطلقت صفة "الإرهاب" على الفصائل العنيفة منه وعاملته أمنيا وتشريعيا بمنتهى الشدة منذ عام ١٩٩٢، ويرى بعض المتخصصين أن الإسلاميين عبروا منذ نهاية السبعينات حتى الآن عن تيار المعارضة الرئيسى ضد الحكومة الرسمية ولا يزالون ورغم تآكل تيارات الإسلام العنيف تحت الضربات الأمنية فلم يفقدوا المبادرة وارتكبوا أكبر جريمة بشعة على الإطلاق فى ١٧ نوفمبر ١٩٩٧ المعروفة بحادثة الأقصر التى راح ضحيتها أكثر من سبعين شخصا وضربوا الموسم السياحى ضربة قاصمة. وإن كانت الدولة قد حجمت الظاهرة داخليا إلا أن الفلول الهاربة فى الخارج مازالت تشكل خطرا على الداخل بعد أن ارتبطوا بمنظومات الإسلام العنيف فى آفغانستان والسودان والدول الغربية.

وتجدر الإشارة إلى أن هذا التيار نجح فى فرض سلوكيات كانت جديدة على المجتمع مثل انتشار ظاهرة الحجاب - والصلاة فى الميادين والأذان فى التليفزيون وتأسيس الشركات والبنوك المسماة إسلامية... إلخ وبذر الفتنة بين الأقباط والمسلمين.

ثالثا: التيار الاشتراكى (١٩٢٤ - ١٩٩٨):

ظهر هذا التيار فى عشرينات هذا القرن حينما تأسست الأحزاب الشيوعية فى مصر على يد الأجانب خاصة الإيطاليين واليهود ثم بعد ذلك المصريون. ونشطت الأحزاب الاشتراكية بين العمال والنقابات المهنية وازدهرت بعد الحرب العالمية الثانية فى أوساط المثقفين. وقد تأثر بهذه النزعة بعض الضباط الأحرار الذين قاموا بثورة يوليو ١٩٥٢ مثل

خالد محيى الدين رئيس حزب التجمع الوطنى المعارض الحالى فى مصر. وتبنوا قضايا العدالة الاجتماعية والصراع الطبقى وتمرسوا على العمل السياسى وقيادة الجماهير. وبعد ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ تحولت أغلبية الأحزاب اليسارية إلى العمل السرى إلا أن البعض الآخر حل نفسه واعتبر ما قام به عبد الناصر من تأميمات ومن إنصاف للطبقة العاملة يحقق ما كانوا يحلمون به. وفى عام ١٩٧٦حينما فتح السادات باب التعددية الحزبية وأنشأ المنابر، كان اليسار ممثلا فى حزب التجمع الوحدوى. وقد تلقى اليسار ضربة قاصمة حينما تحالف السادات مع الإخوان المسلمين وأطلق زعاماتهم من السجون ورفع شعار دولة "العلم والإيمان" لاصقا باليساريين تهمة الإلحاد فى إطار تهيئة للشعب للدخول فى معاهدة السلام مع إسرائيل والقضاء على كل معارضة تقف أمام توجهاته الغربية بعد أن طرد الخبراء السوفييت من مصر قبل حرب أكتوبر مباشرة. وهاجر كثير من اليساريين إلى الخارج إلى أن استشرى التيار الإسلامى فى البلاد فمدت الدولة يدها من جديد - فى إطار سياسة ضرب القوى بعضها ببعض - إلى اليسار حيث يحتلون بعض المواقع القيادية فى المجلات والصحف الآن.

وبعد سقوط الاتحاد السوفيتى عام ١٩٨٩ وجد الاشتراكيون أنفسهم خاصة الماركسيين العقائديين منهم فى مأزق.. وتراجع البعض تحت ضغط الإسلاميين حتى من قبل سقوط الاتحاد السوفيتى مثل عادل حسين وطارق البشرى وعبد الوهاب المسيرى.... وغيرهم والبعض الآخر مازال يعيد

حسـاباته وبعـضـهم انصـرف إلى الفن والأدب وقليل منهم يعـيـد قـراءته للمـاركـسـيـة فى ظل الظروف الراهنة. وشـريحة كبيرة منهم تعمل فى مجال حقوق الإنسان فى السنوات الأخيرة.

ويجدر بالذكر أن التيار اليسارى وقف صامدا ضد الهـجـمـة اليمينية وتبنى الأفكار المستنيرة فى الدين ورفع شـعـار فصل الدين عن الدولة. وظل العـديد من أعضائه فى مسارح الدولة حيث مازالت ترفع شعار التنوير ولهم مـجـلات مـثل "أدب ونقـد" "اليـسـار" "وجـريدة الأهالى" وغيرها من المجلات غير الدورية وقـد تحـالف حـزب التـجـمع الوحـدوى المعـارض مع الدولة ضد الإرهاب.

ويعد اليسار بفصائله المختلفة الشريحة الأكثر انفتاحا على الحداثة بما تمثله من عقلانية.

رابعا : التيار القومى العربى (١٩٠٨ - ١٩٩٨):

نشـأ وتبلور فى سـوريا ولبنان فى خضم عـمليـة انسلاخ العالم العربى عن الإمبراطورية العثمانية فى نهاية القرن ١٩ وبداية القرن العشرين. وكانت إحدى محطاته الرئيسية هو إنشاء حزب البعث العربى الاشتراكى على يد ميشيل عفلق إلا أنه قد بلغ أوج قوته على يد جمال عبد الناصر الذى رفع شعار "الأمة العربية من المحيط إلى الخليج"، خاصة فى الفترة ما بين العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ والحرب العربية الإسرائيلية فى ٥ يونيو ١٩٦٧ وكانت هزيمة ١٩٦٧ لطمة كبيرة لدعاة هذا التيار إلى أن جاءت حرب ١٩٧٣ فعززت الآمال فى إمكانية تخطى فشل ١٩٦٧، ولكن زيارة السادات إلى القدس عام

١٩٧٧ وعزل مصر عن بقية العالم العربى لمدة تزيد على عشر سنوات بسبب إبرام اتفاقية السلام الإسرائيلية المصرية وحرب الخليج الثانية ١٩٩٠ أطاحتا بكل محاولات للملمة الشمل العربى وتراجع هذا التيار إلى أدنى مستوى له ومع ذلك فإن وجود الجامعة العربية يظل رمزا أكثر منه واقعا فاعلا فى جمع كلمة العرب. ومازالت الشعوب العربية بمؤسستها الرسمية والأهلية تحن إلى الأيام الغابرة التى كان صوت عبد الناصر يجلجل فيها فى خطبه من خلال الإذاعة والتليفزيون أثناء المناسبات القومية.

وغنى عن التعريف أن القضية الفلسطينية كانت أهم عوامل توحد العرب ومازالت ومازال الحلم يداعب كثيرا من المثقفين العرب فى توحيد الكلمة ومواجهة التكتلات العالمية المختلفة وإبراز الهوية العربية والمحافظة عليها ثقافيا واقتصاديا وسياسيا.

يتفاوت موقف التيارات الأربعة من الحداثة والتراث يبدأ من الانفتاح المطلق على كل ما هو حديث عند التيار اليسارى إلى الانغلاق أمام كل ما هو حديث عند التيار الإسلامى الراديكالى. ويمكن قول الشىء نفسه بالنسبة للتراث فبينما يتشبث الإسلام الراديكالى باسم الدين بالرجوع إلى عصر الرسول والخلفاء الراشدين فى التراث الإسلامى فإن التيار اليسارى اتخذ موقفا رافضا للتراث والاستعانة بما يدعم إيديولوجيته فقط. إلا أن السنوات الأخيرة شهدت تقاربا بين بعض شرائح اليسار وشرائح اليمين مثل الإخوان المسلمين والناصريين وبعض الماركسيين وحدث حوار حول الموقف من مدى شرعية المؤسسات البرلمانية الحديثة والعلاقة بين مفهوم "الشورى"

الإسـلامى ومفـهـوم "الديمـقـراطيـة العلمـانى" ومفـهـوم "الحـزب" وقبـول "التـعـددية" السـيـاسـيـة والتـعـامـل مـع التكنولوجيـة الغـربيـة...الخ. كمـا إن جيـل الشـبـاب من الإخوان يقوم بمحاولة جريئة لدخول الحياة السياسية بروح جـديدة ممثلة فى "حـزب الوسط" الذى رفضتـه لجنة الأحزاب.

ولكن نسجل هنـا أن مـواقف هذه التـيـارات جـمـيـعـا يمكن تحـديـد قبـولهـا للحداثة من عـدمـه انطلاقـا من مـوقـفـهم من النص الدينى فى حـد ذاته ثم التـراث الثـقـافى الاجـتـمـاعى السـيـاسى بعـد ذلك والآخـر الدينى.

حاول التـيـار الليبـرالى منذ ١٩٢٤ إعمال العقل فى النص الدينى بتطبيق المناهج الحديثة كما فعل طه حسين فى كتابه "فى الشعـر الجاهلى" والاستناد إلى تفسير عقلانى. ورغم تبنى قاسم أمين لتحرير المرأة ولطفى السيد وسعد زغلول للديمـقـراطيـة ومحـمـد عبده للمصالحة بين النص الدينى والمدنية الحديثة فإن التيار الليبـرالى الذى امتد من ١٩١٩ حتى ١٩٥٢ فشل فى أن يخلق قاعدة جماهيرية وكوادر سياسية وثقافية ودينية تدافع عن هذه المكتسبات الليبرالية. فى ظل الظروف التى كـانت قـائمـة فى ذلك الوقت وظلت الليبـرالية التى جسدها حزب الوفد سياسيا خبـرة عابرة فى لقـاء المصريين مع الحـداثة مما يدل على هشاشة التجربة التى لم تلمس إلا نخبة المثقفين الضـيقـة ولم تصـمـد أمـام سطوة المؤسـسـات الدينيـة والاجتماعية والعادات والتقاليد السائدة وربما يكون أحد التفسيرات لفشل هذه التجـربة هو أنها كـانت

مبنية على الانبهار بالأفكار والتقنيات الحديثة أكثر منها على نشر القيم الحديثة وتأصيلها وربطها بالواقع المحلى للبلاد. وعلى المستوى الدينى فإن محمد عبده مثلا ورفاعة الطهطاوى كان همهما الدفاع عن الإسلام وتبريره أمام الحداثة أكثر من تأصيلهما للفكر العقلانى الإسلامى المبنى على تحليل الواقع المعاش وعلى النصوص التراثية المستنيرة. أما المرحلة الثانية (١٩٧٦ - ١٩٩٨) فمازالت تفتقر إلى العنفوان ولا يزال تأثيرها محدودا وتسير فى ركاب الليبرالية الأمريكية المتوحشة على المستوى الاقتصادى وتفتقر إلى المنظرين.

أما التيار الإسلامى وأمام سيادة النزعة التدينية لدى المصريين فلم يكن الأمر شاقا عليه فى استغلال الوازع الدينى لحشد الناس من حوله ومنذ البداية مع تأسيس جمعية الإخوان المسلمين وجدت الحركة الإسلامية نفسها فى خضم السياسة. فبعد أن كانت تدعو إلى الموعظة الحسنة والوقوف ضد الغرب المسيحى استخدمت النصوص المقدسة استخداما حرفيا يتناسب مع شعب كانت تغلب عليه الأمية (أكثر من ٩٠٪ منه). وأضحت رغم نياتها الحسنة فى ترقية الأمة والمحافظة على هويتها ألعوبة السياسيين وأحزاب الأقلية وممالأة السلطان ,وكان موقفها المتوجس من كل ما هو حديث وغربى سببا فى تعطيل الحياة الحزبية الوليدة والحياة النيابية كما ساهمت فى شق الأمة من حيث لا تدرى باستغلال الدين للتفريق بين المسلمين والمسيحيين المصريين ولم تفرق بين المستعمر الإنجليزى وأدى تمسكها القوى بالقيم

الثقافية التقليدية وشريكهما فى المواطنه المسيحى المصرى إلى إفشال على مستوى القاعدة الشعبية لكل محاولة للتحرر من الأطر الجامدة والقبلية حيث عمدت إلى تحقير الآخر الدينى "الذمى" والحط من شأنه.. مما ولد عند المسيحيين رد فعل مضادا أدى إلى انغلاقهم على أنفسهم والتمسك بموروثهم الدينى وتمجيد ماضيهم الفرعونى. وبعد أن تحالف السادات معهم منذ نهاية السبعينات وانتهج سياسة الانفتاح الاقتصادى التى جعلت من مصر سوقا كبيرا للسلع الأجنبية والحديثة والمغامرين من المستثمرين واختلط الحابل بالنابل نصب الإسلاميون بفصائلهم المختلفة أنفسهم حماة للعقيدة وأوصياء على كل مناحى الحياة فى مصر فمنهم من شرع فى أسلمة المؤسسات الحديثة والآخرون برروا استخدام ثمار الحداثة ببراهين كتابية، وسادت النزعات المتطرفة الجامدة فى تفسير النصوص وتكفير الآخر باسم الله ونفيه ووظفوا التراث الدينى اللاعقلانى الذى أنتجته عصور الظلام فى تزييف وعى المواطنين ورفضهم الجانب المضىء فيه لأنه يتعارض مع مصالحهم الشخصية... ورفضوا الحوار إلا بالمدفع لفرض آرائهم وروعوا الأبرياء بالوسائل التشريعية تارة والأمنية تارة أخرى وأجهزة الإعلام تارة ثالثة... كما كان لوعى غالبية المواطنين دور كبير فى عدم الدخول فى هذه اللعبة الجهنمية... فقد رفضوا الجيش والمدرسة والمصنع وكل المؤسسات المدنية بحجة أنها غريبة.

أما التيار اليسارى ففى بداية عهده رفض الدين برمته واعتبره عثرة أمام عملية التحديث وتبنى مقولات الصراع الطبقى ونادى بنشر الثقافة العلمية

وجند الكثيرين من الطبقة الوسطى من خلال الحلقات الدراسية وتغلغل فى النقابات العمالية واهتم بالفنون المختلفة ووظفها فى نشر الفكر الاشتراكى حتى قيام ثورة ١٩٥٢ . وظل التيار اليسارى بفصائله المختلفة يمثل الفكر المستنير فى البلاد وقد غلب على فصائله التناحر والتنابذ ومازال يمثل الجناح المستنير فى النخب المصرية ولكن أمام التيار الإسلامى يجد نفسه فى عزلة عن الجماهير وتأثيره محدود فى السنوات الأخيرة. كما أن موقفه من الدين قد تغير إذ بدأ يأخذ فى الاعتبار هذا الجانب وظهرت دراسات نقدية مستنيرة تنطلق من واقع الخطاب الدينى السائد مثل دراسات نصر حامد أبو زيد وسيد القمنى وغيرهما من المتأثرين بالنظرية الماركسية والمتابعين لعلوم اللغة الحديثة.

بالنسبة للتيار القومى العربى فإن موقفه من الحداثة منفتح إلا أنه يتأرجح بين تحديث المؤسسات السياسية والاقتصادية والتربوية وبين المحافظة على الهوية العربية.

ولنا فى الجماهيرية الليبية عبرة، والحزب الناصرى فى مصر وأحزاب البعث فى العراق وسوريا.

وفى النهاية نشير إلى أن المؤسسة العسكرية فى مصر من أكثر الجهات كفاءة فى المحافظة على اقتناء التكنولوجية الغربية نظرا للعبء الواقع على كاهل هذه المؤسسة لحماية الأمن الخارجى والداخلى. وإن كانت لا تنتمى إلى أيديولوجية معينة إلا أنها تأخذ بالحداثة فى تنظيمها وتسليحها وتدريبها وصيانتها ونظم اتصالاتها...الخ.

وفى النهاية تظل النخب العربية عاجزة عن مواصلة الحداثة بجوانبها المختلفة وغالبا تكون مستهلكة لها وغير مشاركة فيها هذا إلى جانب عزلة الشعب عن نخبه.

والسؤال المطروح هو: كيف نعيش الحداثة انطلاقا من موقفنا كيسوعيين ننتمى إلى جمهورية مصر العربية ونعمل فى مجال التربية والعمل العام دون أن يكون هناك تناقض بين الانتماءات المختلفة؟

أولا: إن الرهبنة اليسوعية بطبيعتها جسم منفتح ومتفتح على ثقافات مختلفة وأديان مختلفة. والروحانية اليسوعية روحانية تعتمد على التمييز الروحى والعقلى أيضا للقيام بأى عمل كان فى أى مجال.

ثانيا: بناء على ما سبق فى عملنا من القرار ٣٢ الذى عقد فى عام ١٩٧٤ والذى ينص على أن "ترقية الإيمان مرتبط جذريا بترقية العدالة" فى المجتمعات التى يعيش فيها اليسوعيون.

ثالثا: وبناء على ما سبق فإننا نجد فى تيارات لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية قاعدة مهمة تغذى صلاتنا ونشاطنا من منطلق البحث عن العدالة عن طريق التربية سواء فى المدارس التى نعمل بها أو خارجها من خلال العمل مع من ينادون بالعدالة واحترام كرامة الإنسان.

رابعا: نستخدم كل الوسائل الممكنة معنويا وماديا للمساهمة فى خلق تيار وطنى يربط بطريقة جدلية بين الممارسة النظرية والممارسة العملية على قاعدة

الإيمان بأن محبة الله تتجسد فى التاريخ عبر محبة الإنسان لأخيه الإنسان خاصة الإنسان الفقير بعيدا عن كل تفرقة بروح العدالة والمساواة والاحترام الكامل. والوسائل المستخدمة فى ذلك:

أ- تحليل الواقع والرد على التحديات والتساؤلات التى تنبع من هذا الواقع ومن العالم المعاصر.

ب- الانفتاح على النماذج الإسلامية المسيحية التى تعمل فى نفس الاتجاه المذكور بروح الانتماء للوطن وإعلاء قيمة الإنسان والتحرر من التصورات والطقوس الدينية والعادات والتقاليد الخاطئة والتمسك بكل ما هو مضىء فى تراثنا الإسلامى والمسيحى.

ج- يمكننا أن نذكر على سبيل المثال لا الحصر أربعة نماذج تسير فى هذا الاتجاه ونتعاون معها.

١) نموذج د. أحمد عبد الله: مدير مركز الجيل بعين الصيرة حيث يجمع بين التأصيل النظرى للواقع والالتزام العملى بالأطفال والعمال والعاملات (المستوى السياسى /الاجتماعى).

٢) نموذج د. صلاح عرفه : الأستاذ بالجامعة الأمريكية لمادة العلوم والذى أسس جمعية البسايسة بالزقازيق للتنمية فى الوادى وفى البسايسة الجديدة برأس سدر (المستوى الاقتصادى).

٣) نموذج د. إبراهيم أبو العيش: وعاش فى ألمانيا عشرين سنة ثم رجع إلى البلاد منذ نحو عشر سنوات وأسس "جمعية التنمية الحضرية" وهو نموذج الرأسمالية الوطنية العصرية ولديه مدرسة نموذجية لأولاد العمال فى بلبيس.

٤) نموذج د. حسن الجريتلى : مؤسس "فرقة

الورشـة" المسـرحيـة. إذ بعـد عـدة دراسات طويلة فى فرنسـا وإنجلترا للمسرح الحديث وممارسته ١٥ عـامـا رجع إلى مصـر واختار التراث الشعبى ليصل التراث المسـرحى بالحـداثة.. ويوظف الفن لخدمـة الانتمـاء وتوحيد ضمير الأمة.

وفى الختام :

أرى ضـرورة ربط تـلاميـذ مـدارسنا وخـريجـينا وحـركتنا الرسولية بهذه النماذج وغيرها لتساهم فى بناء بـلادنا بروح السـلام والعـدالة. كمـا علينا أن نمد يدنا إلى كل الجمعيات والمؤسسات الأهليـة العاملة فى مجـال حقـوق الإنسـان والحقل الاجتمـاعى والتنميـة وعلينا أن نسـاهم فى خلق كوادر مسيحية إسـلاميـة مسـتنيرة مـؤمنة قـادرة على اختـراق حجب الاتكالية والقـوى الظلامـيـة الموجـودة فـينا ومن حـولنا لصنع مجتمع العدالة والمحبة.

الجزء الرابـــع

ملاحــق

١- وثائق عمل حول التأقلم الثقافى.

٢ - النصوص المرجعية للعدالة والسلام.

٣ - رسـالة من البـابا بولس السـادس إلى الرئيس السـادات : حـول القـضـيـة الفلسطينيـة بتـاريخ ١٩٧٦/٨/٤ .

٤ - المسئولية الدولية حول القضية الفلسطينية ١٩٤٩ سيان اليسوعى.

٥ - "أورشـليـم الـرمــــــز الحـب لإرادة الـلـه". ١٩٨٦/٣٦/٢,

٦- "فى القـدس جعل يسوع من الشعبين شعـبا واحـدا" ١٩٨٤/٢٠/٤,

٧ - سلام يعمق الحلول لجميع جوانب النزاع - رسالة إلى سفير جمهورية مصر العربية ١٩٨٠/١٠/١١

الملحق الأول

وثائـــق عمـــل حول مضمون التأقلم الثقافى للكنيسة الكاثوليكية فى مصر

- المجمع الفاتيكانى الثانى
- سلامة موسى
- د. زكى نجيب محمود
- د. طه حسين
- أبو الوليد محمد أحمد ابن رشد
- انجيل متى ٥ / ٢٠ـ٤٥

انطلاق الثقافة

تعريف الثقافة:

يختص الشخص البشرى بأنه لا يصل إلى منال الإنسانية الحقيقية إلا بالثقافة أى بإنماء مواهب الطبيعة وقواها. وكلما عالجنا موضوع الحياة الإنسانية وجدنا أن بعن الطبيعة والثقافة صلة وثيقة.

ولفظة "ثقافة" بمعناها الواسع تعنى كل ما يصقل به الإنسان وينمى طاقات نفسه وجسده المختلفة وما يعمل به لإخضاع الكون لسلطانه عن طريق المعرفة والعمل وما يعمل به فى العيلة وفى مجمل الحياة المدنية على جعل الحياة الإجتماعية أكثر إنسانية وذلك بفضل تقدم الأخلاق والمؤسسات التشريعية وما يعبر به أخيرا وينشره ويحفظه فى مؤلفاته على مر الأزمنة من اختباراته الروحية الكبيرة وتطلعاته العظيمة مما يهدف إلى تقدم الكثيرين بل إلى تقدم الجنس البشرى كله.

يتبع ذلك أن للثقافة الإنسانية وجها ملازما لها هو الوجه التاريخى والاجتماعى وأن اللفظة "ثقافة" كثيرا ما تنحو فى معناها النحو الاجتماعى والأثنولوجى. بهذا المعنى يمكن ألتحدث عن تعدد الثقافات. فمن

الطرائق المختلفة التى تستعمل بها الأشياء ويعمل ويعبر وتمارس الديانة وتهذب الأخلاق وتسن الشرائع والأنظمة القانونية وتطور العلوم والفنون ويعالج الجمال من هذا كله تتولد أنماط للعيش مختلفة وصور مختلفة للقيم التى تقوم بها الحياة وهكذا فمن العادات الموروثة يتكون التراث أيا كان عرقه وآيا كان عصره ويستقى منها المقومات التى تساعد على دفع الحضارة إلى الأمام.

سلامة موسى " ما هى النهضة"؟

الثقافة تؤدى إلى الحضارة

أحسن ما يقال فى إيضاح الفرق بين الثقافة والحضارة هو أن الثقافة هى ما نتكون به والحضارة هى ما نعمل به.

الثقافة علوم وفنون وفلسفات وعادات وتقاليد واتجاهات تكسبنا جميعا مزاجا معينا نتجه به فى سيرتنا ومعاشنا ونؤسس بها مجتمعا يتفق ومبادئ هذه المعارف ولا يتنافر معها. أما الحضارة فهى ما نعمل به من أدوات سواء أكانت هذه الأدوات حسية مثل آنية الطبخ أو مواد بناء أو آلات أو مصنوعات أم كانت معنوية مثل المؤسسات الاجتماعية المختلفة كالحكومة والمجلس النيابى والمجلس البلدى ونظام الإدارة وجباية الضرائب ونحو ذلك.

والثقافة تسبق الحضارة وتؤدى إليها لأنها هى بمثابة الفكرة والحضارة بمثابة المادة وتلك هى القاعدة السيكولوجية التى نسلم بها جميعا وهى أن التعرف يؤدى إلى التأثر والتأثر يؤدى إلى التحرك

هذه القاعدة تنطبق أيضا على الثقافة والحضارة. فنحن نتأثر بالأشياء ثم نتأثر بهذا التعرف فنتحرك به إلى عمل ما. وهذا العمل قد يكون اختراع آلة أو اكتشاف عقار أو إيجاد نظام. وهذه هى الحضارة ويمكن أن نقول إن الحضارة الصناعية القائمة التى تمثل فى المصانع الكبرى للنسيج أو لمركبات النقل، أو للبواخر والبوارج أو للطائرات، هذه المصانع إنما هى الثقافة الرياضية والفيزيائية قد تجمعت فى حضارة الآلات والحديد والفولاذ. ولا يمكن لأمة أن تعيش فى حضارة صناعية ما لم تحذق الثقافة العلمية التى أدت إليها. وهى إذا أهملت هذه الثقافة العلمية فإنها سرعان ما تعود إلى الحضارة الزراعية التى تنتكس إليها كل أمة حين تتقهقر ثقافتها.

وكل تحرك اجتماعى يحتاج إلى تحرك ثقافى وليس هناك غير الأمم الزراعية التى تستطيع أن تعيش على ثقافة راكدة لا تتحرك ولا تتباين ولا تتنوع. لأن المجتمع المتحرك يحتاج إلى ثقافة متحركة متباينة متنوعة. ومن هذا ضرورة الانقلاب الثقافى لإيجاد انقلاب فى الحضارة. وهذا هو ما فعلته الصين واليابان وتركيا وإيران فإنها حين أرادت أن تأخذ بالحضارة العصرية أى حضارة الصناعات والآلات اضطرت إلى أن تأخذ قبل ذلك بثقافة العلوم العصرية. وليس من المستطاع أن تأخذ أمة بالحضارة العصرية إذا كانت تعيش على ثقافة قديمة لم تستطع فى تاريخها الماضى إلا أن تثمر الحضارة الزراعية فقط لأن كل حضارة تحتاج إلى ثقافة تنشئها ثم تفسرها وتلائمها وتماشيها. وإلا حدث التزعزع الاجتماعى الذى ينشأ من التنافر بين وسط حضارى جديد ووسط ثقافى قديم وأقل النتائج التى

يثمرها هذا التنافر أن الفرد الذى يعيش فيه ويعانيه لا يؤمن بتقاليده وعقائده وتراث آبائه من أخلاق. ثم هو مع ذلك لم يتهيأ بثقافة جديدة تزوده بميزات جديدة من العقائد والأخلاق وهو هنا يعيش بلا ضمير.

طه حسين

"مستقبل الثقافة فى مصر"

وأنا من أجل هذا مؤمن بأن مصر الجديدة لن تبتكر ابتكارا ولن تخترع اختراعا ولن تقوم إلا على مصر القديمة الخالدة لأن مستقبل الثقافة فى مصر لن يكون إلا امتدادا صالحا راقيا ممتازا لحاضرها المتواضع المتهالك الضعيف.

ومن أجل هذا لا أحب أن نفكر فى مستقبل الثقافة فى مصر إلا على ضوء ماضيها البعيد وحاضرها القريب لأننا لا نريد ولا نستطيع أن نقطع ما بيننا وبين ماضينا وحاضرنا من صلة. وبمقدار ما نقيم حياتنا المستقبلة على حياتنا الماضية والحاضرة نجنب أنفسنا كثيرا من الأخطار التى تنشأ عن الشطط وسوء التقدير والاستسلام للأوهام والاسترسال مع الأحلام.

ولكن المسألة الخطيرة حقا والتى لابد من أن نجليها لأنفسنا تجلية تزيل عنها كل شك وتعصمها من كل لبس وتبرئها من كل ريب هى أن نعرف : أمصر من الشرق أم من الغرب؟ وأنا لا أريد بالطبع الشرق الجغرافى والغرب الجغرافى وإنما أريد الشرق الثقافى والغرب الثقافى فقد يظهر أن فى الأرض نوعين من الثقافة يختلفان أشد الاختلاف ويتصل بينهما صراع بغيض.

د. زكى نجيب محمود

"تجديد الفكر العربى"

متى يعيش الإنسان ثقافته؟ ومتى يكون لها كيان مستقل بذاته قائم برأسه ولا شأن له بحياة الإنسان كما يحياها كل يوم؟ إن سؤالا لبفرض نفسه علينا قبل هذا السؤال وهو : ماذا تعنى بالثقافة؟ لقد كثر طرح هذا السؤال وتنوعت الإجابات حتى أصبح موضوعا تمجه النفس ولذلك فلست أنوى الوقوف عنده لا طويلا ولا قصيرا وسأترك للقارئ حرية كاملة فى أن يفهم من الكلمة ما شاء لأن ما سوف أرتبه على مفهومها لا أظنه يتغير بتغير ذلك المفهوم فلنفهم الثقافة على أنها طريقة العيش فى شتى نواحيه أو على آنها مجموعة القيم التى توجه الإنسان وتسيره وتقدم له المعايير التى يوازن بها بين الأشياء والمواقف ليختار أو لنفهمها على مجموعة العلوم والمعارف وأحكام العرف والتقليد أو لنقصرها على ما يتصل بالذوق وحده - دون العقل - من أدب وفن فذلك كله لن يؤثر فى الفرق بين أن تكون الثقافة - بأى معنى أخذتها - سارية فى جسم الحياة العملية سريان الزيت فى الزيتونة كما يقال وبين أن تجعلها موضوعا للدراسة العلمية النظرية التى لا تمس حياتك العملية فى كثير أو قليل.

العهد القديم والعهد الجديد

"فإنى أقول لكم : إن لم يزد بركم على بر الكتبة والفريسيين لا تدخلوا ملكوت السموات".

سمعتم أنه قيل للأولين : "لا تقتل فإن من يقتل

يستوجب حكم القضاء" أما أنا فأقول لكم : من غضب على أخيه استوجب حكم القضاء ومن قال لأخيه "يا أحمق" استوجب حكم المجلس ومن قال له "يا جاهل" استوجب نار جهنم. فإذا كنت تقرب قربانك إلى المذبح وذكرت هناك أن لأخيك عليك شيئا فدع قربانك هناك عند المذبح وأذهب أولا فصالح أخاك ثم عد فقرب قربانك سارع إلى إرضاء خصمك مادمت معه فى الطريق لئلا يسلمك الخصم إلى القاضى والقاضى إلى الشرطى فتلقى فى السجن الحق أقول لك: لن تخرج منه حتى تؤدى آخر فلس.

وسمعتم أنه قيل : "لاتزن" أما أنا فأقول لكم : من نظر إلى آمرة بشهوة زنى بها فى قلبه فإذا كانت عينك اليمنى سبب عثرة لك فاقلعها وألقها عنك فلأن يهلك عضو من أعضائك خير لك من أن يلقى جسدك كله فى جهنم. وإذا كانت يدك اليمنى سبب عثرة لك فاقطعها والقها عنك فلأن يهلك عضو من أعضائك خير لك من أن يذهب جسدك كله إلى جهنم.

وقد قيل : " من طلق امرأته فليعطها كتاب طلاق" أما أنا فأقول لكم : من طلق امرأته إلا فى حالة الفحشاء عرضها للزنى ومن تزوج مطلقة فقد زنى.

سمعتم أيضا أنه قيل للأولين : "لا تحنث بل أوف للرب بأيمانك" أما أنا فأقول لكم : لا تحلفوا أبدا لا بالسماء فهى عرش الله ولا بالأرض فهى موطئ قدميه ولا بأورشليم فهى مدينة الملك العظيم ولا تحلف برأسك فأنت لا تقدر أن تجعل شعرة واحدة منه بيضاء أو سوداء فليكن كلامكم : نعم نعم ولا لا فما زاد على ذلك كان من الشرير.

"سمعتم أنه قيل :"العين بالعين والسن بالسن" أما

أنا فأقول لكم: لا تقاوموا الشرير بل من لطمك على خدك الأيمن فاعرض له الآخر من أراد أن يحاكمك ليأخذ قميصك فاترك له رداءك أيضا ومن سخرك أن تسير معه ميلا واحدا فسر معه ميلين من سألك فأعطه ومن استقرضك فلا تعرض عنه.

"سمعتم أنه قيل :"أحبب قريبك وأبغض عدوك" أما أنا فأقول لكم:" أحبوا أعداءكم وصلوا من أجل مضطهديكم لتصيروا بنى أبيكم الذى فى السموات لأنه يطلع شمسه على الأشرار والأخيار وينزل المطر على الأبرار والفجار فإن أحببتم من يحبكم فأى أجر لكم أوليس العشارون يفعلون ذلك وإن سلمتم على إخوانكم وحدهم فأى زيادة فعلتم أوليس الوثنيون يفعلون ذلك فكونوا أنتم كاملين كما أن أباكم السماوى كامل.

الكنيسة فى عالم اليوم

المجمع الفاتيكانى الثانى

انجيل المسيح والثقافة الإنسانية

إن إنجيل المسيح يجدد حياة الإنسان الساقط وثقافته تجديدا متواصلا ويحارب الأضاليل ويبعد الشرور التى تتبع إغراءات الخطيئة الدائمة وهو يطهر أبدا أخلاق الشعوب ويرقى بها إلى فوق وكأنى به يخصب من الداخل وبخيرات العلاء مناقب النفس ومميزات كل شعب وكل جيل ويقويها ويكملها ويجددها فى المسيح. وهكذا تسهم الكنيسة بمجرد ما تقوم برسالتها فى البناء الإنسانى والحضارى وتحرض عليه كما تسهم بعملها حتى الليترجى منه فى خلق الحرية الداخلية عند الإنسان.

الكنائس الشرقية الكاثوليكية:

وليعلم جميع الشرقيين يقينا أنهم يحق لهم بل يجب عليهم أن يحتفظوا على الدوام بطقوسهم الشرعية ونظامهم الكنسى وألا يدخل من التغيير عليها إلا ما تقضى به سنة النمو الذاتى العضوى، فعلى الشرقيين أذن أن يحافظوا هم أنفسهم على ذلك كله بكل أمانة وأن يزيدوا به معرفة أبلغ وبممارسته كمالا أوفر وإذا كانت ظروف الزمان وأحوال الناس قد اضطرتهم إلى الانحراف عنه فليفرغوا كنانة الجهد فى العودة إلى تقاليد آبائهم. وأما الذين تدعوهم وظيفتهم أو رسالتهم إلى الاتصال المتواتر بالكنائس الشرقية أو بأبنائها فيجب عليهم بحكم أهمية المهنة التى يضطلعون بها أن يثقفوا تثقيفا دقيقا فى معرفة ما يختص بالشرقيين من طقوس وأنظمة وتعاليم وميزات خاصة وتقديره حق قدره ويطلب بإلحاح من الرهبانيات والجمعيات اللاتينية التى تعمل فى بلدان الشرق أو بين المؤمنين الشرقيين أن تنشئ لها وسع طاقتها فى سبيل المزيد من فعالية العمل الرسولى أديرة أو أقاليم أيضا على الطقس الشرقى.

علاقة الكنيسة بالإسلام

"الدين الإسلامى"

وتنظر الكنيسة أيضا بتقدير إلى المسلمين الذين يعبدون الله الواحد الحى القيوم الرحمن القدير الذى خلق السماء والأرض وكلم الناس أنهم يسعون بكل نفوسهم إلى التسليم بأحكام الله وإن خفيت مقاصده

كـمـا سلم لله إبراهيم الذى يفـخـر الدين الإسـلامى بالانتسـاب إليه وإنهم على كـونهم لا يعترفـون بيسوع إلها يكرمونه نبيا ويكرمون أمه العذراء مريم مبتهلين إليها أحيانا بإيمان. ثم إنهم ينتظرون يوم الدين الذى يجازى الله فيه جميع الناس بعد ما يبعثون أحياء من أجل هذا يقدرون الحياة الأدبية ويعبدون الله بالصلاة والصدقة والصوم خصوصا.

ولئن كـان قـد وقـع فى غـضـون الزمن كـثـيـر من المنازعـات والعـدوات بين المسيحيين والمسلمين فإن المجمع يحرضهم على نسيان الماضى والعمل باجتهاد صادق فى سبيل التفـاهم فى مـا بينهم وأن يحـموا ويعـززوا كلهـم مـعـا من أجل جـمـيع الناس العـدالة الاجتماعية والقيم الروحية والسلام والحرية.

حق الجميع فى الثقافة

بما أنه أصبح اليوم فى المكنة تحرير أكـثـر الناس من آفـة الجـهل فـالواجب الأجـدر بهـذا العـصـر وخصوصا بالمسيحيين فيه أن يعمل فى غير تلكؤ سواء فى حقل الاقتصاد أو فى حقل السياسة وسواء فى الحـقل الوطنى أو فى الحـقل الدولى على اتخـاذ القرارات الأساسية التى يجرى الاعتراف فيها قولا وعـمـلا وفى كل مكان بحق الجـمـيع فى الثـقـافـة الإنسـانيـة والحضارية اللائقة بكرامـة الشـخص البشرى فى غير تمييز فى العرق أو الجنس أو الأمة أو الدين أو الوضع الاجتماعى. فيجب إذن أن يوفر لكل إنسان الكفاف من الغذاء الثقافى ولا سيما ذاك الذى يدعى ثقافة أساسية بحيث لا يحرم الكثيرون

بسبب الأمية والتلكؤ الإسهام فى الخير العام بطريقة إنسانية حقيقية.

ويجب بالإضافة إلى ذلك العمل على أن يعى الجميع ما لهم من حق فى الثقافة ومن واجب فى تطلبها وفى حمل الآخرين على السعى إليها وإن هنالك فى الحياة والعمل أوضاعا تعترض انطلاقة البشر فى طريق الثقافة وتفقدهم الرغبة فيها وهذا شأن الفلاحين والعمال بنوع خاص فيجب أن توفر لهم أوضاع عمل لا تقطع طريق تحصيلهم الثقافى بل تشجع عليه والنساء يعملن اليوم فى جميع حقول الحياة تقريبا فمن الجدير بهن أن يقمن بدورهن قياما كاملا وفاقا لطبيعتهن الخاصة وعلى الجميع أن يعترفوا باشتراك النساء الخاص والضرورى فى الحياة الثقافية وأن يكونوا من المشجعين فهذا الاشتراك.

التنسيق بين الثقافة الإنسانية والمؤسسة المسيحية الكنيسة فى عالم اليوم

وليحرص أرباب التعليم الرعوى على ألا يقتصروا فى معارفهم على المبادئ اللاهوتية بل تمتد إلى مكتشفات العلوم المدنية ولا سيما النفسية والاجتماعية منها ليعملوا على استخدامها والإفادة منها وهكذا يصل المؤمن إلى حياة إيمان صفاء ونضجا. والآداب والفنون فى أساليبها الخاصة ذات أهمية كبيرة لحياة الكنيسة فهى تعمل على التعبير عن طبيعة الإنسان الخاصة وعن قضاياه وعن الجهد الذى يبذله لمعرفة ذاته ومعرفة العالم والسير بذاته

وبالعالم إلى الكمال وهى تعمل على اكتشاف محل لها فى التاريخ وفى العالم وعلى الكشف عن مآسى الناس وأفراحهم عن حاجاتهم وطاقاتهم وعلى وضع الخطوط الأولى لمصير إنسانى أفضل وهكذا تتمكن من الرقى بالحياة الإنسانية التى تعبر عنها بطرائق تختلف باختلاف الأزمنة والأمكنة.

فليعش المؤمنون متحدين بأبناء عصرهم اتحادا وثيقا جدا وليحاولوا أن يتفهموا تفهما كاملا طرائق تفكيرهم وشعورهم التى تنطق فى ثقافتهم وليجمعوا ما بين معطيات العلوم والنظريات الجديدة ومعطيات أحدث الاكتشافات أيضا وأخلاق العقيدة المسيحية وتعاليمها حتى ترافق لديهم الشعائر الدينية والاستقامة النفسية المعرفة العلمية وتقدم الفنون التقنية المتواصلة وهكذا يستطيعون أن يقدروا كل شئ.

فصل المقال فيما بين التشريع والحكمة من اتصال علوم غير المسلمين وحكمه!

وليس لقائل أن يقول:" إن هذا النوع من النظر فى القياس العقلى بدعة إذ لم يكن فى الصدر الأول". فإن النظر أيضا فى القياس الفقهى وأنواعه هو شىء استنبط بعد الصدر الأول وليس يرى أنه بدعة فكذلك يجب أن نعتقد فى النظر فى القياس العقلى ولهذا سبب ليس هذا موضع ذكره. بل أكثر أصحاب هذه الملة مثبتون القياس العقلى إلا طائفة من الحشوية قليلة وهم محجوجون بالنصوص.

وإذا تقرر أنه يجب بالشرع النظر فى القياس العقلى وأنواعه كما يجب النظر فى القياس الفقهى

فبين أنه أن كان لم يتقدم أحد ممن قبلنا يفحص عن القياس العقلى وأنواعه أنه يجب علينا أن نبتدئ بالفحص عنه وأن يستعين فى ذلك المتأخر بالمتقدم حتى تكمل المعرفة به فإنه عسير أو غير ممكن أن يقف واحد من الناس من تلقائه وابتداء على جميع ما يحتاج إليه من ذلك كما أنه عسير أن يستنبط واحد جميع ما يحتاج إليه من معرفة أنواع القياس الفقهى بل معرفة القياس العقلى أحرى بذلك وأن كان غيرنا قد فحص عن ذلك.

فبين أنه يجب علينا أن نستعين على ما نحن بسبيله لما قاله من تقدمنا فى ذلك وسواء كان ذلك الغير مشاركا لنا أو غير مشارك فى الملة فإن الآلة التى تصح بها التذكية ليس يعتبر فى صحة التذكية بها كونها آلة لمشارك لنا فى الملة أو غير مشارك إذا كانت فيها شروط الصحة. وأعنى بغير المشارك من نظر فى هذه الأشياء من القدماء قبل ملة الإسلام. وإذا كان الأمر هكذا وكان كل ما يحتاج إليه من النظر فى أمر المقاييس العقلية قد فحص عنه القدماء أتم فحص فقد ينبغى أن نضرب بأيدينا إلى كتبهم فننظر فيما قالوه من ذلك: فإن كان كله صوابا قبلناه منهم وإن كان فيه ما ليس بصواب نبهنا عليه.

فإذا فرغنا من هذا الجنس من النظر وحصلت عندنا الآلات التى بها نقدر على الاعتبار فى الموجودات ودلالة الصنعة فيها فإن من لا يعرف الصنعة لا يعرف المصنوع ومن لا يعرف المصنوع لا يعرف الصانع فقد يجب أن نشرع فى الفحص عن الموجودات على الترتيب والنحو الذى استفدناه من صناعة المعرفة بالمقاييس البرهانية.

ليس بالعجيب فى هذه الأحوال وقد لمس الإنسان ما له من يد فى تقدم الثقافة أن يغذى أملا أكثر طموحا ولكنه يواجه أيضا بنفس قلقة كثرة من التناقضات لا بد له من حلها.

ماذا يجب عمله لكى يقود تعدد التبادلات الثقافية إلى حوار حقيقى ومثمر بين الجماعات والأمم المختلفة ولا يكون عامل اضطراب فى حياتها ولكيلا ينقص حكمة الأجداد ويغرر بالعبقرية التى يتميز بها كل شعب.

كيف تشجع دينامية الثقافة الجديدة؟ وكيف يشجع انتشارها من غير أن تنقض الأمانة الحية على التراث والتقاليد؟ وهذه المسألة تطرح بطريقة ملحة عند محاولة التنسيق ما بين الثقافة المجتناة من تقدم العلوم والفنون التقنية العظيمة والثقافة التى تتغذى بالدروس الكلاسيكية المطابقة لشتى التقاليد.

كيف يكون من الممكن أن يتفق التمزق السريع والشديد فى أنظمة التخصص مع الحاجة إلى ربط بعضها ببعض وتنسيقها فى مسلسلات متماسكة ومع ضرورة الحفاظ على ما عند البشر من طاقات تأمل وإعجاب تقود إلى الحكمة؟

ماذا يجب عمله لكى يصبح جميع الناس فى العالم شركاء فى منافع الثقافة فى حين لا تزال النخبة من الناس فى تصاعد وتعقد مستمرين؟

كيف يمكن أخيرا الاعتراف بشرعية الاستقلال الذاتى التى تدعيها الثقافة لنفسها من غير أن يقود ذلك إلى إنسانوية محض أرضية وربما معادية للديانة نفسها؟

يجب أن تنمو الثقافة البشرية اليوم فى وسط هذه التناقضات بحيث يتألق الشخص الإنسانى كاملا وبطريقة متسقة وبحيث يجد الناس عونا لهم للقيام بالواجبات التى ألقيت عليهم جميعا ولا سيما المسيحيين المتحدين أخويا فى الأسرة الإنسانية الواحدة.

الملحق الثانى

النصوص المرجعية للجنة
العدالة والسلام البابوية

الرؤية والهوية

نورد هنا النص المؤسس للجنة العدالة والسلام البابوية والذى نبعت منه لجنة العدالة والسلام المصرية. فقد جاء فى الرسالة العامة البابوية "فى تقدم الشعوب" التى صدرت فى ٢٦ مارس ١٩٦٧ وهو العام الرابع لحبرية البابا بولس السادس النص التأسيسى الآتى فى رقم ٥ من الرسالة المذكورة،

(رغبة منا فى تلبية نداء المجمع الفاتيكانى الثانى، وحتى نبين جليا مساندة الكرسى الرسولى لقضية الشعوب النامية رأينا أن من واجبنا أن ننشئ بين المؤسسات المركزية الكنسية لجنة جديدة تضطلع بمسئولية إذكاء وعى شعب الله بأسره بالدور الذى تتطلبه منه الأزمنة الراهنة تقدم تلك الشعوب الفقيرة وتنمو العدالة الاجتماعية بين الأمم وتساعد الشعوب النامية منها فيتحقق لها بذلك الاكتفاء الذاتى فى تقدمها وقد اتخذنا لهذه اللجنة منهجا وشعارا هو "عدالة وسلام" ولا شك أن فى وسع هذا الشعار بل من الواجب أن يكون بمثابة محور يتجمع حوله الناس ذوو الإرادة الصالحة مع أبنائنا الكاثوليك وإخوتنا المسيحيين. لذلك نوجه اليوم هذا النداء إلى جميع

الناس فنهيب بهم القيام بعمل مشترك من أجل تنمية كل فرد بصورة كاملة ومن أجل التقدم المتضامن للإنسانية).

يتضح من النص السابق أن لجنة العدالة والسلام نشأت بسبب استشعار الكنيسة الكاثوليكية لخطورة الموقف الاجتماعى ولإحساسها بأهمية دور المسيحيين فى المجتمعات الذين يعيشون فيها نحو الفقراء خاصة فى دول العالم الثالث، وثانيا: فإن هذه اللجنة منفتحة على غير الكاثوليك فى جوهرها ومنذ نشأتها كما جاء فى عبارات "ذوى الإرادة الصالحة". هذا النداء إلى جميع الناس.." ذلك لأن العدالة والسلام مطلب يهم جميع الناس. ونظرا لأهمية هذه الرسالة "فى تقدم الشعوب" للجنة العدالة والسلام المصرية وسوف نعطى ملخصا موجزا عنها فيما يلى:

فى تقدم الشعوب وارتقائها

تتكون الرسالة من مقدمة عنوانها: "المشكلة الاجتماعية أصبحت اليوم مشكلة عالمية" (من رقم ١ : رقم٥). وجزأين. الأول عنوانه... "نحو تقدم إنسان كامل (من رقم ٦ : رقم ٤٢) والجزء الثانى عنوانه ... نحو تقدم متضامن للإنسانية" ويبدأ من (رقم ٤٣ : رقم ٧٥) ثم خاتمة عنوانها "التقدم هو شعار جديد للسلام" من (رقم ٧٦ : ٨٧).

أما المقدمة من (رقم ١ : رقم ٥) فتتحدث عن ضرورة مساهمة الكنيسة فى العمل على تقدم الشعوب الفقيرة مستندة إلى التعاليم البابوية السابقة "الأمور الجديدة للاون الثالث عشر" العام الأربعون "

لبيوس الحادى عشر" "وأم ومعلمة" و "على الأرض السلام" ليوحنا الثالث والعشرين والخطب الإذاعية لبيوس الثانى عشر إلى جميع الأمم. وتنتهى المقدمة بإعلان تأسيس لجنة العدالة والسلام البابوية.

أما الجزء الأول من الرسالة فيركز على أمانى البشر فى التحرر والحصول على الحد الأدنى للمعيشة الكريمة (فقرة ٦) والتخلص من الآثار السلبية للاستعمار (فقرة ٧) مراعاة التفاوت الصارخ فى مستوى المعيشة بسبب اختلال العلاقات الاقتصادية بين الدول الغنية والفقيرة (فقرة ٨)، مشيرا إلى تزايد وعى الطبقات الفقيرة بحقوقها على مستوى العالم (فقرة ٩) والصراع الذى نشأ بين الحضارات التقليدية والصناعية بسبب تغير أنماط المعيشة نتيجة الثورة الصناعية كما يبرز دور الكنيسة الرسولى فى المساهمة فى تقدم الشعوب المختلفة (فقرة ١٢) ويميّز بين الواجب الشخصى والواجب الجماعى للمسيحيين فى النمو المؤسس على الله "الحق الأول والخير الأسمى". ويحث على ضرورة الانطلاق من القيم الأخلاقية فى ممارسة أى عمل (فقرة ١٨). وتتطرق الرسالة إلى الملكية (رقم ٢٣)، والتصنيع (رقم ٢٥)، والرأسمالية الحرة (رقم ٢٦) والقيمة الروحية للعمل: "ينمى الضمير الدينى ومسئولية الواجب ومحبة القريب" (فقرة ٢٨). كما تشير الرسالة إلى تفشى العنف (رقم ٣٠) وتنتقد المفهوم التقليدى للثورة (رقم٣١) وتطالب بأن تكون البرامج والخطط الاقتصادية والسياسية والاجتماعية فى خدمة الإنسان لا العكس (رقم ٣٤) وتطرق إلى ضرورة معالجة الأمية (رقم ٣٥) والاهتمام بالأسرة

(رقم ٣٦) واستخدام الوسائل الطبيعية فى تنظيم الأسرة لمعالجة قضية زيادة السكان. (رقم ٣٧) ودور المنظمات المهنية (رقم ٣٨) واحترام التعددية (رقم ٣٩) والعمل على ارتقاء الثقافة (رقم ٤٠) ويختم هذا الجزء قوله "لا وجود لإنسانية حقيقية ما لم تهدف إلى الله الأسمى وتعترف بالدعوة الإلهية التى تعطى صورة حقيقية للحياة البشرية" (رقم ٤٢).

أما الجزء الثانى من الرسالة فيركز على أن التقدم يجب أن يكون تضامنيا أى يشمل كل البشر (رقم ٤٣). وأن الأخوة الشاملة بين الشعوب المختلفة هى منطلق كل تقدم (رقم ٤٤) وإعانة الضعفاء واجب ضرورى على الأغنياء نحو الفقراء (رقم ٤٥). كما ينتقد الفائض المهدر فى الدول الغنية (رقم ٤٩) ويدعو إلى إنشاء صندوق دولى يخصص لمساعدة الدول الفقيرة (رقم ٥١: رقم ٥٣). ويدعو إلى تدعيم الحوار بين الشعوب (رقم ٥٤) كما تتطرق الرسالة إلى العدالة فى العلاقات التجارية وإصلاح الخلل فى العلاقات بين الدول الغنية والفقيرة (رقم ٥٧) وينتقد "المذهب الرأسمالى الحر (رقم ٥٨) وتدعو الرسالة إلى التغلب على "التعصب الوطنى (رقم ٦٢) والعنصرية (رقم ٦٣) كما تدعو الشعوب الفقيرة إلى أن تقرر مصيرها بنفسها (رقم ٦٥) وتدعو الرسالة إلى أن تكون المحبة المسيحية شاملة للجميع (رقم ٦٦). وتلفت النظر إلى المشاكل التى يعانى منها الطلبة المغتربين (رقم ٦٨) والعمال المهاجرين (رقم ٦٩).

وتختتم الرسالة بطرح "التقدم شعار جديد للسلام العالمى" وبنداء موجه للكاثوليك بصفة خاصة (رقم ٨١) وإلى كل المسيحيين والمؤمنين (رقم٨٢) وذوى الإرادة

الصالحة (رقم ٨٢) وإلى الحكام (رقم ٨٤) والحكماء (رقم٨٥) وذلك " ليصغوا إلى نداء الشعوب المتألمة وأن يقيموا العدالة على تقدم البشرية وارتقائها".

هذا هو ملخص سريع لمضمون الرسالة البابوية فى تقدم الشعوب وارتقائها، "التى جاء فى مقدمتها إعلان تأسيس لجنة العدالة والسلام البابوية والتى استلهمت منها اللجان الإقليمية والمحلية التوجهات الجوهرية لهويتها وأهدافها.

❖ توجد رسالة أخرى لا تقل أهمية عن الأولى وهى:

رسالة قداسة البابا يوحنا بولس السادس فى ١٤ مايو ١٩٧١ "الذكرى الثمانون" (١٨٩١ - ١٩٧١) على رسالة "الأمور الجديدة" فى شئون العمال لقداسة البابا لاون الثالث عشر إلى الكاردينال "موريس روا" رئيس مجلس العلمانيين واللجنة البابوية "العدالة والسلام".

تتكون الرسالة من مقدمة وثلاثة أجزاء وخاتمة...

فى المقدمة : يشرح البابا المناسبة التى من أجلها كتبت هذه الرسالة ثم يوجه دعوة عامة إلى مزيد من العدالة (رقم٢) مبينا أحوال المسيحيين المتباينة فى العالم (رقم٣ - رقم٤) مركزا على الرسالة الخاصة للكنيسة (رقم ٥ - رقم٦) وحجم التغيرات الحاضرة واتساعها (رقم٧).

فى الجزء الأول وعنوانه "مشاكل اجتماعية جديدة" (رقم١ : رقم٨) يتحدث عن عمران المدينة (رقم٨)

ودور التنمية الصناعية (رقم٩) والظواهر الجديدة فى مجتمع المدينة بعد الثورة الصناعية (رقم٩ - رقم١١) ودور المسيحى فى مجتمع المدنية (رقم١١ - رقم١٢) والشباب والمرأة (رقم١٣) والعمال (رقم١٤). كما يشير إلى ضحايا التقدم الصناعى (رقم١٥) وازدياد الهوة بين الفقراء والأغنياء (رقم١٦) والهجرة من الريف إلى المدينة (رقم١٧) ويختم هذا الجزء بالحث على ضرورة توفير العمل للقضاء على البطالة (رقم١٨)، وابتكار وسائل جديدة فى الميدان الاجتماعى للرد على متطلبات العصر الحاضر والتحديات الجديدة (رقم١٩) كما يتحدث عن أهمية وسائل الإعلام. (رقم٢٠) ونظافة البيئة (رقم٢١). وفى الجزء الثانى من الرسالة (من رقم ٢٣ : رقم ٤١) تتحدث عن الآمال التى لدى الناس وعلاقتها بالتيارات الفكرية المختلفة.

وترصد الرسالة فوائد وحدود التشريعات القانونية وما ينتظره الناس منها (رقم٢٣). والمجتمع السياسى (رقم٢٤ : رقم٢٥) ودور الأيديولوجيات فى ممارسة الحرية الإنسانية (رقم ٢٦ - ٢٩) كما تشير الرسالة إلى الحركات التاريخية (رقم ٣٠) والتيارات الاشتراكية والماركسية والأيديولوجية الليبرالية مبينة حدود وتناقضات كل منها (رقم٣١ - رقم ٣٥) وتحث المسيحيين على التبصر والتمييز فى التعامل مع الأيديولوجيات المختلفة (رقم٣٦) وتركز على أهمية التعامل مع العلوم البشرية (رقم ٣٨ - رقم٤١).

وأما الجزء الثالث فيعرض موقف المسيحيين تجاه هذه المشاكل الجديدة (رقم ٤٢ - رقم ٤٧)، مبينا

قدرة الكنيسة على مواجهة التحديات من خلال الديناميكية الموجودة فى تعليمها الاجتماعى (رقم٤٢) مطالبة بعدالة أكبر فى توزيع الخيرات "أهم واجبات العدالة كما سبق وأعلنا مرارا هو توفير الإمكانية لكل بلد لتحقيق تنميته الخاصة فى إطار تعاون متجرد من أية رغبة فى السيطرة الاقتصادية والسياسية..." (رقم٤٣) داعية إلى "تغير القلوب..." (رقم٤٥). كما تتطرق الرسالة إلى "السلطة السياسية فى المفهوم المسيحى".. "يجب أن يكون تحقيق الخير العام الغاية والهدف للسلطة السياسية وذلك بوصفها الرابطة الطبيعية والضرورية لتماسك المجتمع، فعليها أن توفر الأوضاع الضرورية ليبلغ الإنسان خيره الحقيقى والكلى بما فيه كماله الروحى بشكل فعال يعود بالفائدة على الجميع..." (رقم٤٦) وعلى المسيحيين المشاركة فى توزيع المسئوليات خاصة فى المجال الاجتماعى وابتكار أشكال جديدة للرد على متطلبات العصر الحاضر.(رقم٤٧).

وفى الخاتمة... تدعو الرسالة المسيحيين وذوى الإرادة الصالحة إلى الانخراط فى العمل وتدعو خاصة "مجلس العلمانيين واللجنة البابوية للعدالة والسلام إلى المضى قدما فى مهمتهم وهى "إيقاظ شعب الله ليفهم فهما كاملا رسالته فى الأونة الحاضرة ومهمة تنشيط الرسالة على الصعيد الدولى (رقم٥٢).

الملحق الثالث

وثائق فاتيكانية حول القضية الفلسطينية والقدس

المسئولية الدولية حيال القضية الفلسطينية

رغم الهدنة التى تحققت فى فلسطين بفضل المساعى الحميدة التى قامت بها اللجنة الدولية المختصة نجحت فى حمل العرب واليهود على القبول بتسوية مؤقتة تمثلت فى إعلان الهدنة بين الفرقاء لا يمكن اعتبار القضية الفلسطينية سواء فى وجهها السياسى الصرف أم فى وجهها الدينى منتهية ولا هى تتجه نحو حل مرض. من الناحية السياسية بقى الحكم مسبقا وقاسيًا على موقف الدول العربية المعارض لتقسيم فلسطين عند إنشاء الدولة الإسرائيلية والاعتراف بشرعيتها من الجمعية العمومية الأخيرة للأمم المتحدة وقبول انتسابها إلى المنظمة الدولية الجديدة. إن الإقرار بشرعية الأمر الواقع يخلق فى النظام السياسى فى فلسطين سابقة لا يمكن التغاضى عنها، وهذا يدعو إلى الاستنتاج بأن المخطط الأساسى الذى اقترحته الولايات المتحدة ووافقت عليه فى حينه الجمعية العمومية للأمم المتحدة بشأن تقسيم فلسطين إلى دولتين واحدة عربية وأخرى يهودية رغم معارضة العرب قد يتحقق بطريقة شرعية أو غير شرعية مخلفا إلى الأبد نزاعا لا يمكن للواقع ولا للاعتراف بشرعية هذا الأمر الواقع أن يؤديا إلى حله. إن التباين بين إسرائيل

والعـرب هو من العـمق بحـيث لا تمتـد جـذوره إلى الخـلاف العنصـرى فـحـسب بل إلى النفـور القـومى العربى الناتج عن وجود لاجئين من جميع أنحاء العالم وانتزاعـه الأرض من العـرب الذيـن يملكونهـا منذ زمن طويل.

وحدهمـا الزمن والسياسة القادر علـى التكيف مع الظروف المسـتـجـدة التى نشـأت مع إدارة الانتـداب البريطانى المنفذة لوعد بلفور بإمكانهما تخفيف حدة الخـلاف والوصـول بالشـعـبـين المتنازعـين حـاليـا إلى التعايش وحسـن الجوار فوق الأرض الواحـدة. ومما لا ريب فيه أن رسم حدود الدولة الإسـرائيليـة الجديدة سيكون مصدرا مباشـرا لنشوب الصدامات التى قد يكون الفـريق العـربى ضـحـيـة لهـا سـواء بسـبب دعم الولايات المتـحـدة وروسـيـا غـيـر المشـروط للمطالب الإسـرائيليـة أم بسـبب تدفق الإمـدادات العـسكرية والاقتصادية التى تستطيع إسرائيل الحصول عليها.

أمـا مـا يهمنا بالأخص نحن المسيحيين لا سيـمـا الكاثوليك بشـأن القضـيـة الفلسطينيـة الشـائكة فليس تسـويتهـا من الناحيـة السيـاسـيـة فقط بل تنظيمـهـا النهائى والقانونى وفق اتفاقـات دولية محددة خاصـة بوجهها الدينى، طبعا، أن الهدنة مع أنهـا لا تزال غير ثابتـة تخفف فى الوقت الحـاضـر من القلق الذى أبداه البابا بيوس الثانى عشر وشارك فيه العالم الكاثوليكى بأسـره حول مصـيـر الأمـاكن المقدسـة التى يتهـددها بالخراب الوشيك الحرب الخـالية من كل رحمة، يمكن التطلع إلى هذه الأمـاكن بنفس أكـثـر اطمـئنانـا نظرا لاستبعاد خطر انتهاك حرمتها وتدميرها جزئيا بعيد إعلان الهدنة.

غير أن القلق لا يزال يساور السلطة الكنسية العليا ومؤسساتها المتآزرة معها المنتشرة فى كل أنحاء العالم الكاثوليكى حيال الحل النهائى الذى سيوضع لحماية الأماكن المقدسة وبخاصة المدينة المقدسة ومعابدها التى كانت منذ أجيال عدة محط إكرام الغرب المسيحى وتقديره. تشهد على هذا القلق المستمر الرسالة الحبرية الجديدة الصادرة بتاريخ ١٥ نيسان/أبريل من العام الجارى والتى يعود فيها البابا وللمرة الثالثة فى فترة وجيزة إلى هذه القضية الشائكة والمقلقة التى هى قضية القدس والأماكن المقدسة التى يثير ذكرها فى نفسه "الأسى الشديد بسبب حالتها الحرجة وغير المستقرة". وفى الواقع ليس بوقف الأعمال العدوانية وحدها يتحقق إقرار الهدوء والنظام الفعلى فى ذلك البلد لأنه ما زالت ترد إلى الكرسى الرسولى:"شكاوى الذين يأسفون أسفا حقيقيا لما يصيب المعابد والصور المقدسة من خراب وانتهاكات وما يلحق بمساكن الجماعات الرهبانية الآمنة من تدمير وخراب". كما تتناهى إليه الأصداء المحزنة الصادرة عن آلام "الكثير والكثير من اللاجئين من كل الأعمار والفئات الاجتماعية الذين اضطروا بسبب الحرب الأخيرة إلى العيش فى المنفى وفى مخيمات التجمع معرضين للجوع والأوبئة ومختلف الأخطار".

إن آثار القتال المفجعة هى الآثار الوحيدة التى لم تستطع الهدنة إزالتها. وهى تنعكس بأسى فى قلب أبى الجميع الذى بعفويته التامة حث جميع من تتحلى نفوسهم بالنبل والسخاء على "أن يساعدوا بقدر ما لديهم من إمكانات هؤلاء المشردين والمعذبين

والمحـرومـين من كل شـئ". وناشـد بحـرارة:" أولئك الذين يمسكون بزمـام الأمـور لكى تتـوافـر العـدالة لجـمـيع الذين اضطرتهم دوامـة الحـرب إلى هـجـر بيوتهم غير طامعين إلا بإعادة بناء حياتهم بسلام".

لذلك فإن نظر السلطة الكنسية الكاثوليكية العليا الذى يتصف بالرأفة والاهتمام الوثيق على مثال نظر المعلم الإلهى حيال الجماهير البائسة والجائعة والمعوزة لا يمكنه إلا أن يتطلع مندفعا نحو المستقبل لتحقيق ذلك التنظيم النهائى الخاص بمدينة القدس بكل ما لهذه القدسية من معنى والخاص بالأماكن التى تقدست بحياة الفادى وآلامه. أما فيما يختص بالمدينة المقدسة وضواحيها القريبة فكانت الكنيسة قد طالبت كما عرضنا فى مقالة سالفة بنظام دولى خاص كما طالبت للأماكن الأخرى بضمانة جماعية تكفل سلامتها وتؤمن حرية الوصول إليها وممارسة العبادة فيها وسائر الحقوق المشروعة.

فى رسالته الجديدة يكشف البابا فى شكل صريح عن النقاط الأساسية التى يجب أن تكون فى صلب الاتفاق الدولى الخاص بحل القضية الفلسطينية مطلعا الدول التى يقع عليها واجب تأمين هذا الحل الخطير على أمنيات المجموعة المسيحية وتطلعاتها ومتطلباتها وبالأخص الكاثوليكية منها وتتلخص هذه النقاط الأساسية فى المقترحات الوجيزة التالية: وضع قانون خاص بمدينة القدس وجوارها بحيث يؤمن استقرارها وضمانه بتفاهم مشترك بين الدول المحبة للسلام واحترام حقوق الآخرين / إقامة وصاية وضمانة بتفاهم مشترك بين الدول المحبة للسلام واحترام حقوق الآخرين / إقامة وصاية دولية خاصة

بالأماكن المقدسة الأخرى المنتشرة فى فلسطين يرافقها نظام قانونى تضمنه اتفاقات والتزامات دولية كفيلة بتأمين حرية الوصول إلى مختلف المعابد وحق إعلان شعائر التقوى العامة من دون عائق وحق الإقامة من دون خطر أو شعور بالقلق / المحافظة على حقوق المؤسسات الكاثوليكية المخصصة لعمل الخير والتعليم واستضافة الحجاج فى متابعة نشاطها الخاص / الحفاظ على جميع الحقوق الحاصلة المتعلقة بالأماكن المقدسة والتى اكتسبها الكاثوليك منذ أجيال عدة ودافعوا عنها مرارا وتكرارا بكل حزم.

من بين هذه الثوابت الأساسية تجدر الإشارة إلى أمر لافت، ففيما يختص بمدينة القدس وجوارها المباشر يأمل الكرسى الرسولى بل يرغب فى إقامة نظام دولى خاص تضمن الدول المحبة للسلام استقراره كما يقول البابا بكل صراحة، فالعبارة التى نعتقد أنه يقصد بها طبيعة الدول التى يجب أن تضمن التسوية المستقبلية الخاصة بالقدس وجوارها إضافة إلى نظامها تفصح وفقا لأمنية السلطة الكنسية الكاثوليكية العليا عن ضمانة جماعية فعلية ودولية يجب أن تلتزم بها لا القوى المنتمية إلى الأمم المتحدة فحسب بل أيضا الدول التى ما زالت خارجها فى الوقت الحاضر إن الأسباب الداعية إلى مثل هذه المبادئ الشاملة. لا يمكن أن تخفى على من ينظر إلى جوهر القضية الفلسطينية من جهة وإلى التركيبة الحالية للمنظمة الدولية التى قامت على أنقاض هيئة الأمم المتحدة السابقة من جهة أخرى.

سبق وأشرنا إلى أن المسألة الفلسطينية وتسويتها السياسية تطرح ذاتها أولا على أنها مسألة ذات طابع

دينى وبالتالى يتعذر حلها ما لم يستأثر طابعها الخاص الذى لا يزول بكل ما يستحقه من اهتمام ويتغلب على كل ما عداه من التطلعات السياسية الطارئة. ففى حين تمثل هذه الأخيرة وبالفعل معطيات ظرفية تخضع لتقلبات التاريخ وتتصف بالتالى بالتحول الدائم تتضمن الأولى مصالح سامية وثابتة لا تتبدل مع الزمن ولا تستمد مصدرها من مواقف متقلبة بل من إيمان راسخ وخالد فى مبادئه العقائدية ومظاهره الدينية ومن مشاعر الاحترام العميق الذى يكنه المؤمنون حيال الأرض التى شهدت مأساة فداء الجنس البشرى. لذلك نجد أنفسنا أمام قناعات ومشاعر وتطلعات لا تفنى فى جيل من الأجيال بل تنتقل من عهد إلى عهد من دون أن تشوبها شائبة فى تسلسل حلقاتها الزمنية غير المنطقية. وكما كانت الشعوب المؤمنة تؤم الأرض المقدسة فى الماضى هكذا ستبقى تؤمها فى المستقبل وكما جاهدت فى الماضى وعانت وكافحت فى سبيل الحفاظ على تلك الأرض وعلى حرية الوصول إلى تلك الأماكن المحاطة بكثير من الإكرام هكذا ستبقى فى المستقبل مندفعة فى المسيرة التى رسم الأجداد معالمها حتى بلوغ الغاية التى يتطلعون إليها وطالما بقى حيا فى العالم الإيمان بالمسيح الفادى ستبقى حية أيضا محبة الأماكن التى تقدست بحياته وموته.

فإذا كانت القضية الفلسطينية قد اتخذت فى ذاتها صفة الشمول البارز على غرار ما هى عليه الكنيسة الشاملة فذلك يعود إلى الاهتمام المباشر بتنظيمها العملى الذى لا يقتصر على هذه الدولة أو تلك أو على مجموعة من الدول بل يمتد من دون

تمييز إلى كل تلك الدول التى يحيا ويتفاعل فيها هذا الإيمان الواحد عينينا بها العالم المسيحى بأسره فى أطار هذا التوافق الشامل والوحدة المتماسكة بين جميع الأمم بشأن الأرض المقدسة ووصايتها الدولية على أساس أنها محجة للمجموعة المسيحية ومحط إكرامها وتطلعاتها الدينية لابد من الإقرار بامتياز معين لشعوب القارة الأوروبية العريقة وأهمها التى اكتسبت حق الأولوية بفضل ما بذلته من جهود طوال القرون الماضية فى الحفاظ على الأماكن المقدسة وحراستها وهى لا تزال تحتفظ بهذا الامتياز حتى اليوم معززا لدى البعض منها بوحدة الإيمان الذى يميزها عن غيرها من الدول الكثيرة وفى أى حل دولى للقضية الفلسطينية الشاملة لا يجوز تجاهل مثل هذه الدول وبالتالى يجب وضع النظام الجديد الخاص بالقدس وبالأماكن المقدسة وجوارها إلى جانب الأمم المسيحية وخاصة الكاثوليكية منها المعنية عن كثب بمصير الأرض المقدسة.

ثم إن هذه المؤازرة لا يمكن أن تتحقق ما لم تنعم القدس بنظام خاص مقرون بشروط دولية تتعلق بالأماكن الأخرى المخصصة للعبادة والعائدة للشعوب المسيحية وما لم توضع تحت رعاية منظمة الأمم المتحدة التى تنتمى إليها شعوب معادية للمسيحية فى حين لا تنتمى إليها دول أوروبية عريقة وعظيمة معنية مباشرة بالشئون الفلسطينية نظرا لماضيها التاريخى وانتمائها الحالى إلى الإيمان الكاثوليكى فى غالبية سكانها شبه الساحقة ومن هذه الدول إيطاليا وأسبانيا والبرتغال وأيرلندا التى توجه إهانة كبرى إلى تقاليدها وإيمانها وحقها فى حال اعتبارها فى

الواقع فريقا منفصلا عن المجموعة المسيحية أو فى حال إقصائها عن المشاركة فى تحمل مسئولياتها الجلى والمساهمة مع الدول الأخرى فى تأمين الحماية الدولية للأماكن المقدسة. فالكرسى الرسولى إذن يرغب حقا فى أن يكون النظام الجديد الخاص بالقدس والذى رسمت خطوطه الكبرى فى الرسالة الخبرية الآنفة الذكر نظاما يضمه "اتفاق مشترك بين الدول التى تحب السلام وتحترم حقوق الآخرين" أو بين جميع الدول سواء أكانت منتمية إلى منظمة الأمم المتحدة أم لا. بهذه الطريقة الوحيدة يمكن تجنب الحال العبثية التى قد تنشأ من جراء استثناء قسم كبير من الدول الكاثوليكية التى لا تزال حتى الآن خارج المؤسسة الدولية، ومن جراء تجاهل ما لهذه الدول من مصلحة كبيرة وحق متميز لإثبات نفوذها فى حماية الأرض المقدسة وما لا يجب إغفاله لا بل من المفيد هنا أن نكرره لكى يرسخ فى أذهان السياسيين الأصليين أن المسألة الفلسطينية إضافة إلى وجهها السياسى الفريد الناجم عن التدخل العبرى أثناء عهد الانتداب البريطانى قد أضافت وجها أرفع شأنا انبثق عن الطابع الدينى الخاص بمدينة القدس والمعابد المنتشرة فى أنحاء فلسطين والذى يجب أن تقاس عليه بالضرورة المؤسسات التى ستنشأ بهدف حل هذه القضية إذا كانت الغاية منها احترام الحقيقة السامية التى لا يمكن إنكارها.

فى كل ما تقدم يتضح فى شكل صريح أن المسئولية الجسيمة إنما تقع على القوى الدولية التى خرجت منتصرة من الحرب العالمية الثانية وأقرت النظام النهائى لفلسطين على أثر انتهاء الانتداب

البريطانى وثبتت الطابع الدينى الغالب على القضية الفلسطينية، اتخذت مسئولية هذه القوى سمة شاملة معينة خاصة إذ لم يكتف أعضاؤها من تأدية الحساب عن عملها أمام شعوبها أو شعوب الدول الأعضاء فى المؤسسة الدولية التى أنشئت بدلا من هيئة الأمم بل أيضا أمام العالم المسيحى بأسره ولا سيما منه الدول الأوروبية الكاثوليكية التى لا تزال حتى الآن خارج المؤسسة المذكورة.

هذا وإذا كانت المسئولية تقاس بنسبة القيم التى تستند إليها وتستمد منها الصفة المعنوية والشرعية فمن واجب القوى الدولية المدعوة إلى إقرار النظام الفلسطينى المستقبلى أن تجد الحل النهائى فيما يتعلق بالأمن والوصاية ليس فقط فى ظل الظروف السياسية الطارئة والمتقلبة مع الزمن بل أيضا على ضوء المتطلبات الروحية الخالدة والشاملة فى مضمونها وأبعادها والقيم الأدبية والدينية السامية المتجسدة فى المدينة المقدسة وفى ذكريات ماضيها العريق الماثل فى كل معبد من معابدها التى تذكر بحياة يسوع المسيح وآلامه فيما تمثل جميعها محط الإكرام الفائق الذى يشعر به ملايين المؤمنين المنتشرين فى أنحاء العالم كله.

من بين هؤلاء المؤمنين لابد من ذكر أولئك الذين ينتمون إلى الكنيسة الكاثوليكية وتجمع بينهم عرى الإيمان الواحد ويشدهم الولاء للسلطة الدينية الواحدة ويلتقون حول مركز وحدتهم المنظور الحبر الرومانى رئيسهم الأعلى والممثل الأكبر لحقوقهم الدينية. ثم كما سبق وقيل فإن المصالح والحقوق الكاثوليكية فى فلسطين هى أرجح وزنا وعراقة فى

التاريخ من أى فريق آخر من الدول بما فيها سائر الدول المسيحية. وهذا يعنى أن القوى التى يتوقف على قرارها مصير القدس والأماكن المقدسة تقع على عاتقها مسئولية جسيمة حيال الكرسى الرسولى الذى يعبر صوته عن آمال جميع المؤمنين المتحدين به ويجب بالتالى أخذه بالاعتبار أكثر من أى صيغة أو مشروع برنامج معين نظرا للحقوق الخاصة التى تنبثق عنه وما تمثله رسالته الدينية من حقيقة ويرتديه مقامه الرفيع من طابع إلهى لدى جميع أتباعه.

لذلك يتعذر على القضية الفلسطينية أن تجد حلا لها و يجب ألا تحل من دون الأخذ بتمنيات الكرسى الرسولى وتوصياته التى أعلن بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. كما أن حقه فى التعاطى بشأنها متصل اتصالا وثيقا بمصالح الكنيسة جمعاء فيما هو رأسها، إنما هو حق ثابت تاريخيا ومبنى بناء متينا على رسالته الخاصة بما لا يجوز إنكاره أو التغافل عنه من دون أن يعتبر تجنبا سافرا. ولا يمكن لمنظمة الأمم المتحدة أن توصم بهذه الوصمة من دون أن تفقد ما تبقى لها من اعتبار لدى العالم الكاثوليكى بنوع خاص نظرا لما يجب أن تتحلى به من عدم الانحياز والترفع بهدف حل النزاعات الدولية على أساس العدالة والإنصاف.

ومما لا ريب فيه عندنا أن القوى الكبرى ستدرك هذه الضرورة الفائقة على رغم ما أثاره فينا مجددا من قلق تاريخ القضية الفلسطينية التى بدت تحت أضواء جديدة فى أعقاب الحرب العالمية الثانية بحيث إن الواقع السياسى الذى أوجدته الأمم بات

يُختق صوت العدالة ويكرر بمعنى آخر الأخطاء التى ارتكبتها سابقا والتى تعزى فى قسط كبير منها إلى التشبث الأنانى بالمصالح السياسية والاستراتيجية العائدة إلى بعض الأمم وإلى عدم التخلى عنها.وذلك على رغم توصيات البابا بنديكتوس الخامس عشر واعتراضاته الشديدة وعلى رغم اعتراضات خلفه المباشر البابا بيوس الحادى عشر فى مطلع ولايته الذى دعا إلى تصحيح التجاوزات الإدارية.

إن لهذا القلق ما يبرره لا سيما أنه يستند إلى تصرفات لا تتصف دائما بالنزاهة والمنطق المطلوبين من منظمة الأمم المتحدة التى تلاعبت بالقضية الفلسطينية ولا تزال تتلاعب بها حتى اليوم من خلال ترددها فى شأن تسويتها النهائية، وهنا تكفى لمحة تاريخية وجيزة لتبين صحة هذه الملاحظات.

فى عام ١٩٤٧ ومع اقتراب نهاية عهد الانتداب الذى كانت بريطانيا قد أعلنت التخلى عنه ومع انسحاب آخر جندى لها فى ١٥ أيار / مايو ١٩٤٨ كانت منظمة الأمم المتحدة قد وافقت على المشروع الأمريكى حول تقسيم فلسطين إلى دولتين مستقلتين واحدة عربية وأخرى يهودية، وكان هذا القرار قد اتخذ بناء على رأى البعثة الخاصة التى كانت قد كلفت بدراسة المسألة الفلسطينية ميدانيا. وفى ختام مهمتها وبينما تضاربت الآراء حول مشروع التقسيم المقترح اقترحت اللجنة المذكورة بالإجماع حلا دوليا للقدس والأماكن المقدسة.

وقد شمل جزء أساسى من المشروع إقامة مدينة القدس فى إطار "كيان منفرد" على الأرض المتبقية، يحكمه نظام خاص به وفقا لما جاء فى المشروع الذى

أعلنت خطته فى ١٠ شباط / فبراير ١٩٤٨ تمهيدا لرفعه إلى مجلس الوصاية للنظر فيه.

وفقا لهذه الخطة كانت القدس ستخضع لحاكم يعينه مجلس الوصاية ويكون مسئولا عن إدارة المدينة أمام مجلس الوصاية عينه بضمانة عليا من الأمم المتحدة. وقد أسندت إلى الحاكم صلاحيات واسعة لتأمين النظام والحياة الاقتصادية وسلامة القطاع الإقليمى الصغير الرقعة الموكول به إليه تعاونه فى مهمته وحدة خاصة من الشركة يتم تشكيل أفرادها من مختلف البلدان باستثناء العرب واليهود وتخضع مباشرة لأوامره الخاصة وكانت المدينة ستجرد من السلام وتعلن مدينة محايدة بحيث لا يؤذن لأية قوة مسلحة بدخولها من دون موافقة مجلس الأمن.

بقطع النظر عن التفاصيل التقنية الخاصة الأخرى تجدر الإشارة إلى مشروع يضمن حلا قانونيا دوليا لمسألة فلسطين الدينية مقتفيا الخطوط العريضة التى جاءت فى نظام القطاع الإقليمى المستقل الذى أقيم فى مدينة تريست .Trieste علما بأن هذا النظام الخاص المعلن عنه فى مقدمة مشروع النظام المذكور أعلاه إنما يهدف أولا إلى المحافظة على المصالح الروحية الدينية العائدة للمسيحيين واليهود والمسلمين على السواء لكى يسود النظام ويستتب السلام الدينى فى القدس قبل كل شىء.

لقد لفتت الأمم المتحدة إلى الأهمية الخاصة التى يتسم بها الطابع الدينى للقضية الفلسطينية، وبالتالى كانت قد أقرت حلا ووافقت عليه ورغم صياغته بعبارات مختصرة ومحصورة فى إطار المؤسسة الدولية فإنه لم يتناسب كليا مع التمنيات التى عبر

عنها الكرسى الرسولى، سواء لجهة الأسباب المذكورة أم لجهة المشروع الذى لا يحدد شيئا بالنسبة لجوار القدس والمعابد المنتشرة فى أنحاء الأراضى الفلسطينية.

لقد عارضت الدول العربية المشروع الأمريكى حول التقسيم مواجهة إياه بأسباب سياسية وقانونية معترضة بنوع خاص على محاولة منظمة الأمم المتحدة فرض المشروع التقسيمى بالقوة وعلى حق مجلس الوصاية فى التدخل فى شئون المدينة المقدسة الإدارية. وقد رفضت فكرة التدويل المقترحة ودفعت الحجج القائلة بأن واقع المدينة بصفتها موضوع تكريم لدى الأديان الثلاثة يوفر القاعدة القانونية التى تخول إقامته نظام دولى وأن شرعية هيئة الأمم تهيئ أساسا قانونيا صالحا لوصاية دائمة كتلك التى تم اقتراحها بشأن القدس، وبالتالى وجب وفقا لاعتباراتها النظر إلى نظام الوصاية على أنه نظام مؤقت، وحيال هذا المشروع التقسيمى الخاص لم يكن موقف اليهود أقل اعتراضا من سواه إذ حاولوا تغيير العقدة باقتراحهم تدويل المدينة القديمة التى يسيطر عليها العرب وتسليم السلطة إلى الدولة الإسرائيلية الحديثة العهد فى المدينة الجديدة المرشحة لأن تكون عاصمة لها وهو حل غير معقول من الناحية القانونية كما من الناحية السياسية ومع ذلك فالإسرائيليون لا يزالون متمسكين به.

لم يكن فى الإمكان تنفيذ المشروع الأمريكى الذى كان من ضمنه إقامة القدس فى إطار "كيان منفرد" سواء بسبب المعارضة الشديدة التى أبدتها الدول العربية المدعومة من بريطانيا أم بسبب الثغرات

القانونية التى تضمنها المشروع. كان يكفى مثلا أن يذكر أن المشروع على الرغم من حصوله على موافقة الجمعية العامة ليس سوى توصية وأن القبول بها فى آخر المطاف يعنى الرضوخ لإرادة الأطراف المعنيين، مما سيؤدى إلى سقوط المشروع تلقائيا بحيث تجد الأمم المتحدة نفسها مضطرة إلى سلوك طريق المصالحة لحل هذه المسألة. وفى ١٧ نيسان / أبريل ١٩٤٨ اقترحت أقامة هدنة عسكرية مع الإبقاء المؤقت على نظام "الأمر الواقع" وكرست هذا الاقتراح بقرار جديد صدر عن مجلس الأمن بتاريخ ٢٩ أيار / مايو تحت طائلة التعرض للإجراءات الرادعة المنصوص عليها فى الفصل السابع من النظام الأساسى فى حال عدم التقييد بها ومراعاتها.

امتثل الأطراف وتقيدوا بالهدنة لمدة أربعة أسابيع وقد طلب القرار الذى صوت عليه مجلس الأمن فى هذا الشأن وفى التاريخ المذكور أعلاه بإلحاح شديد إلى جميع الحكومات والسلطات المعنية اتخاذ كل الاحتياطات الممكنة لحماية الأماكن المقدسة ومدينة القدس والسماح بالوصول إلى جميع المعابد والأماكن المقدسة لكل من يحق له زيارتها بقصد الصلاة فيها.

إذا أردنا معرفة اتجاه كل من أعضاء الأمم المتحدة فالفقرة المذكورة أعلاه تحمل بعض التعابير عن ذلك الواقع عندما نعلم أنه قد صوت عليها بالإجماع داخل مجلس الأمن وهذا ما يحملنا على الاستنتاج مرة أخرى أن الناحية الدينية من القضية الفلسطينية وضرورة إيجاد حل لها تبقى ذات أهمية فى اعتبارات القوى المسئولة التى من بينها الولايات المتحدة وفرنسا وقد سبق لهما ان اقترحتا لتوفير الهدوء لمدينة

القدس نظاما دوليا مؤقتا يديره مفوض تعينه منظمة الأمم المتحدة لكن الجمعية العمومية رفضت هذا الاقتراح بتاريخ ١٤ أيار/ مايو ١٩٤٨ .

لم يتبق من المشروع الأساسى الذى صادق عليه عام ١٩٤٧ وتعذر تحقيقه سوى الاقتراح القاضى بمنح مدينة القدس نظاما خاصا ولم يعد إليه مجلس الوصاية بتاريخ ٢٩ تموز / يوليو ١٩٤٨ لحل المسألة بل لإرجاء البت فيها إلى أجل غير مسمى وذلك بناء على اقتراح تقدم به المندوب البلجيكى الذى رأى أنه من الخطير مناقشة هذا الموضوع فى وقت تقوم فيه الأمم المتحدة بمساع وساطية، أما تقرير الوسيط الكونت برنادوت فيعبر عن ذلك فى خلاصته الصريحة والعملية لحل المسألة الفلسطينية، فهو يرى أن مدينة القدس يجب أن تنعم بمعالجة خاصة ومميزة نظرا لأهميتها الدينية والدولية ولتشابك المصالح المتصلة، بها ولذلك اقترح أن تعالج قضية القدس إضافة إلى جانب المنطقة التى حددها قرار الجمعية العامة فى ٢٣/١١/١٩٤٧ معالجة منفردة ووضعها تحت إشراف الأمم المتحدة بإعطاء الحد الأقصى من الحكم الذاتى إلى الجماعات العربية واليهودية وتوفير الحماية للأماكن المقدسة والمؤسسات الدينية وحرية العبادة.

بتاريخ ٣/١٢/١٩٤٨وافقت الجمعية العامة للأمم المتحدة موافقة تامة على المقترحات التى تضمنها تقرير الوسيط الدولى والمتعلقة بالقدس والأماكن المقدسة، وقد أعلنت فى قرارها المصادق عليه فى التاريخ عينه والذى بموجبه أنشئت لجنة مصالحة

مؤلفة من ثلاث دول أعضاء فى الأمم المتحدة بدلا من الوسيط كما يلى:

" يجب حماية الأماكن المقدسة والمبانى الدينية فى فلسطين وتأمين حرية الوصول إليها عملا بالقوانين المرعية والإجراءات والتقاليد العريقة. أما الترتيبات المتعلقة بها فيجب أن تخضع لرقابة الأمم المتحدة الفعلية وعندما ستقدم لجنة المصالحة المنبثقة عن الأمم المتحدة مقترحات مفصلة إلى الجمعية العامة فى دورتها الرابعة حول النظام الدولى الدائم لقطاع القدس سيكون عليها وضع توصيات تتعلق بالأماكن المقدسة الكائنة داخل هذا القطاع. أما فيما يتعلق بالأماكن المقدسة الكائنة فى مناطق أخرى من فلسطين فعلى اللجنة أن تطلب إلى السلطات السياسية فى المناطق المعنية أن تقدم ضمانات صريحة وكافية لحماية تلك الأماكن والوصول إليها. وتخضع هذه التعهدات لموافقة الجمعية العامة".

أما فيما يتصل بمدينة القدس فيشير المقطع التالى إلى قرار الجمعية العامة المنعقدة فى تشرين الثانى / نوفمبر ١٩٤٧ وفيه :" إنه انطلاقا من الروابط التى تجمع بين الأديان العلمية يجب أن تنعم منطقة القدس بمعالجة خاصة ومميزة عن سائر المناطق فى فلسطين كما يجب أن توضع تحت رقابة الأمم المتحدة الفعلية".

إن الجمعية العامة للأمم المتحدة الملتئمة فى باريس فى نهاية العام الماضى لم تكتف بالإشارة إلى التعهد المذكور القاضى بمنح منطقة القدس نظاما دوليا فحسب بل وجهت اهتمامها أيضا إلى حماية الأماكن المقدسة المنتشرة على كامل التراب

الفلسطينى وطالبت لها بتعهدات صريحة تقدمها السلطة السياسية المعنية فى المناطق وبضمانات تخضع لموافقتها مما يعنى فى حال تنفيذها بعد الموافقة عليها وضعها تحت إشراف منظمة الأمم المتحدة وفى ظل ضمانتها الرفيعة..

حتى الآن بقى موقف المنظمة الدولية منسجما مع منهج صريح يتلاءم والقرار الأول الصادر فى تشرين الثانى / نوفمبر٧, المشار إليه غير مرة. إن الخلل الأول الذى كان يخشى معه تغيير سير الأمور قد تبين فى الدورة الأخيرة للجمعية العامة، إلا أن القضية الفلسطينية فى أهم نقاطها المتعلقة بنظام القدس وضمان حماية أماكنها المقدسة وأكثرها شمولا لم توضع فى هذه الدورة على جدول الأعمال ولم يؤت على ذكرها إطلاقا فى أثناء المناقشة، قد يكون هناك أسباب طارئة دعت إلى هذا التأجيل وقد يكون هناك فى كل حال أسباب أخرى حتمت هذا الأمر تمهيدا لإرساء قواعد نظام معين.

غير أن البارز الذى كان لابد من أن يؤثر فى المشروع بالمناقشة العاجلة والانطلاق بها نحو حل نهائى كان طلب الدولة الإسرائيلية قبول عضويتها الفعلية فى الأمم المتحدة بعد أن وضع على جدول أعمال الجمعية العامة فى الواقع لم يكن من الواجب أن يبادر إلى قبول ذلك الطلب من دون اشتراط التسليم بجميع النقاط المبرمجة الواردة فى قرار ١٩٤٨/١٢/٣ إن فى صيغته الأساسية وإن فى ترجمته العملية إلى نظام مصادق عليه وإلى التزامات

وضمانات سبقت الموافقة عليها من المنظمة الدولية.
هذا الإجراء المنطقى المبنى على مبدأ "أعطيك فتعطنى" كان بالإمكان معه تجاوز تمنع دولة إسرائيل عن القبول بالتسوية المتوقعة بشأن الجانب الدينى من المسألة الفلسطينية. وكان من السهل جدا على إسرائيل أن تقبل به مقابل أن تؤمن مصلحتها الكبرى فى الحصول على الاعتراف القانونى بها من الأمم المتحدة.

ولكن لأسباب سياسية طارئة جرت الأمور بطريقة معكوسة تاركة من دون حل قضية تهم العالم بأسرا ولا سيما العالم المسيحى. فقد تم قبول دولة إسرائيل عضوا فى الأمم المتحدة مع ما يتبع ذلك من اعتراف قانونى واستمر على حاله "الأمر الواقع" الذى لا يوفر أية ضمانة لا للقدس التى تقاسمها فريقان ولا للأماكن المقدسة الأخرى.

لذلك يمكن فهم الأسباب التى أثارت قلب الأب الأقدس على مصير المدينة المقدسة والمؤسسات الدينية الكاثوليكية والمعابد الغالية على قلب كل مسيحى فى العالم وحملته على توجيه ندائه فى رسالته الأخيرة إلى المؤمنين فى كل العالم داعيا إياهم بحرارة إلى العمل بكل الوسائل المشروعة على إقناع حكامهم وجميع من يملك زمام القرار فى مسألة ذات شأن كهذه لها بما يتلاءم وآمال الجماعة الكاثوليكية وتطلعاتها النابعة من جوهر إيمانها الشامل.

إن الدفاع عن حقوق المسيحية يقتضى أن تبقى مسألة القدس مطروحة على الرأى العام فى شكل

مستمر من خلال الحل الذى تمناه قداسة البابا وطرح خطوطه الكبـــرى ويتطلب من الدول الكاثوليكيـــة خصوصا أن تضغط بقوة وإجماع على المسئولين وأن يحثهم على احترام هذا الحل فى قراراتهم فلا يجوز للسـيـاسـة أن تخنق مـرة أخـرى أصـوات مـثل هذه القضية العادلة والسامية جدا وهى أصوات تتصاعد من كل أرجاء العالم داعية إلى تغليب المشاعر الروحية النبيلة وحقوق الجماعة المسيحية ومصلحتها على كل مصلحة ظرفية أخرى.

أ. مسينايو اليسوعى

فى القدس جعل يسوع من الشعبين شعبا واحدا

١٩٨٤/٤/٢٠

رسالة رسولية ليوحنا بولس الثانى

"سنة الفداء"

(Redemptionis anno)

إلى إخوتى المحترمين وأبنائى الأعزاء سلام وبركة رسولية فى ختام سنة يوبيل الفداء يتوجه تفكيرنا نحو تلك الأرض العـزيزة والفـريدة القـائمـة عند مـفـتـرق أوروبا وآسـيـا وإفـريـقـيـا الأرض التى تم عليـهـا "مـرة واحـدة" فداء الجنس البشـرى (الرسالة إلى أهل رومة ٦ /١١- إلى العبرانيين ٧ / ٢٧ ٩/١٢ ١٠/١٠).

إننا نصفها بالمدينة المقدسة لأنها الوطن الأرضى الذى اتخذه المسيح لنفسه وقد كان يجول فيه و "يعلن بشـارة الملكوت ويشـفـى الشـعب من كل مـرض وعلة (متى ٤/٢٣).

فى هذا العام يطيب لى أن أستعيد مشاعر سلفى بولس السادس وفرحه عندما زار عام ١٩٦٤ الأرض المقدسة والقدس.

إنى وإن لم يتح لى أن أحضر جسديا إلى هناك فإنى أعتبر نفسى حاجا بالروح إلى تلك الأرض التى جرت فوقها مصالحتنا مع الله وألتمس من أمير السلام نعمة الفداء الثمينة ونعمة السلام التى يتوق إليها وينشدها بشوق جميع الناس والعائلات والشعوب كما يتوق إليها بدرجة أولى أهالى تلك المنطقة.

أفكر خصوصا بمدينة القدس التى فيها قدم المسيح حياته قربانا و "جعل من الجماعتين جماعة واحدة وهدم بجسده الحاجز الذى يفصل بينهما وقضى على العداوة بصليبه لتصيرا جسدا واحدا (الرسالة إلى أهل أفسس ٢/١٤ - ١٦). وأيضا قبل أن تكون القدس مدينة يسوع الفادى فهى المكان التاريخى للوحى الإلهى الكتابى وهى محور الالتقاء بين السماء والأرض حيث خاطبت كلمة الله البشر أكثر من أى مكان آخر.

إليها ينظر المسيحيون بشغف دينى وباهتمام كلى لأنها المكان الذى سمعت فيه مرارا كلمة الله وفيه جرت أحداث الفداء العظيمة، عنينا آلام السيد المسيح وموته وقيامته، هنا فى أورشليم نشأت أول جماعة مسيحية ولم ينقطع الحضور الكنسى فيها طيلة الأجيال المتعاقبة على الرغم من العقبات الجمة.

إن القدس الغنية بمعالمها والذكريات العديدة منذ عهد داود الذى جعل منها عاصمة لملكته وسليمان الذى بنى فيها هيكله بقيت فى قلوب اليهود الذين لم ينسوها موضع محبة متقدة.

والمسلمون أيضا يسمونها "القدس" ويخصونها بمحبة عميقة ترقى إلى نشأة التعاليم الإسلامية وتمتد إلى الأمكنة الخاصة التى يحجون إليها وإلى حضورهم شبه المستمر هناك أكثر من ألف عام.

إضافة إلى هذه الذكريات الجليلة والمعهودة فإن القدس تأوى جماعات حية من المؤمنين الذين يعتبر حضورهم هناك علامة بل مصدر أمل لجميع سكان الأرض الذين ييممون إليها وجوههم على أنها مدينتهم وإرثهم الروحى رمز السلام والوفاق.

إن القدس بوصفها "وطن القلب" لجميع المنحدرين روحيا من إبراهيم المحبين لها محبة خاصة وبوصفها الملتقى بالإيمان بين العزة الإلهية المتناهية والمخلوق بكاملة إنما هى رمز التلاقى والاتحاد والسلام لجميع العائلة الإنسانية.

وبالتالى فإن المدينة المقدسة تدفع بالجنس البشرى بأسره ولا سيما عباد الله الأحد الإله الواحد العظيم الأب الرحيم لجميع الشعوب تدفع به نحو السلام ولكن يجب الإقرار بأن القدس لا تزال مدعاة للتنافس المتواصل والعنف والاحتجاج الخاص.

يذكرنى هذا الواقع وهذه الأفكار بكلمات النبى :"إنى لأجل صهيون لا أسكت ولأجل أورشليم لا أهدأ حتى يخرج ضياء برها وخلاصها كمصباح متقد (أشعيا ٦٢/١). أتطلع بل أنتظر ذلك اليوم الذى نكون فيه جميعنا من تلامذة الله الحقيقيين (يوحنا ٦/٤٥) القادرين على سماع رسالة المصالحة والسلام أحلم بمجئ ذلك اليوم الذى فيه مسيحيو اليهود والمسيحيون والمسلمون بعضهم بعضا فى القدس، تحية السلام التى حيا بها يسوع تلامذته بعد قيامته:"السلام عليكم" (يوحنا١٩/٢٠).

لقد دأب الأحبار الرومانيون وخصوصا خلال هذا القرن على مرافقة الأحداث الأليمة التى تعرضت لها القدس منذ عشرات السنين وتابعوا بكل انتباه تصريحات المؤسسات الدولية المتعلقة بمصير المدينة المقدسة.

وفى مناسبات عدة دعا الكرسى الرسولى إلى التفكير وحث على إيجاد حل ملائم لهذه المسألة المعقدة والمستعصية وهو إذ يقوم بذلك إنما يقوم به انطلاقا من حرصه على قضية السلام بين الشعوب ولأسباب روحية وتاريخية وعقائدية خاصة به ونابعة من الدين.

إن البشرية بأسرها وفى المقام الأول تلك الشعوب والبلدان التى تربطها بالقدس عرى الإخوة بالإيمان بين المسيحيين واليهود والمسلمين لها من الأسباب ما يجعلها تشعر بأنها معنية بهذه المسألة ولتندفع بكل قواها للحفاظ على الطابع المقدس والفريد لهذه المدينة. فالقدس - وليس الآثار التذكارية والأمكنة المقدسة فحسب ـ بل كل القدس التاريخية بما فيها وجود الجماعات الدينية وأوضاعهم ومستقبلهم لابد وأن تكون فى خاطر الجميع وقلبهم.

من الضرورى حقا العمل بإرادة طيبة ورؤية صافية على إيجاد طريقة واقعية ومنصفة من شأنها التوفيق بصورة عادلة ودائمة بين مختلف المصالح والتطلعات وصيانتها بصورة ملائمة وفاعلة بإنشاء نظام خاص يضمنه القانون الدولى وتوافق عليه الدول بحيث لا يعود يحق لأى طرف من الأطراف إعادة النظر فيه.

وأعتقد أيضا أن من واجباتى الملحة تذكير الجماعات المسيحية والذين يعترفون بالإله الواحد ويلتزمون بالدفاع عن القيم الأساسية التى تقوم عليها

كرامة الإنسان بأن مسألة القدس إنما هى مسألة رئيسية لإقامة سلام عادل فى الشرق الأوسط.

إننى مقتنع بأن الهوية الدينية لهذه المدينة ولا سيما ممارسة الإيمان التوحيدى المشترك فيها تستطيع فتح السبيل أمام الوفاق بين الذين يشعرون لدواع مختلفة بأن المدينة المقدسة إنما هى مدينتهم.

إنى على يقين بأن عدم السعى لإيجاد حل سليم لقضية القدس إضافة إلى المماطلات السلبية لن يؤدى إلا لمضاعفة المخاطر بدلا من إقامة الحل المنشود السلمى والعادل لأزمة الشرق الأوسط بكامله.

من الطبيعى فى هذا الإطار أن نذكر أن فى هذه المنطقة ومنذ سنوات يتصادم شعبان الفلسطينى والإسرائيلى فى صراع يبدو وكأنه مستعص على الحل. أن الكنيسة بتطلعها إلى المسيح الفادى تجد صورته فى كل إنسان وتصلى لأجل السلام والمصالحة بين شعوب هذه الأرض التى كانت أرضه.

لأجل الشعب اليهودى الذى يعيش فى إسرائيل ويحتفظ فى هذه المنطقة بعلامات غالية جدا من تاريخه وإيمانه أطلب فى صلاتى الأمن والطمأنينة العادلة التى ينشدها ويسعى إليها كل بلد. وهو الأهم لكل مجتمع والشرط الأساسى لحياته وتقدمه.

إن الشعب الفلسطينى المتجذر تاريخيا فى هذه المنطقة والمشرد من سنوات له الحق الطبيعى بكل عدل وإنصاف أن يجد له من جديد وطنا يعيش فيه بسلام ووئام مع الشعوب الأخرى فى المنطقة.

أن شعوب الشرق الأوسط فيما يحتفظ كل منها بتراثه وقيمه الروحية لن تجد سبيلا إلى حل الأوضاع المأسوية التى تتخبط فيها وهنا أفكر بلبنان الشهيد ما لم تعرف كيف تكتشف المعنى الحقيقى لتاريخها

الذى يدعوها إلى الاتحاد عن طريق الوفاق والتعاون المتبادل من خلال إيمانها بالإله الواحد.

فضلا على ذلك أود أن ألفت رجالات السياسة وجميع الذين تتألف منهم حكومات مختلف البلدان ومن هم على رأس المنظمات الدولية إلى مصير مدينة القدس ومصير الجماعات التى تعيش فيها كلهم قادرون على أن يدركوا أن مختلف مظاهر الإيمان والثقافة المجتمعة فى المدينة المقدسة تستطيع حقا أن تكون فى أساس السلام والوفاق.

فى يوم الجمعة العظيمة هذا حيث نحيى ذكرى آلام مخلصنا وموته أدعوكم جميعا أيها الأخوة المحترمون فى الأسقفية والكهنة والرهبان والراهبات وأنتم أيها المؤمنون فى العالم كله إلى أن تحتفظوا فى صلواتكم بمكان خاص لالتماس حل عادل لقضية القدس وكل الأراضى المقدسة ولعودة السلام إلى الشرق الأوسط فى ختام هذه السنة سنة يوبيل الفداء الذى احتفلنا به بفرح روحى كبير فى روما كما فى جميع أبرشيات الكنيسة الكاثوليكية كانت القدس المحور البارز والحقيقى الذى توجهت منا نحوه خواطر المحبة والامتنان على عطية الفداء الكبرى التى أتمها ابن الإنسان فى المدينة المقدسة فى سبيل جميع البشر.

ولما كانت ثمرة الفداء هى مصالحة مع الله ومصالحة كل إنسان مع إخوته وجب علينا أذن أن نصلى كى يجد جميع المؤمنين بالله بعد كل هذه الانقسامات والخلافات المؤلمة وخاصة فى أورشليم أرض يسوع المقدسة المصالحة والوفاق.

السلام الذى بشر به يسوع المسيح باسم الأب السماوى فليجعل من القدس علامة حية لمثال الوحدة

والإخاء والالتقاء بين الشعوب على حد ما جاء فى كلمات سفر اشعيا :"وينطلق شعوب كثيرون ويقولون هلموا نصعد إلى جبل الرب إلى آله يعقوب وهو يعلمنا طرقه فنسلك فى سبيله لأنها من صهيون تخرج الشريعة ومن أورشليم كلمة الرب" (اشعيا ٣/٢).

وفى الختام أمنحكم من صميم فؤادى البركة الرسولية. أعطى فى روما يوم الجمعة العظيمة ١٩٨٤/٤/٢٠ فى السنة السادسة لحبريتنا...

يوحنا بولس الثانى

"أورشليم الرمز الحب لإرادة الله" ١٩٨٦/٢/٢٦

(إلى وفد مسيحى - يهودى - إسلامى مشترك. بالإنجليزية) بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٦ استقبل البابا يوحنا بولس الثانى وفدا من جمعية للحوار الدينى فى القدس تدعى "مركز الأمل للتفاهم والمصالحة بين الأديان فى القدس"

Jerusalem Hope Center for Interfaith"

Understanding and Reconciliation"

وضم الوفد مسيحيين ويهودا ومسلمين

أصدقائى الأعزاء..

هذا اللقاء بحد ذاته حدث يجب أن نحمد الله عليه لأنكم إذ تركزون تطلعكم نحو الله تؤكدون أن به تعالى وحده نجد المصالحة الحقيقية بين الشعوب.

إن الله هو الذى يصالح البشرية معه باستمرار عن طريق مغفرة ذنوبنا ومنحه إيانا عطاياه.

الكتاب المقدس والقرآن يعلمان كلاهما أن الرحمة والعدل هما الصفات الإلهية. هو وحده العادل "الرحمن الرحيم" القادر على نشر هذه الصفات عينها على الجنس البشرى، إن نحن فتحنا قلوبنا وأتحنا له تحقيق ذلك. يريدنا رحماء بعضنا حيال بعض، على هذه الطريق يجب أيجاد حلول جديدة للنزاعات السياسية والعرقية والطائفية التى خضبت الأسرة البشرية طوال تاريخها.

إنكم قادمون من مدينة تعنى الكثير لنا جميعا نحن اليهود والمسيحيين والمسلمين، القدس مدينة داود ومكان موت يسوع وقيامته ومكان إسراء محمد ليلا نحو الله. هذه المدينة يجب أن تكون رمزا حيا لإرادة الله فينا للعيش معا بسلام واحترام متبادل.

أود أن أشجعكم على جهودكم. فى عالم اليوم على أهل الإيمان أكثر من أى وقت مضى أن يضعوا فى خدمة البشرية قناعتهم الدينية المبنية على التمرس اليومى بالإصغاء إلى رسالة الله والالتقاء معه تعالى بالسجود والصلاة. لترافقكم صلواتى وتمنياتى فى متابعة تفكيركم حول إله الرحمة والعدل إله السلام والمصالحة.

"حل عادل" ١٩٧٦/٤/٨

إلى رئيس جمهورية مصر العربية السيد أنور السادات - بالإنجليزية

تعرفون سيادتكم الاهتمام البالغ الذى نوليه لمسألة السلام فى منطقة الشرق الأوسط والتشجيع الصادق الذى نبديه لإيجاد حل سلمى وعادل للأزمة العربية الإسرائيلية ,والتى يجب أن تجد حلا منصفا لمشكلة الشعب الفلسطينى الذى عبرنا تكرارا عن اهتمامنا الإنسانى والودى بحقوقه وكرامته. ومن الواجب أيضا أن تجد مسألة القدس والأماكن المقدسة حلا يراعى عاطفة ملايين المؤمنين التابعين للأديان التوحيدية الثلاثة لما لهذه الأماكن عندهم من قيمة ومكانة رفيعة.

لا ندع هذه المناسبة من دون أن نعبر مجددا عن قلقنا واهتمامنا بمصير لبنانَ بعد أن وجد فيه هذا النزاع بؤرة مأساوية فى دائرة مسألة السلام فى منطقة الشرق الأوسط. إن هذه الحرب الأهلية فضلا عما توقعه من أضرار بالحياة البشرية تسىء كل الإساءة إلى التعايش الأخوى وتنعكس انعكاسا مؤسفا على العلاقات الإسلامية المسيحية فى المنطقة كلها.

الملحق الرابع

موقف الفاتيكان العادل من قضية القدس

(بقلم السفير/ أحمد الملا)

في هذه الظروف الحرجة التي تجمدت فيها عملية السلام بسبب التعنت الإسرائيلي جاءت زيارة البابا يوحنا بولس الثاني لمصر مدعمة للموقف العربي الذي يطالب بإيجاد حل عادل لمشكلة الشرق الأوسط، يقوم على أساس تنفيذ قرارات الأمم المتحدة وعلى مبدأ الأرض مقابل السلام. أما بشأن قضية القدس فقد كان موقف الفاتيكان قويا واضحا في رفضه للاحتلال الإسرائيلي للمدينة المقدسة. وسبق إعلان هذا الموقف في الاتفاق الذي تم توقيعه بتاريخ ١٥ فبراير بين السلطة الفلسطينية والفاتيكان. فقد أعلن الطرفان أن حلا عادلا قائما على القرارات الدولية هو أمر أساسي لتحقيق سلام عادل ودائم في الشرق الأوسط وأنه من غير المقبول أخلاقيا وقانونيا اتخاذ قرارات وأعمال من جانب واحد تؤدي إلى تغيير الطابع الخاص للقدس، ولذلك طالب الطرفان بضرورة المحافظة على الوضع الخاص للقدس بضمانات دولية تضمن حرية الأديان والمساواة بين الأديان التوحيدية الثلاثة ومؤسساتها وأفرادها أمام القانون وتأكيد الهوية الخاصة والطابع المقدس للمدينة وتراثها الديني والثقافي الذي يهم العالم أجمع.

وأكد الطرفان تشجيع التفاهم بين الشعوب واستمرار الحوار بين الأديان من أجل تفاهم أفضل بين الديانات.

وأكدت السلطة الفلسطينية حرية الكنيسة الكاثوليكية فى ممارسة مهامها الروحية والثقافية والعمل فى المجالات الاقتصادية والقانونية والمالية وذلك طبقا لقوانين السلطة الفلسطينية، واتفق الطرفان على أن يدخل الاتفاق حيز التنفيذ فور توقيعه.

وقد استدعت إسرائيل ممثل الفاتيكان المعتمد لديها وأعربت له عن عدم رضائها عن الاتفاق وقد أعلن رئيس المكتب الصحفى المختص بزيارة البابا لمصر أن موقف قداسة البابا من قضية الشرق الأوسط خاصة ملف القدس هو مسألة مبدأ وأن القدس محتلة عسكريا بصورة غير شرعية. وأشار إلى تأكيد وزير خارجية الفاتيكان أن الوضع القائم فى القدس يجعل المدينة المقدسة فى وضع غير عادل دوليا وأن المشكلة قائمة وتعد مصدرا للظلم وأن الفاتيكان يرفض سياسة إسرائيل بفرض الأمر الواقع وإملاء حلول غير عادلة بالقوة كما يرفض السيادة الإسرائيلية على القدس الشرقية.

هذا ومن المقرر أن يقوم البابا بزيارة الأماكن المقدس فى الأراضى الفلسطينية. لقد أمضيت بالقدس العربية عامى ١٩٦٦ - ١٩٦٧ حيث توطدت صلاتى بالطوائف المسيحية وكنت أتبادل الزيارة مع رؤساء هذه الطوائف-ومن بينهم الدكتور الأنبا باسيليوس مطران الأقباط المصريين. وكنت أكن له معزة خاصة وكان ممثل الفاتيكان وهو بدرجة سفير

معتمد فى القدس العربية ولا صلة له بإسرائيل لأن الفاتيكان لم يكن يتبادل معها التمثيل الدبلوماسى وكنت مع القناصل العرب فى القدس نشارك المسيحيين أعيادهم ونحتفل معهم بعيد الفصح فى كنيسة القيامة. أما عيد ميلاد السيد المسيح فكنا نتوجه جميعا إلى مدينة بيت لحم لزيارة كنيسة المهد حيث ولد المسيح عليه السلام. وكم كانت المدينة المقدسة تنعم بالمحبة والسلام وتسود المودة والوئام بين المسلمين والمسيحيين إلى أن قامت اسرائيل بعدوانها الغاشم ضد الدول العربية يوم ٥ يونيو سنة ١٩٦٧ وقصفت المدينة المقدسة بوابل من قذائف المدفعية والطائرات إلى أن رزحت المدينة تحت كابوس الاحتلال الإسرائيلى الغاشم الذى أخذ على الفور فى تغيير هوية المدينة وطابعها وتكوينها الديموجرافى ودأب على انتهاك حرمة المساجد والكنائس واعتقل بعض رؤساء الطوائف المسيحية ولم يحترم منزلتهم الدينية الرفيعة ولامكانتهم وما كانوا يتمتعون به من حصانة فاعتقل المطران هيلاريون كابوتشى مطران الروم الكاثوليك بتهمة مساعدة رجال المقاومة الفلسطينية وزج به فى السجن حيث قضى قرابة ثلاثة أعوام حتى أفرج عنه فى نوفمبر سنة ١٩٧٧ بعد تدخل الفاتيكان وتم إبعاده عن فلسطين ووهب نفسه بعد ذلك للمطالبة فى المحافل الدولية بتحرير القدس من الاحتلال.

كما اعتقلت إسرائيل المطران إيليا خورى راعى الكنيسة الإنجيلية الأسقفية العربية فى رام الله وتم إبعاده إلى الأردن فى أبريل سنة ١٩٦٩ وتم اختياره بعد ذلك عضوا باللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير

الفلسطينية. قد نالنى بدورى نصيب من همجية الاحتلال فقد تم اعتقالى بعد أيام من عدوان يونيو سنة ٦٧ بواسطة مجموعة من رجال الجيش الإسرائيلى، حيث كنت قد قررت البقاء فى القدس تشجيعا لأهلها على المقاومة والصمود. وقد زجت بى إسرائيل فى سجن الرملة ومنعت عنى الزيارة حتى تمكن سفير الفاتيكان فى القدس العربية من زيارتى وأخبرنى أنه أبلغ حكومته باعتقالى دون وجه حق لأنى من المدنيين وأتمتع بحصانة دبلوماسية وطلب من حكومته السعى لإطلاق سراحى فأرسل الفاتيكان ممثلا خاصا عنه إلى إسرائيل وزارنى فى السجن وبدأ مساعيه المتواصلة بالتشاور مع الحكومة المصرية حتى تكللت أخيرا هذه المساعى بالنجاح وأطلق سراحى بعد أن قضيت ثمانية أشهر فى سجن الرملة عوملت خلالها أسوأ معاملة.

فأهلا بقدوم قداسة البابا لزيارة مصر ومرحبا به وبالوفد المرافق له وشكرا لموقف الفاتيكان العادل فى قضية القدس وفى مشكلة الشرق الأوسط.

الملحق الخامس

مصر والفاتيكان.. العلاقات التاريخية والمعاصرة

(بقلم / أديب نجيب سلامة)

لأول مرة فى تاريخ الفاتيكان يقوم أحد باباواتها بزيارة رسمية لجمهورية مصر العربية حيث يقوم البابا يوحنا بولس الثانى بالزيارة هذه الأيام تلبية لدعوة السيد الرئيس حسنى مبارك.

وتعد مصر من أولى دول المنطقة التى أقامت علاقات دبلوماسية مع الفاتيكان، إذ ترجع هذه العلاقات إلى عام ١٩٢٠ وقد زار السيد الرئيس حسنى مبارك الفاتيكان والتقى بالبابا يوحنا بولس الثانى أربع مرات فى أعوام ١٩٨٢ - ١٩٨٨ - ١٩٩١ - ١٩٩٤.

وللفاتيكان موقف متميز وعادل تجاه قضية الشرق الأوسط يتفق ووجهة النظر المصرية بالنسبة لتحقيق السلام فى المنطقة وأحدث ملامح هذا الموقف هو الاتفاقية التى وقعت بين الفاتيكان والسلطة الفلسطينية يوم ١٥ فبراير الماضى والتى جاء فى مقدمها أن إيجاد حل متكافئ لمسألة القدس يقوم على أساس القرارات الدولية هو أمر ضرورى وعادل لإيجاد سلام عادل ودائم فى الشرق الأوسط كما أكدت الاتفاقية أهمية الحفاظ على الهوية الخاصة للقدس وطابعها المقدس. كما كان وزير خارجية الفاتيكان المونسيور جان لوى توران قد زار القاهرة

فى أكتوبر ١٩٩٨ حيث نقل رسالة للسيد الرئيس حسنى مبارك من البابا يوحنا بولس الثانى- البابا رقم ٢٦٤ فى عداد باباوات روما- وأجرى مفاوضات مع وزير الخارجية السيد عمرو موسى والتقى بالصحفيين فى أكثر من مناسبة. وقد أكد فى هذه اللقاءات أنه لا يمكن أن يكون هناك سلام فى منطقة الشرق الأوسط دون أن يكون هناك حل عادل لقضية القدس، وقال أيضا إن مأساة الشعب الفلسطينى كان سببها انعدام العدالة الدولية. وبعد سفره من القاهرة اتجه إلى القدس حيث افتتح مؤتمر رؤساء المجالس الأسقفية والخاص بمناقشة قضية القدس.

كانت مصر من أولى الدول التى تعاونت مع أنشطة المجلس البابوى للحوار بين الأديان الذى تأسس عقب المجمع المسكونى الفاتيكانى الثانى (١٩٦٢- ١٩٦٥) حيث قام وفد منه بزيارة للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية فى سبتمبر ١٩٧٥ ثم جاء إلى القاهرة الكاردينال سرجيو بنيودلى رئيس المجلس مع عدد من قياداته والتقوا فضيلة الإمام الأكبر المرحوم الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر وعددا من القيادات الإسلامية وذلك فى أبريل ١٩٧٨، وفى البيان الختامى لهذا اللقاء اتفق المجتمعون على ضرورة تحرير الإنسان من العبودية لغير الله تعالى وأنه على القيادات الدينية أن تبذل جهودها للعمل على تخليص المجتمعات البشرية من أنواع الصراع والخلافات التى تبدد طاقاتها وتبعدها عن بلوغ غاياتها.. وأن لقاء الإنسانية على طريق الطاعة لله وحده ومن شأنه أن يسهم فى حل المشكلات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. وأضاف البيان أن ما تعانيه المجتمعات

المعاصرة من حيرة وقلق واضطراب وتمزق إنما يرجع إلى ابتعادهم عن القيم الدينية الصحيحة.

وقد توالت الزيارات من الفاتيكان إلى الأزهر وأيضا شارك عدد من علماء الأزهر فى ندوات متخصصة ومؤتمرات فى كل من الفاتيكان وأسيزى إضافة إلى المشاركة فى مؤتمرات جماعة سانت ايجيديو فى روما ومالطة وخاصة فى الثمانينيات والتسعينيات. ومن شاركوا فى أنشطة هذه الجماعة غبطة البطريرك اسطفانوس الثانى، فضيلة الإمام الأكبر الدكتور محمد سيد طنطاوى (وقت أن كان مفتيا للديار المصرية) والدكتورة عائشة عبد الرحمن (بنت الشاطئ).

وقد شارك فضيلة الإمام الأكبر محمد سيد طنطاوى وقت أن كان مفتيا للديار المصرية فى مؤتمر عن الطفل هو مستقبل الجماعات عقد فى الفاتيكان ألقى فيه فضيلته بحثا عن شريعة الإسلام ورعايتها للطفل (فى نوفمبر ١٩٩٣)، وفى مايو ١٩٩٨ تم تشكيل لجنة للحوار بين الأزهر والفاتيكان وبمناسبة توقيع قرار تشكيل هذه اللجنة التقى قداسة البابا يوحنا بولس الثانى بفضيلة الشيخ فوزى فاضل الزفزاف وكيل الأزهر والوفد المرافق لفضيلته وقال البابا فى اللقاء إن الحوار بين الديانتين أكثر ضرورة اليوم من أى وقت مضى ولكى يكون أهلا للثقة يجب أن يتسم بالاحترام المتبادل والتفاهم والاستعداد من الجميع.

ومنذ سنوات يشارك الفاتيكان وكنيسة الأقباط الكاثوليك فى المؤتمر السنوى العالمى الذى يعقده المجلس الأعلى للشئون الإسلامية.

والكنيسة القبطية الكاثوليكية فى مصر هى كنيسة مصرية يرجع البعض تاريخها إلى القرن الخامس. تم تنظيم هذه الكنيسة إداريا عام ١٧٤١ وتعين أول بطريرك لها هو الأنبا كيرلس مقار (منذ عام ١٨٩٦). وفى الشرق الأوسط ست كنائس كاثوليكية أخرى هى الروم (وبطريركها هو البطريرك مكسيموس الخامس حكيم وهو مصرى ولد فى طنطا ومقره بين دمشق وبيروت) والأرمن (وبطريرك هذه الكنيسة مصرى أيضا هو البطريرك نرسيس بدروسيان من مواليد القاهرة وكان مطرانا بها حتى العام الماضى) وكنائس الموارنة والسريان والكلدان واللاتين ولكل هذه الكنائس كنائس ورعايا مدارس ومستشفيات ومؤسسات اجتماعية فى مصر وأغلب أتباعها مصريون هاجر آباؤهم ثم هاجروا هم إلى بلادنا قادمين من الشام.

الملحق السادس

كلمة ترحيب فخامة الرئيس مبارك
رئيس جمهورية مصر العربية

"نشاطركم عظيم الأمل فى مستقبل أفضل"

قداسة البابا:

إنه يوم سعيد لى أن نرحب بك هنا فى مصر نيابة عن جميع المصريين إن شعبنا ينظر إليك بعظيم الاحترام والإجلال بوصفك رجلا يتصف بالشجاعة والحكمة والتسامح. إن إسهامك فى حل القضايا الإنسانية فى هذا العصر الذى تسوده الفوضى وعدم الأمان إنما هو محل إعجاب الجميع.

لقد أخذت على عاتقك على نحو ثابت مهمة النهوض بمبادئ الإخاء والسلام والتعايش بين كل الشعوب. إنك تعمل ليلا ونهارا بلا كلل من أجل إقامة عالم خال من الظلم والقمع والتعصب، إنك تقف بجانب الفقراء والضعفاء والذين يكافحون ضد الفقر والجوع ولا إقامة عالم يسوده التسامح والقبول الدولى. وقد قلت ذات مرة : فى عالم اليوم حيث ابتعد الناس عن ذكر الله بصورة محزنة ندعو المسيحيين والمسلمين بروح الحب إلى الدفاع والإعلاء دائما لكرامة الإنسان والقيم الأخلاقية والحرية.

لقد ساندت ونهضت بالحوار بين جميع الأديان على أساس الرباط الروحى الذى يوحد جميع المؤمنين بالله. إن هذا الرباط يمثل قاسما مشتركا لنا جميعا فى مصر الأرض التى تعتز بنفسها بوصفها مهد الحضارة والملاذ الآمن الكريم لجميع رسل الله.

وعندما أراد المسيح عليه السلام وعائلته الكريمة العيش بعيدا عن بطش هيرودس وقع اختيارهم على أرض مصر. وقام المسيح بوضع حجر الأساس لكنيسته فى مصر التى قد أصبحت واحدة من الكنائس الأربع الرئيسية فى العالم. وقد حمل القديس مرقص الشعلة فى سنة ٦١ ميلادية وأقام كنيسة الإسكندرية التى قدمت إسهاما عظيما للفكر المسيحى والفلسفة. واليوم يقف الشعب المصرى يدا واحدة يوحده خضوعه لمشيئة الله ويستمد إلهامه من روح كل من المسيحية والإسلام. وهو يؤمن بتعاليم كل من الإنجيل والقرآن.

ويحض القرآن جميع المؤمنين على الخضوع لكلمة الله حسبما نزلت عليهم طريق جميع

قداسة البابا : ونحن فى بدء ألفية جديدة نشاطركم عظيم الأمل فى مستقبل أفضل يحمل فى طياته عهدا من السلام والحب فى عالم تهيمن عليه قيم نابعة من أدياننا وتقاليدنا.

ونحن نعتقد أن التقدم الذى نطمع إلي إنجازه لا يمكن تحقيقه إلا إذا تأسس على إيماننا بوحدة مصيرنا وأهدافنا بصرف النظر عن الجنس أو اللون أو العقيدة.

ينبغى علينا أن نسعى معا فى سبيل التصدى للتعصب والتحامل والكراهية وينبغى علينا رفض جميع أشكال التمييز والظلم والمعايير المزدوجة إذا ما كنا نهدف إلى إقامة نظام عالمى جديد قابل للتطبيق. إن صوتك فى هذه القضايا يمثل قيمة عظيمة.

نتمنى لكم إقامة سعيدة وطيبة فى بلدنا وليباركك الله لنا جميعا.

الملحق السابع

كلمة قداسة البابا في مطار القاهرة

سيدى الرئيس..
غبطة البطريرك اسطفانوس..
عطوفة الشيخ محمد سيد طنطاوى..
يا شعب مصر العزيز........
"السلام عليكم" (باللغة العربية).

١- طالما انتظرت ومنذ سنين أن تتاح لى الفرصة للاحتفال بميلاد السيد يسوع المسيح بالصلاة والحج إلى الأراضى التى لها علاقة خاصة بالله تعالى وعمله فى تاريخ البشر. لقد جاء بى اليوم حجى هذا المقدس إلى مصر. شكرا يا سيادة الرئيس لما أتحتم لى من فرصة جميلة للقدوم إليكم وإلى المكان الذى أعلن فيه الله اسمه لموسى وقدم له الشريعة كعلامة لرحمته الواسعة ومحبته لخلائقه.

- أقدر كل التقدير كلمات الترحيب التى سمعتها من سيادتكم.. هذه الأرض أم حضارة عمرها ٥ آلاف سنة ,وهى مشهورة فى العالم بأسرة بآثارها وعلومها فى مجالى الرياضة والفلك هذه هى الأرض التى التقت فيها واندمجت الثقافات المختلفة جاعلة مصر فى طليعة أصحاب الحكمة والمعرفة.

٢- فى العهد المسيحى أنجبت مدينة الإسكندرية - حيث أسس تلميذ بطرس وبولس وهو مرقص الإنجيلى الكنيسة - كتابا كنسيين لامعين كإكليمنضس وأوريجانس. بالإضافة إلى آباء الكنيسة المشهورين من أمثال أثناسيوس وكيرلس وإكرام القديسة كاترين الإسكندرية مازال حيا فى التقوى المسيحية وفى عدد كبير من الكنائس التى تحمل اسمها وهى منتشرة فى سائر أقطار العالم ومصر بفضل القديسين أنطونيوس وباخوميوس هى مهد الرهبانية التى لعبت دورا كبيرا فى الحفاظ على تقاليد الكنيسة الروحية والثقافية.

- أضاف العهد الإسلامى أعمالا فنية رائعة وتعاليم كان لها نفوذ فعال على العالم العربى والقارة الإفريقية. إن الشعب المصرى تمسك عدة أجيال وأجيال بشعار الوحدة الوطنية، وتعدد الأديان لم يكن قط عقبة بل شكل نوعا من الإثراء المتبادل فى خدمة شعب الوطن الواحد. ولا أنسى ما قاله ذات يوم البابا شنودة الثالث :"مصر ليست مسقط رأسنا حيث نعيش بل مسقط رأسنا العائش فينا".

٣- الوحدة والوئام الوطنى من القيم المقدسة الواجب على جميع المواطنين أن يحافظوا عليها وعلى جميع المسئولين من رجال والسياسة ألا ينفكوا يعززونهما بروح العدالة واحترام حقوق الجميع.

- سيادة الرئيس لا أحد يجهل تضحياتكم فى سبيل السلام فى بلادكم وسائر بلاد الشرق الأوسط لقد لعبتم دورًا هاما فى تطوير مسار السلام فى المنطقة. جميع العقلاء من رجال ونساء يقدرون ما بذل حتى الآن من جهود وكلهم أمل أن تنتصر العدالة

وحسن النية فيتسنى لجميع شعوب هذه المنطقة الفريدة من نوعها فى العالم أن ينعموا باحترام حقوقهم وتحقق تطلعاتهم المشروعة.

- عند زيارتى دير القديسة كاترين على سفح جبل سيناء سأرفع صلواتى الحارة للسلام والوئام بين الأديان. الإساءة واللجوء إلى العنف والتصادم باسم الدين تناقض رهيب وإهانة جسيمة لله تعالى ومع ذلك فإن التاريخ الماضى والحاضر لا يخلو من تجاوزات حصلت باسم الدين علينا جميعا أن نعمل على تعزيز الجهود المبذولة فى سبيل الحوار بين الأديان، هذا الحوار الذى يشكل حلما كله رجاء وأمل للبشرية بأسرها.

"والسلام عليكم" (باللغة العربية)

هذا سلامى لكم جميعا هذا هو الدعاء الذى أرفعه من أجل مصر وشعبها عسى أن يبارك العلى بلادكم بالوحدة والسلام والرخاء!

ثبت بالمراجع والتواريخ

الجزء الأول

الفصل الأول

١- نحو لاهوت تحرير مسيحى... إسلامى عربى....

٢- نظرة مسيحية إلى الأحداث الجارية : الانتفاضة الفلسطينية (الأولى).

٣- الكنيسة فى فلسطين المحتلة "مقالة" مجلة رسالة الكنيسة - ١٩٩٣ - القاهرة.

٤- قيامة المسيح وتحرير فلسطين. "مقالة" جريدة المصالحة عدد مايو-٢٠٠٢ - القاهرة.

٥- تطبيق حقوق الإنسان فى الكنيسة فى مصر:

الفصل الثانى

١ - سيدهم (الاب وليم) لاهوت التحرير فى أمريكا اللاتينية بيروت ١٩٩٣ ص٩٣ .

٢ - المرجع السابق ص ٨٩ .

٣ - وليم سيدهم: لاهوت التحرير فى إفريقيا بيروت ١٩٩٧ ص ٦٦ .

٤ - المرجع السابق .

٥ - المرجع السابق ص ١١٦ .

٦ - المرجع السابق ص١١٤ .

٧ - عربه المؤلف: نشر فى دار المشرق - بيروت ٢٠٠١ .

٨ - منذ عام ١٩٧١ حرم على الكهنة الانخراط فى العمل السياسى إلا بتصريح خاص من الأسقف (سينودس الأساقفة).

٩ - المرجع السابق ص٦٥ .

١٠ - المرجع السابق ص٦٥ .

١١ - مجمع العقيدة الإيمانية "الحرية المسيحية والتحرير" ط ٢ ترجمة المؤلف مطبوعات الآباء اليسوعيين.

١٢ - (حنا) د. ميلاد قبول الآخر دار الشروق الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٨ .

١٣ - قام السيد الرئيس حسنى مبارك بزيارة دول آسيا فى ربيع العام ١٩٩٩ .

١٤ - (نافع) إبراهيم ما الذى يجرى فى آسيا؟مركز الأهرام للترجمة والنشر الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٨ .(نافع) إبراهيم الصين معجزة نهاية القرن العشرين مركز الأهرام للترجمة والنشر الطبعة الأولى القاهرة ١٩٩٩ .

١٥ - مجلة المشرق "ملف خلاص غير المسيحيين" بيروت ١٩٩٧ .

١٦ - (حجازى) د. مصطفى التخلف الاجتماعى - سيكولوجية الإنسان المقهور معهد الاتحاد العربى الدراسات الإنسانية الطبعة السادسة. بيروت ١٩٩٢ .

١٧ - (سويف) د. مصطفى مصر الحاضر والمستقبل دار الهلال القاهرة يناير ٢٠٠٠ .

١٨ - (عبد الفتاح) د. نبيل: النص والرصاص.. دار النهار للنشر الطبعة الأولى بيروت١٩٩٧ .

١٩ - (البشرى) المستشار طارق: الحوار الإسلامى العلمانى، دار الشروق القاهرة، الطبعة الأولى ١٩٩٦ص٩١ .

٢٠ - لقد نشرنا هذا المقال فى كتاب "لاهوت التحرير الاسيوى" دار المشرق - بيروت٢٠٠١ .

٢١ -(قلادة) د. وليم سليمان: المسيحية والإسلام فى مصر، دار سينا للنشر، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٩٣ .

٢٢- (على) د. حيدر إبراهيم لاهوت التحرير: الدين والثورة فى العالم الثالث، مركز الدراسات السودانية، الإسكندرية، الطبعة الثانية ١٩٩٣ .

٢٣- (حنا) د. ميلاد "التلقيح الثقافى بين الأديان والأيديولوجيات". مجلة إبداع القاهرة فبراير ١٩٩٧ ص ٢١ - ٣٥ .

(مقالة نشرت فى مجلة رفاق الكرمة عدد مايو ١٩٨٨ القاهرة.

٢٤ - راجع الوضع الفلسطينى الحاضر، إدوار مصير. إبراهيم أبو العز دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع. الطبعة الثانية ١٩٨١- القاهرة ص٥٢-٥٥ .

٢٥ - محمود درويش: حبيبتى تنهض من نومها، دار العودة، بيروت الطبعة السابعة ١٩٨٤ ص ٥٨ و ٦٩ و ٨٩ ٢٦ - روز مارى صايغ، ترجمة خالد عايد (الفلاحون الفلسطينيون من الإصلاح إلى الثورة) بيروت. ١٩٨٠ ص ٨٦ .

٢٦ - د. عبد الملك خلف التميمى (الاستيطان الاجنبى فى الوطن العربى) سلسلة عالم المعرفة الكويت - ١٩٨٣ ص ١٢٦ - ١٢٧ .

٢٧ - المرجع السابق ص ١٢٩ .

٢٩ - الدونم = ٩٠ مترا مربعا علما بأن الفدان يساوى ٤٢٠٠ متر مربع.

٣٠ - جريدة الشعب ١ مارس ١٩٨٨ ص٨ .

٣١ - المرجع السابق.

٣٢ - مجلة المصور: العدد ٣٢٩٩ ٨ يناير ١٩٨٨ البابا شنودة الثالث فى حوار جريدة الأسبوع حديث أجراه سناء السعيد ومنى الملاخ.

٣٣ - جريدة صوت العرب ٢٨/٢/١٩٨٨ ص٩ .

❖محاضرة ألقيت فى "المجلس الرعوى للكنيسة الكاثوليكية فى مصر" فى ١٩٩٩/٢/١٩ .

❖ مداخلة ألقيت فى المؤتمر التحضيرى لكتاب "الحالة الدينية فى مصر" الجزء الأول (غير منشورة) بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بالأهرام عام ١٩٩٥ .

❖محاضرة ألقيت فى ١٩٩٧/١٠/٢٤ بالإسكندرية.(راجع الملحق فى هذا الكتاب).

٣٤ - ارجع للملحق الأول فى آخر هذا الكتاب ص٦ .

❖ محاضرة ألقيت فى "مؤتمر التعليم الاجتماعى بالكنيسة الكاثوليكية" بكلية العلوم الدينية السكاكينى - القاهرة فى١٩٩٩/١/١٨ .

❖ محاضرة ألقيت فى مؤتمر الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة فى ١٩٩٨ .

٣٥ - راجع بحث د. على عبد الفتاح المغربى "التأويل بين الأشعرية وابن رشد".

❖ محاضرة ألقيت فى مؤتمر الجمعية الفلسفية المصرية بجامعة القاهرة فى ١٩٩٩/٧/١٢ .

❖ مقالة نشرت فى مجلة المشرق يونيو ١٩٩٩ - بيروت ص٨١ -٩٢ .

❖ "مسينايو اليسوعى" "لاسفيلتا كاثوليكا" الجزء الثالث سنة ١٩٤٩ ص ٣ - ١٥ .

❖ صحيفة الاوسرفاتورى رومانو بتاريخ ١٩٨٤/٤/٢١ .

مجلة أعمال الكرسى الرسولى المجلة ٧٦ سنة ١٩٨٤ ص ٦٢٥ .

❖ الترجمة الايطالية لتعاليم يوحنا بول الثانى ص ١٠٧٤ - ١٠٧٧

٣٦ - صحيفة الاوسرفاتورى رومانو بتاريخ ١٩٨٦/٢/٢٧ .

❖ صحيفة الاوسرفاتورى بتاريخ ١٩٧٦/٩/١٤ .

❖ مجلة أعمال الكرسى الرسولى المجلد ٦٨ السنة ١٩٧٦ ص ٢٧٤ - ٢٧٥ .

الفصل الرابع

١) مجلة Prier - Janvier .1992

٢) روز اليوسف العدد ٣٣٥٧,

٣) الأهرام ١٩٩١/١١/٨

٤) كتاب الواقع الفلسطينى، الماضى والحاضر والمستقبل. تأليف" إدوار سعيد وآخرون. دار الفكر للدراسات والنشر- طبعة ثانية - القاهرة ١٩٨٦,

الجزء الثانى

الفصل الرابع

Conseil Pontifical : Justice et P-aix.

1) "Nouveau regard sun la doctrine sociale de Eglise" Herv carrierg. دار الفاتيكان

2) Le discour social de d'Eglise catholique de Leon XIII jean paul.II - Qntunirs - pois .1985

3) Lectures de L'encyclique centesimus Annus.

الجزء الثالث

الفصل الثانى

١- مجلة مدارس الأحد ١٩٩٦

٢- تقرير الحالة الدينية ١٩٩٦

٣- دير القديس أنبا مقار والرهبنة فى مصر.

٤- كتابات الأب متى المسكين.

الجزء الرابع

الملحق الثانى

١- المجمع الفاتيكانى الثانى : (١٩٦٣ - ١٩٦٥) "الكنيسة فى عالم اليوم".

"دستور عقائدى.. " - "Gaudium et Spes" المنشورات البولسية طبعة أولى ١٩٩٢,

رقم ٢٩ "المساواة الجوهرية فيما بين البشر والعدالة الإجتماعية.
رقم ٣٠ "ضرورة تجاوز النظرة الفردية فى الأحلام.
رقم ٣١ "مسئولية ومشاركة" رقم ٧٧ ؛ رقم ٧٨ (السلام).
٢- "فى تقدم الشعوب وارتقائها".. رسالة عامة لقداسة البابا بولس السادس.
(٢٦ مارس ١٩٦٧) منشورات المعادى - ترجمة الأب توفيق إسطفانوس. بدون تاريخ.
٣- "الذكرى الثمانون" (١٨٩١ - ١٩٧١) على رسالة "الأمور الجديدة".
فى شئون العمال لقداسة البابا لاون الثالث عشر.
رسالة البابا بولس السادس إلى نيافة الكاردينال موريس روا رئيس مجلس العلمانيين واللجنة البابوية "العدالة والسلام".
صدرت فى ١٤ مايو ١٩٧١ - ترجمة الأب أنطوان نجيب - منشورات المعادى. بدون تاريخ.

محتويات الكتاب

هذا الكتاب

لاهوت التحرير تيار جديد بالنسبة لنا جميعا إذ يحاول أن يجعل من الإيمان بالله والعلاقة به مصدر قوة محررة للإنسان أينما كان ودافعا للبناء. وهذا الكتاب تناول قضايا الدين والسياسة وعلاقة المسيحيين بقضية تحرير فلسطين ومحاولة فهم وتضامن مع الانتفاضة الأولى والثانية للشعب الفلسطينى وقضية القدس من منظور لاهوتى.

فالمؤمن الذى ينتقد الظروف السياسية الظالمة ويفضحها والذى يمارس حقوقه السياسية والمدنية لا يقل أهمية عن المؤمن الذى يحصر نفسه فى حضور القداس. والدخول فى علاقة مع الآخر المختلف عنى دينيا لا يقل أهمية عن علاقتى بجماعتى الدينية كما أن الدفاع عن حق تقرير المصير وتحرير الأرض الفلسطينية أمر تحتمه المحبة العميقة للآخر. وربط كلمة الله الحية بالأحداث الجارية والتزود بالطاقة الروحية التى تساعد المؤمن على مجابهة التحديات واجب مقدس.

النظرة التقليدية للدين كثيرا ما تجعلنا ننسى أننا عائلة بشرية واحدة فنتقوقع على مجرد خلاصنا الفردى أو خلاص أهل ديننا فقط، بينما منهج لاهو
كل اهتمامه على تضامن الله وخلاصه لـ
وخاصة الفقراء منهم. وأن تحرير الإنسان
ممارسة طقوس معينة يقوم بها الفرد ولكـ
الطقوس وهذه المعتقدات بالواقع الذى يـ
وذلك بالتضامن مع إخوتنا فى الإنسانية
عن إخوتنا فى الدين وإخوتنا فى الوطـ
تتجزأ والعدالة لا تكتمل إذا حصرناها فـ
جنس معين حتى ولو كان " الشعب المختار"

Bibliotheca Alexandrina
0436851